

53

كتابي

فلورنس باركلي

المسبحة

الجزء الأول

تليجرام: شمسور الأزيكية

المؤسسة العربية الحديثة
مجمع ومركز للدراسات
بدرعا - ليبيا
طبعة 1400هـ

مجمع

هذه القصة .. وقصتها معى !

عزيزى القارىء ..

هل تحب ان تعرف كيف وصلت هذه القصة إلى يدك ،
في هذه الطبعة العربية ؟

إن لذلك قصة طريفة ، تعطيك فكرة عن الأثر البعيد الذى
قد يترتب على كتاب يهديه قارىء معجب ، إلى صديق ..

فى صيف عام ١٩٤٠ ، لحقت فى يد صديقى الكاتب القصصى
« يوسف جوهر » كتابا إنجليزيا ، سألته عنه ، فقال إنه لم
يقراه بعد ، وإنما أهدنه إياه سيدة سورية — على ما أذكر —
بعد ان بالغت فى إطرائه والثناء عليه ، فكرة وموضوعا واسلوبا ،
واستهوانى غلاف الكتاب ، وعنوانه الغامض ،
The Rosary ، الذى يحتمل أكثر من معنى .. وإذ علمت أنه
لا ينوى قراءته فى أمد قريب ، أخذته منه لأقرأه ثم اردته إليه ..
لكنى شغلت عنه زمنا ، بل ونسيته .. حتى وقع فى يدي
مرة أخرى وأنا « أنبش » مكتبتي قبيل سفرى إلى مدينة
(الأقصر) فى شتاء عام ١٩٤٢ ، فأخذته معى ..

وفى شرفة (ونتر بالاس) المطلة على النيل — ذات أصيل —
بدأت اطالع الصفحات الأولى منه ، فى غير حماس يذكر ، بل
وفى شيء من الشعور بخيبة الأمل !.. فقد بدا لى الفصلان
الأولان منه باعثن على الملل ، والانصراف عن القراءة !..
غير أنى تذكرت ما قالته السيدة مهدية الكتاب ، من ثناء بالغ
عليه ، فواصلت القراءة ..

انشاء أزمة (الكتاب الأسود) المشهورة - غطيت منى كتابا يستعين بقراءته على تبديد وحدته فى المعتقل .. فلم أجد أمتع من هذا الكتاب الشائق مؤنسا له ومعينا على تبديد أوقات فراغه الطويلة ، ونسيان وحدته ..

وحين رد الكتاب إلى بعد خروجه من المعتقل ، حدثنى عن الأثر الهائل الذى أحدثته فى نفسه ، وكيف أبدته فكرته وسياقه الرائعين بمزيد من الطاقة النفسية والقوة على احتمال محنته ، والصبر فى مواجهة الشدائد ! .. بل روى لى كيف أنه أعاد قراءة الكتاب مرتين ، وكيف تناقلته بعد ذلك أيدى سواه من المعتقلين - وكان منهم الزميل « جلال الدين الحامصى » - فاجمعوا كلهم على الإعجاب به والتحمس له ، وصارت أحداث المأساة العنيفة التى يرويها الكتاب ، موضع أحاديثهم ومناقشاتهم المتكررة فى لياليهم الموحشة ..

وازداد حرصى على نسخة الكتاب، حرص البخيل على ماله! .. ومضت الأعوام ، وأصدرت « كتابى » ثم « مطبوعات كتابى » ، دون أن يبرح خيالى الأمل فى أن أجد فراغا يتيح لى فرصة ترجمة هذا الكتاب بنفسى .. ذات يوم !

.. حتى جتمعنى بالنائب السابق جلسة على حافة حوض السباحة بنادى (سبورتنج) بمصر الجديدة ، فى أحد أيام الصيف الماضى .. وتطرق بنا الحديث إلى الأدب والقصص ، والمكتبة الضخمة التى اقتناها وقرأ أكثر كتبها فى شبابه .. وكيف أولع زمننا بالترجمة ، وترجم بالفعل بضع روايات

وبدأت تتكشف لى روعة القصة .. وشيئا فشيئا استأنر سياقتها بلى .. فمضيت أنهب صفحاتها نهيا .. وكلما توغلت فيها ، ازداد نهى وشغفى المحوم بها .. حتى أنيت عليها فى أيام معدودة ، وقد بلغ إعجابى بها أقصاه ! ومنذ ذلك التاريخ ، دفعنى شعور غير مفهوم إلى الحرص على تلك النسخة الإنجليزية من القصة ، حرصى على كنز نمين يعز على التفريط فيه !

ماذا كنت أبقى من الحرص على تلك النسخة ؟

وفيم كنت - يومئذ - أنوى استخدامها ؟

أغلب الظن أن هذا الحرص ، وذلك الشعور غير المفهوم ، كان هدمها - فى عقلى الباطن - هو تحين الفرصة لتقديم هذه النسخة الرائعة إلى قراء العربية .. (برغم بعد الشقة بينى وبين إمكانيات تحقيق هذا الأمل ، يومئذ ، قبل أن أخرج مشروع « مطبوعات كتابى » - بل و « كتابى » ذاته - إلى عالم النور) .

وفى تلك الأثناء صارحت صديقى « يوسف جوهر » ينبأ « استيلائى » على كتابه ، وأعدا إياه بأن « أعيره » إياه - مجرد إعاره ! - يوم يفكر جديا فى قراءته ..

ومرت الأعوام ..

ولم أفرط فى نسخة القصة ، خلال هذه الأعوام « السبعة عشر » - حتى على مسيل الإعاره - إلا مرة واحدة ، يوم كنت أزور النائب السابق « نجيب ميخائيل بشارة » فى معتقل الزيتون - على أثر اعتقاله مع الأستاذ الكبير « مكرم عبيد »

طويلة وبسريحت ، شاعرت الظروف أن يفقد مخطوطاتها جميعا قبل أن تنشر . .

وجاء ذكر هذه القصة ، وتأثيرها العميق في كلينا ، وعلمي القديم بترجمتها إلى العربية ، ومجزى حتى الآن عن اقتناص الفراغ الكافي للقيام بهذه المهمة - (بحكم استئثار « كتابي » و « المطبوعات » بكل وقتي) - ثم احتياج القصة - أية قصة ، في نظري - إلى مترجم « مؤمن بها » ، أي معجب بفكرتها وأسلوبها إلى درجة الشغف والتحمس . . وكان أن رحبت بأن يتولى عنى ترجمة هذه القصة .

ظروف تفكير المؤلفة في وضع هذه القصة

وقد يطيب لك ، بعد هذا ، أن تعرف شيئا عن ظروف وضع هذه القصة ، وعن مؤلفتها :

نقول ابنة المؤلفة في الكتاب الذي نشرته عن حياة أمها ، واسمها « حياة فلورنس باركلي » بقلم أجدى بناتها « أن النواة الأولى لقصة « المسبحة » هذه كانت قصة « قصيرة طويلة » كتبها المؤلفة في عام ١٩٠٥ بعنوان ! عجالات الزمن » ، دون أي تفكير في نشرها . لكنها عادت فأحسست - بعد كتابتها - سبيل إلى ألا تقطع صلتها بشخصية جذابة مثل شخصية « جين سامبيون » ، يظنها . . عندئذ تطورت فكرة القصة في ذهن « فلورنس » إلى فكرة مطولة اخترعت فيه بالتدريج ، فراححت - دون أن تهتدك قلما أو قرطاسا - برسم خطوطها وخطوطها الرئيسية والتفصيلية ، حتى أتت في ذهنها قصة « المسبحة » بكل زخرفها ورونتها الحاضرين . وكانت هذه هي طريقته دائما ، أن تضع قصصا كاملة ، بأحداثها وحوارها ،

ثم تتركها دغينة في أركان ذاكرتها ، ربما لسنوات طويلة ، حتى تنطفو يوما فتكتب ، كما لطبع أسطوانة سجل عليها نغم أو حديث !

وهكذا ظلت « المسبحة » غارقة في ميات عميق لأكثر من عام . . وفي أحد الأيام ، كانت المؤلفة تستقل القطار عائدة من لندن إلى (هيرتفورد) ، فإذا بها تهتدك بالظم والورق مكتتب الفصل العاشر من القصة ، كاملا ، وهو الفصل الذي يعلن فيه « جارت » حبه لـ « جين » ، في شرفة قصر (شنسبون) . وقد يدعو غريبا أن يكتب الفصل العاشر من رواية « قبل الفصول التسعة الأولى ! . . ولكن ، تلك كانت طريقة « فلورنس باركلي » وموهبتها الفذة ، أن تكتب خاتمة القصة أحيانا قبل بدايتها ، من فرط ما كان الكتاب كله « يعيش » مطبوعا بحضائره في ذاكرتها ، بحيث يصبح في مقدورها أن تكتب أي موقف منه في أي وقت تشاء !

كتبت هذه القصة وهي طريحة الفراش !

بعد أن التفرغ المنشود لكتابة بقية فصول « المسبحة » لم يتبها للمؤلفة إلا في أغرب الظروف وأقساها ، حين تدرك لها أن تلازم الفراش شهورا طويلة - لإصابة قلبها بإلحاح نتج عن إفرام في ركوب الدراجة - وإذ ذاك راح قلبها يجري على القرطاس دون توقف ، وهي راغبة في فراشها . . وبعد ثمانية أشهر من المتاعب والألام التي أحبتها - برغم طبيعتها الحارة النشطة - بصبر واستسلام تام ، تسنى لها أن تستعيد صحتها ونشاطها . . وكانت قد أتت أكبر عمل قس في حياتها ، وهو « المسبحة » ! ومع ذلك فريما لم يكن بقدر القصصين « المسبحة » و « المؤلفة » !

ان تنشرا ، لولا ان ارسلت المؤلفه اولاهما ، (عجلات الزمن) ، إلى شقيقتهما المقيمة في نيويورك ، فاصرت على نشرها وطلبت ملحة ان تطلع على القصة الأخرى الطويلة ، (المسبحة) . وعندئذ ارسلت إليها « فلورنس » مخطوط هذه القصة ، موضعتها الشسقية بين يدي أصحاب دار النشر المعروفة « بوتنام » ، الذين وافقوا على نشرها — (وإن لم يجلب بخاطرهم يوبئذ أنه لن يمضى سوى وقت قصير حتى يبلغ عدد النسخ المبعة منها مليون نسخة ، وحتى تترجم القصة إلى تسع لغات عالمية !) . . ولو أدركوا ذلك في حينه لما اشترطوا عند قبول القصة ان تختصر ، فتخفف منها عشرة آلاف كلمة ! . . والواقع ان ذلك الاختصار كان امحانا قاسيا للمؤلفة ، فقد كانت القصة وحدة كاملة ، ومن شأن أى اختصار فيها ان يخل بتناسكها . (وقد انتقد اديب من اصدقاء المؤلفه بالفعل — وهو يجهل قصة ذلك الاختصار — « خلخله » لاحظها في بعض مواضع القصة ، وكانت تلك المواضع هي التي اجترأ عليها القلم الأخير بالحذف والتشويه !) — على ان جميع الاجزاء والكلمات المحذوفة لم تلبث ان اميدت إلى مكاتبها في الطباعات التالية ، ومنها الطبعة التي أخذت منها هذه الترجمة الكاملة للقصة . .

الدستور الخلقى الذى تلزمه المؤلفه في قصصها

وقد نشرت « المسبحة » في وقت واحد في إنجلترا وأمريكا في عام ١٩٠٦ . . وأخذ الأقبال عليها يزداد ، والطبعات تتوالى تبعا لذلك ، حتى بلغ ما بيع منها في نهاية السنة الأولى ١٥٠.٠٠٠ نسخة ! . . وكم برحت بفلورنس الفرحه العظمى

حين تلقت آلاما عديدة من رسائل القراء — من جميع أقطار العالم — وكلها تشيد بالعموم الكبير والأثر البالغ الذى تركته القصة في نفوسهم . . كما كان مصدر غبطة كبرى للمؤلفة ان تقرأ الثناء العاطر الذى أمطرها به نقاد الأدب في كبريات الصحف العالمية . وكان من بين النواحي — غير المألوفة — التى امتدحوها من أجلها ، انها تكتب « برغبة حارة في إدخال البهجة والعزاء إلى حياة ذوى القلوب الحزينة ! » ، ومن هنا كان الحماس البالغ الذى قرىء به الكتاب في جميع الاوساط والطبقات !

وهذا يقودنا إلى الحديث عن الهدف الذى تنوخواه المؤلفه في قصصها . وفي هذا تقول فلورنس : « إن هدفى هو : ألا أكتب قط سطرًا يمكن أن يدخل شائبة من الخطيئة أو ظلا من ظلال الخجل إلى أى بيت ! . . والا أرسم قط شخصية تنزع إلى الانحدار بالمثل العليا للقراء الذين — عن طريق قلمى — ربطتهم الفة وثيقة برجل أو امرأة من مخلوقات قصصى ! . . ان في العالم قسداً وأفرا من الخطايا ، بحيث لا يحوجه الأمر إلي أن يستخدم المؤلفون قوة خيالهم كي يضيفوا خطايا أخرى وهمية إلى ما في جملة البشرية منها ! . . فإني أدريت بصرى على ظهور هذا الكون تجسّد زرامات من الأشخاص الأشرار ، الوضيعين ، والخبيثاء ، يذبون على أرضنا . . فلماذا يضيف المؤلفون مزيدا إلى عدد هؤلاء الأشرار ، ويخاطرون بتقديمهم إلى بيوت هائلة وأدعة ، لا تحتمل وجودهم — في الحياة الواقعية — دقيقة واحدة ! »

وقديما قال عالم وكاتب فرنسى عظيم : « إن المبدع الوحيد

للمسحس الخيالية ، هو أن تكون أبهى جمالا من الواقع ! » .

عنوان القصة .. والملبس الذي يفره !

بقى إيفساح أخير ، يتصل بعنوان هذه القصة .. غلت
أطلقت عليها مؤلفتها : « المسبحة » ، والعنوان لسواء بالانجليزية
The Rosary أو بالفرنسية Le Rosaire (مشتق من
الكلمة اللاتينية Rosarium ، التي منها : Rosa و
Rose بمعنى الوردة !

وقد تقول : وما علاقة الوردة بالمسبحة !

لكن هذه العلاقة تبدو بوضوح إذا عرفنا أن الحبات الكبرى
للمسبحة كانت تسمى في الأزمنة القديسة Roses ، وكانت
المسبحة تستع يومئذ من طاقة أو إكليل من الأزهار ، يرمز إلى
إكليل أو طاقة روحية من الملوات ، (التي يتلوها المتدينون
كما يتلون الأدعية وهم يتابعون دحرجة حبات المسبحة بين
أناملهم ..) .

وترمز المؤلفة بإطلاق هذا العنوان على القصة إلى أن البطلة
حين تغنى أغنية « المسبحة » - وهي تعزفها على البيانو -
إنما كانت تتأمل الأحداث الرئيسية لعرايها ، وذكريات هذا
الفرام ، كما يتأمل حائل المسبحة الأحداث الهامة المتصلة
بمعتقداته الدينية ، وهو يتلو الأدعية والصلوات ، ويدير بين
يديه حبات المسبحة !

وفي هذا القدر الكفاية .. نتمتع نطالع الآن فصول القصة
ذاتها ، بعد أن عرفنا قصة القصة !
حلمي مراد



ليجرام : شفا سحر الزنكية
أكبر مكتبة وقيمية

المسبحة

(الجزء الأول)

Looloo
www.dvd4arab.com

الفصل الأول

خيم سكون وادع — في ظهيرة يوم من أيام الصيف بانجلترا —
على مروج وحدائق (أوفردين) ، عسادها صمت زحفت
فيه خيوط الشمس الأملّة والظلال المتطاولة على المرج
السندسي ، وبدت في الجو بوانر رطوية غليظة ، جعلت ظل
شجرة الأرز المباسقة مكانا محببا .

وكان القصر الحجري القديم متينا ، ضخما ، خاليا من
الزخرف ، يوحى برحابة وراحة — لا حد لها — في داخله ،
وقد خفت من خشونة مظهره الخارجي ، فروع اللبلاّب
الرقيقة ، وأشجار الماتوليا وغيرها من النباتات التي كانت تنمو
منذ سنين طويلة ، متسلقة واجهة القصر البسيطة ، حتى
أصبحت تكسوها بدثار من الخضرة الناعمة ، والزهور البيضاء ،
اليانعة ، وميض من الزهور الأرجوانية الصغيرة .

وكانت ثمة شرفة تمتد بطول واجهة القصر ، ويحدها — من
أحد طرفيها — مستودع مسيحي ، ومن الطرف الآخر مكان
لقريبة الطيور .. وكانت تتخلل الشرفة — على مسافات
متفاوتة — درجات واسعة من الحجر ، تفضي منها إلى حشيش
المرج الناعم الطري ، الذي امتد بعده متنزه واسع الأرجاء ،
تناثرت فيه قرم من الأشجار الشائخة ، تجوس خلالها — في
خفر — غزلان سمراء اللون .. وبين الأشجار كانت مياه النهر
تلعب ، كشريط فضي ضيق ينساب ، مبهجا في عداقة — بين
سعود وهبوط — وسط الحشائش المطوية والبراعم الذهبية .



وكانت الساعة الشمسية - المزالة - تشير إلى الرابعة ..
وقد ركنت الطيور إلى الصمت فترة . فبدأ السكون ثقيل
الوطاة ، يكاد يزهق الأنفاس ، إذا لم تنخلله هزة من غصن ،
أو شقشقة من عصفور .. وكانت البقعة الوحيدة من اللون
الزاهي - في هذا المنظر - تتمثل في بيفاء كبيرة الحجم ، ذات
لون أحمر قان ، وقد نابت على أرجوحاتها تحت شجرة الأرز .

وأخيرا .. وبعد صمت طويل ، سمع صوت باب يفتح ،
وظهر شخص مسن أنيق في الشرفة ، يسار يميناً إلى نهايتها ،
ثم مرق واختفى في بستان الورود . وما كان ذلك الشخص
سوى الدوقة « ميلدرام » ، وقد أقبلت لتقطف الورد . وكانت
تضع على رأسها قبعة قديمة من القش من طراز عرف - في
أوائل عهد الملكة فيكتوريا - باسم « عش الفرايب » ، وقد
رُبعت بأشرطة سوداء تحت ذقنها المهيّب . وكانت ترتدي
معطفاً مفضاضاً ، داكن اللون ، وثوباً قصيراً من الصوف الخشن ،
وقد غيّبت يديها في فقاخ عتيق ، وحملت سلة من الخشب
ومقصاً ضخماً .

ولقد قال أحد الظرفاء مرة : « إذا قدر لك أن تقابل مخامة
الدوقة ميلدرام ، وهي عائدة من حديثها أو من إطعام طيورها ،
وكنت متيسط المزاج ، فقد يبلغ بك السخاء أن تنفحها بنصف
شلن ! » .. غير أنه إذا قدر لك أن تسرعى انتباهها - بهذه
الطريقة - فلن يكون لك من مخرج سوى أن تستسلم
للثورات الدوقية ، التي تصبها عليك الدوقة وكأنها متن
تتمطف بما عليك ! .. ثم لا تليق - بعد ذلك - أن تتقبل

امتدارك بطيب خاطر ، ولكنها تحتفظ بقطعة النقود لتعرضها
كلما روت القصة !

وكانت الدوقة تقيم بمفردها في هذه الدار العتيقة ..
ويعنى آخر ، أنها لم تكن تميل إلى استبقاء رفقة أحد من
الأقارب بحسبة مستديرة ، ولا إلى الابتسامات المصطنعة والرياء
الذي يبديه أي أنيس مأجور . وكانت ابتها الشاحبة اللون -
والتي كانت لا تنفك تزجرها في كل مناسبة - قد تزوجت ..
أما ابنتها الجميل الذي أحبته حب العبادة ودلفه حتى أفسدته ،
فقد مات في سن مبكرة ، قبل سنوات قليلة من وفاة زوجها
« توماس » الدوق الخامس من سلالة « ميلدرام » .. الوفاة
التي حلت بفترة ، فكانت - كما اعتادت الدوقة أن تصفها -
نهاية طيبة تليق به ..

ذلك لأنه امتطى فرسه ، في عيد ميلاده الثاني والسنتين ،
وقد ارتدى أكثر سترات الصيد الأرجوانية ، مع القبعة
الغالية ، والسروال المصنوع من جلد البقر المتين .. وفجأة ،
أبت الفرس أن تتخطى سياجاً عالياً ، كانت نساق إلى تجاوزه
في غير رحمة ، فأذا توماس - دوق ميلدرام - يطير في الهواء ،
ويهبوى على أم رأسه في حقل لفت .. فصمت إلى الأبد !

وأتت هذه النهاية المباغطة لحياة الدوق المليئة بالصخب
والغضب ، إلى تبدل تام في الوسط الذي كان يحيط بالدوقة .
فقد كان عليها - حتى ذاك الحين - أن تفضل رفقة الذين

الغير - مع ميل عجيب إلى عرض ما لديها من عيوب - أدى إلى سلسلة متتابعة من الحفلات والولائم في (أوغردين) ، حتى عرف القصر باسم : « بهو الحرية » ، لما كان يشهده من صنوف اللهو والمرح . فكنيت تلتقى فيه دائماً بكل ما يروق لهم رؤياهم من الناس ، وكنيت تجد كل التسهيلات التي تتيح لك قضاء أطيب أوقات الفراغ ، وتحظى باكمل غذاء وإقامة ، وتقضى فترة من أجمل أيام الصيف ، أو من أبهج أيام الشتاء . . . فلا ملل ولا ضجر ، بل إنك كنيت تنعم بحرية الذهاب والمجيء ، كما يحلو لك . .

وكان كل شيء متاحاً لكل فرد ، مع « المشبهات المثيرة » التي كانت تتمثل في أنك ما كنيت لتستطيع أن تجزم بما كان يدور برأس الدوقة من اقوال أو أفعال تفاجئ بها ضيوفها . ولقد قسمت الدوقة حفلاتها - في ذهنها - إلى ثلاثة أنواع: « حفلات بمنزلة » ، و « حفلات عامة » ، و « أفضل الحفلات » . . . وكنيت ثمة حفلة من « أفضل الحفلات » ، في ذلك اليوم البديع من أيام شهر يونيو ، الذي ارتدت فيه الدوقة ما كانت تسببه « عدة الحديقة » - بعد أن نعمت بقليلة طويلة ، على غير عادتها - وذهبت لتتطف زهورها .

وإذ عبرت الشرفة ، واجتازت الباب الحديدي الذي يؤدي إلى حديقة الزهور . . استيقظت البهاء « تومي » من غفوته ، وغنح إحدى عينييه وأخذ يرقبها . حتى إذا ما أخفت

كان يختارهم والذين كان يرتاح إلى منحهم وهمرجيم . . أو ليملاوا داره ، أن تدعو من صديقاتك من يقبلن أهواء وميوله وأعماله بسرور إبقاء على صداقتها ، واستمراء للإقامة في (أوغردين) البديعة . . ومع ذلك فإن الدوقة لم تكن تجسد بسرة في تلك الحفلات ، إذ كان يجري في عروقتها - برغم ما التهمت به من خشونة المظهر - دم من أشد أنواع الدم الأزرق زرقة ! . . ومع ما كان في أخلاقها من غلظة وحدة وعدم اعتبار لمشاعر الناس - وهي صفات ليست قادرة لدى المسنات من سيدات طبقتها - إلا أنها كانت في أعماقها سيدة كريمة مهيبة ، بطيئة إلى مقدرتها على أن تقول وتفعل ما ينبغي أن يقال ويفعل في المناسبات الهامة . ولقد كان الدوق (المرحوم) ذا لهجة نارية ، وسلوك عنيف ، حتى إذا ما أودع - على غير ما كان يشتهي - داخل القبو الذي ضم أجساد أجداده في وحشة وسكون ، قالت الدوقة : « ما أبعد هذا عن مزاج العزيز المسكين ، حتى أنني لأجد راحة في أن أتمنى لو أنه لم يكن هنا ! » . . وتلفتت حولها ، ثم بدأت تتبين محاسن وإمكانات (أوغردين) !

ولقد قنعت الدوقة - في بداية حياتها الجديدة - بهواية تنسيق حديقتها والعناية بها ، وإنشاء أماكن لتربية الطيور والدواجن ، جلبت لها أنواعاً مختلفة من الطيور الغريبة والبرية ، التي أقدت عليها كثيراً من الحنان الذي لم يكن يجد إنساناً يناسب إليه ، في السنوات الأخيرة . ولكن بلبها الفطري إلى استضافة الناس ، وإلى الاستمتاع بتفقد عيوب

عن ناطلره ووصلت إلى حديقة الزهور ، أرسل لها قفلة
— بصوت مرتفع — وأردفها بتهتة لنفسه ، ثم عاد إلى شقوته
.. ومن بين كل الطيور والحيوانات المدللة ، كانت لتومى الحظوة
الكبرى فكان — هو المفضل الوحيد لما لدى الدوقة من عواطف
هزيلة — إذ أنها وجدت — بعد أن انتقل الدوق إلى مثواه —
أن من بواعث الضيق أن ينطلق كل صوت كان يطرق أذنيها
— من أصوات الرجال — بالملق والزلفى ، حتى لقد باتت من
المحتل أن تشعر باغتياب لو استطاع خادماها أن يرسل
شخرا أمامها ، أو أقدم قس القرية على مواجهتها بعبارات
خشنة .. ذلك لأن حزنا راسخا ثابتا ران على روحها ، حتى
رأت يوما — إعلانا عن بيعاء بيتار بلباسقة في الكلام ، وبأنه
يجيد النطق بحوالى خمسمائة كلمة . تسارعت إلى المدينة ،
وزارت البائع ، واستمعت إلى بضع كلمات من البيفاء ، وإلى
اللجة التي كان ينطق بها ، ثم اشترته لمورها ، وعادت به
إلى دارها في أوردين .

وقضى البيفاء ليلته الأولى جائها على حيلة أرجوحته ،
راغبا عن أن ينطق بكلمة من الخمسمائة كلمة التي كان يتقنها ،
برغم أن الدوقة قضت ليلتها في البهو ، منتقلة بين جميع
مقاعد .. فكانت في البداية على مقربة من البيفاء ، ثم ابتعدت
إلى ركن ناء ، ثم جلست في مقعد وضع خلف ستار ، بنسرة
إلى القراءة وظهرها متجه إليه ، وكأنها لا تعبأ به ولا تهتم
بأمره .. ثم تعبدت أن تجلس أمامه ، موجهة كل اهتمامها
إليه ، ولكن « تومى » لم يحفل بأكثر من أن يطلق بلسانه في

كل مرة كانت تبرز فيها من وراء مخبأ .. فإذا اجتاز البهو
أحد السقاة — أو أحد صغار الخدم — وهو واجف ، أرسل
« تومى » وابلا من القبلات تنلونها نوبات من الضحك الذي كان
يطلقه من بطنه لا من حلقه ! .. وحاولت الدوقة — وقد كاد
يغلبها اليأس — أن تذكره عيناها أبدأء من ملح في متجر
صاحبه فلم يأن لها ، بل كان يغمز لها بعينه ، ويضع مظهره
موق مقارنه .. ومع فلك غاب « الدوقة » ابتهجت بلونه
القانى ، وذهبت إلى مخدعها وكلها أمل ، دون أن يساورها
ندم ما على صفقتها !

وفي صباح اليوم التالي ، ظهر جليا للخادمة التي نظفت
البهو ، وللخادم الذي قرز الرسائل ، ولرئيس الخدم الذي
قرع ناقوس الطعام ، أن الراحة التي نعم بها « تومى » بالليل ،
قد ردت إليه لياقته . حتى إذا هبطت الدوقة درجات السلم
منتقخة — بعد أن سمعت ذقات ناقوس الطعام — حرك « تومى »
جناحيه وصاح بها غاضبا : « والآن ابتها الفتاة العجوز ..
على ! » . فأقبلت على الفلور بايتهاج لم تعهده بمذ شهور !

تجميع رام : هنا سحر الأزياء
أكبر مكتبة رقمية

الفصل الثاني

كانت « النملة حين شامبيون » — ابنة آج الدوقة — هي الوحيدة بين أقاربها ، التي يحق لها أن تتحد من قصر الدوقة مقابلا لها .. وما كان ذلك إلا لأنها كانت الوحيدة التي يحق لها أن تدعو نفسها إلى (أمريدين) — أو إلى قصر (مورتلاند) — فبعد عسحا يخلو لها ، وتقيم ما طاب لها ، وتشرح حين يروق لها الرحيل .. ذلك لأنها عند وفاة أبيها — وانتهاء إقامتها المزعزعة الموحشة في (نورمولك) ، كانت على استعداد لأن تحل محل الدوقة محل الابنة .. ولكن الدوقة لم تكن راضية في أبنته .. لا سيما إذا كانت هذه الابنة ذات آراء حادة تحبها ، ووجه ليس صارخ الجبال ! .. فقد كانت هذه الصمات تبدو لفخامة دوقة ميلدرام نعماء غير مرقسوب فيها ! .. ومن ثم فقد أوحى إلى « حين » بأن لها أن تأتي حينما تشاء ، وأن تقيم بالدار ما رغبت أن تقيم ، واسكن .. على قدم المساواة مع الآخرين .. وكان ذلك يعني حريتها في الحضور والرحيل في أي وقت ، وعدم التزامها بأية مسئولية نحو ضيوف عمتها .. فقد كانت السدوقه تؤثر أن تقتصر في حفلاتها — ومع صومها — على الوجه الذي ترضيه !

وكانت حين شامبيون — عند بدء هذه القصة — في الثلاثين من عمرها ، وقد وصفتها — مرة — شخص من ينفذون إلى ما وراء المظهر المسطح ، فقال إنها كانت — امرأة كالماء الجبال ، في صفة بسيطة المظهر ، وأنه لم يقدّر لها حل ، بل ظلم على



حين د هبط لدوقه در حات حليم مفتوح بعد .. سبع
دقات ناقوس الطعام ..

ما بداخل الصدفة ، ليرى المرأة في كمالها ! .. كان يومه
 من مجمل الأرض إلى مضمع مدم ، لاى محب عمر . لا تنظر سدا
 إلى خطو وحبها من الحمار ، واملاء جسمها ، وإلى بهم بأن
 يقرب منها لتدرك أعجب ما فيها كإمرأة أوتت بروء من
 الحمار كانت تعرف كيف تستيطر عليه . وللبس الراحه
 الباعه في ظل حمى ، ولينين ما لنها من عجب مثالي دافق .
 وليكشف مدى البهجة الراحه التي تنرب على اكتساب قلمه
 والزواج منها . . ولكن الرجل المعص لمص من الظاهر
 لجارحه ، المعبد المعطر إلى خماياها ، لم يكن مد اعبر من
 سبيلها مد . وكان يصيبها دائما البقاء في الصف الثاني في
 المفاسات التي كانت حليقه بأن تشغل فيها المكان الأول على
 كمل وجه . . وكانت وصيه الشرف في حصيلات رما لم تؤب
 لعرائس الماتبات فيها — برعم الخمس العاص — سيما يذكر
 من مؤهلات الزوجه ، التي وهبت حين بروء منها ! .. وكانت
 عرارة لألمال صديقاتها ، وهي التي كانت مو هب الأمومه لنها
 حليفة بأن تحير الأبواب وتملك الإعجاب ! ..

كانت ذات صوت رائع . حال دور الانشاء إلى وجوده أن
 وجهها لم يكن بصاعيه في الحمار . . ولما كانت تحدد العبره
 كمل أداء ، فانها كانت يستدعى لتعرف ، فيما بعد سواها
 وحلاصه القور أن حين ذمت دائب في المكان الثاني ، وكانت
 بلؤه وهي راصيه أتم الرضى . ولم بعد لها قط أن محطى
 من يكون ذات المكانة الأولى بأي شخص . ولقد باقت
 بها وهي طفله ، على محيط بيعة دكرى لعب الأسويه

وحنانها . . لعبره التي اعلمت في مدس الأومات — أن
 تصورها لنفسها في الخيال دون أن تمارسها !



وكانت لأنها وصيه مخلصه ومنه ، فصلت عن الصدفة
 إثر واه سبقتها . وقد صمدت أنها كانت على مقربة
 من دار « حين » — مدحى نحو اثني عشر سنة — ذلك —
 معرجت على دار الصدمه مؤمله أن تحدد من دكرها من
 الحدم . وإذ كانت برمه الآتية حين ، روميتها . قد
 بارحها الدار . مدحى جوع تناول اشأى — مدحى سبقت الوصيه
 إلى حجره درسه الآتية ، ومدحى ملأ قلبها بالدكرات عن
 الطمط الحلو ، التي كانت تشارك سبقتها العريه في
 إعرافها بالحب والعه . . وروعت في انتظارها مساء طويلة
 بقمه . بسطه النصاب ، ذات مملك صريح منه طامع
 القطن ، وثى من ثروء المكي . وصيفه امرأة فيها بعد
 مولها « احصاف إلى مايل جسم بحدتها ، دور انصاف إلى
 ملاه . الأمر الذي كبح الدكرات التي كانت قد فدمقت
 في دهر « ساره » . وهو اسم الوصفه — ثناء وجودها في
 عرمة بديرة الدار ، منكعب من راحب حول بيبيها الدامتن
 في حجرة الآتية ، بمفكره أنها هي الدار . سمعت ورق الحدران
 لجمال مع سيدتها العريه الراحه ، لنى كانت معرجتها مالمه
 بوء يصبح وعى الطمط العريه مدحى مدحى إلى الورود .
 وأدمت الوصفه قتلته « موسمى » مدحى مدحى — بدأ
 شمت — أى نوع من الورد كنت نعتك . .

وقبل أن تنقضى زيارة « سارة » ، كانت « حين » قد سمعت بشي أمور كثيرة لم تكن تحلم بها .. من ذلك أن أمها كانت مقبل يديها الصغيرين .. « آه » ما أكثر ما كانت تفعل ذلك يا أختي العزيزة .. كانت تسمى يديك « ورقتي الورد » ، وتضمهما مقبلاتها ! »

ونظرت الصغيرة - التي لم تألف قط أي مظهر للحنان - إلى يديها السرراوين ، غير الجيلتين ، ثم مسحت .. لمجرد التغلب على الخجل الذي اعترها إذ شعرت بعصه في حلقها ، وبلذعات غريزة لدموع تجمعت حلب أحماها ! .. وعكدا أصغرت « سارة » في روعها أن الآسة حين قد أصبحت - إذ كبرت - شاة ملا تطلب تقربا ! .. ولكن « مارولن » و « حيسى » - مربية الآسة ووصيقتها - لم تدركا سر النظافة الدقيقة التي لازمت اليدين - اللتين طالما كاسا مصدر شكواهما - منذ ذلك اليوم !

وفي ليلة عيد ميلادها ، راحت الصغيرة - وقد تحردت في لظلام من خلطها - تقبل يديها تحت أعطية المرائش ، محاولة بذلك أن تستشعر حنان شفتي أمها المتوفاة !

وعندما تولت أمر نفسها وشئونها - بعد سنوات - كان أول ما فعلته ، هو أن نشرت إعلانا دست فيه « سارة ماثيوس » إلى الاتصال بها ، ثم عيبتها وصيعة خاصة لها ، بمرتب مكن المراء الطبية من أن تنساع لعمها ما يكفل لها دخلا سنويا كريما .

ولم تكن حين ترى والدها إلا لها ، إذ كان من المسير على نفسه أن يصفح عنها : أولا ، لأنها قد حامت بنتا ، بينها كان هو راعيا في أمن فكر .. وثانيا ، لأنها وقد جسات بنتا ، خلّت سماتها من الجمال ، بدلا من أن ترث الجسالة عن أمها ! .. والآباء لا يرون - عادة - أي عس في أن يفضوا على ذريتهم ، إذا هي أوثيت بمض الصمات التي خلعوها هم أنفسهم عليها ، سواء أكان ذلك في الأخلاق أو في المظهر !



وكان بطل طفولة « حين » ، ورميق صباها ، والصديق المقرب إليها في شبانها ، هو « ديرك براند » .. الابن الوحيد لنفس القربة . وقد كان بكرها بنحو عشر سنوات .. بيد أنها لم تشعر قط بأنها كانت صاحبة المكانة الأولى في نفسه ، حتى في سنوات صداقتها المقبسة المتصلة وعندما كان بعد على دار أمويه لقضاء العطلات المدرسية - وهو يدرس الطب - كان لوالدته ولمهنته الأولوية - في تفكيره - على الصغيرة الوحيدة ، التي كان سر لوغانها ، والتي كانت قوة خلقها ، وروعة مقدمها المكري بشران اهتمامه .. ولقد تروح - فيها بعد - من فقا ذبضة الجمال ، على طرق نقيض مع « حين » . ولكن صداقتها استمرت - رغم ذلك - وازدادت عمقا .. ولقد أصبح مقدرها لأعمالها ، وإدراكها الملى بالمعطف لأهدافه وجهوده - بعد أن أصبح يرقى سرعما إلى مقسندمة الصف الأول في مهنته - قيمة غائت لديه شئ من بل ناقته ما ظفر به آخر ١ من إشارة كريهه ميتة عن رضى مبس !

ولم يكن لحسن شسامبيون صدقات مخلصات من لادته.
وتمتعتها ، إذ أن عزلتها ، في صلاب ، ولدت في طاعها صراجه
شبهه منحو تمسها ويحو الآخرى ، مما تعد الشعة بينها وبين
برك ، أو احتمال ، المحاللات لمسطه التي يطلونها ارباء
لاحتبس ، وذلك الهتاب الصغير ، المر كيت من شمس نبات
حسبها ، اما النساء اللاتي حبسن برمها وعدها - وكل كسر -
عد كل مدين في محضره ، إحتجابهم عن مدون وتقدير ،
ولكنهن كن صميم ، وحس إذا ما اعتدت في سبها على أن
صدقاتهم من لرحاض دأوا كثره ، لا سيما من النسب الدس
ذموا بفرس من في لشمعه ، ولدين إحتدبهم رهلاء بفرس
وذموا مشه ، لا اعتدوا أن يكتموا لها عن بوسر ، نسيم
وبرحيم ، بر صراعهم ، لم يكونوا مظلوم من تكسوه
في أمهاتهم ، ولقد كانت تعلم مهام الصم - بهم
كانوا بلاء من ، دما سبهم ، من الفج ، و " حين
لحسنا ، و جد بديده ، ولكني ذاب من خلو
مراحمهم من الحث ، وفانت يوم بعد سنة في طوعهم وقد
سادتهم ذلك ، صاعا بصاع !

ولقد تصادف ، عند ما سارته هذه القصة - أن كانت
حين شسامبيون " في إحدى زواربهم لوصفه لاومردين ،
وكانت تلعب الخولف مع شاب - من حشيم بومهامر من
سبيد - عندما ذهبت الدفعة لتقتصد ورود حديقها ، بعد
شهر ذلك اليوم من أيام الصيف - وكيف حين تعقد أن
لذي يقتر على لعب الخواف مشعب - لا يمكن أن يعنى بانقاذ

و لوم .. وأن اللعب مع شخص مماثل في انسمه ، لا يكون
سما إذا هو انصرف - طيلة الطريق إلى اللعب - إلى شرح
كل دمنعة في الطريقة التي أحرر بها كل همد في الميسارة
سابقة معك ، ثم انصرف - في عودتك - إلى الحديث في
مناحر من الطريقة التي أحرر بها كل منكما كل صمد في هذه
المره .

لذلك أحسب " حسن " من مثل تلك اليوم أقصى في عز
وميق - غير من العنى ، كاتكارات ، وهو الذي شسركها
للعب - عاد إلى الحديث عن المره اخرى ، إلى مر من
حيره الحصور - عندما حسم لغوم في عربة الشخص ، في
نك النساء - ثم قال " لقد كانت حين العمور راصيه " .
حورو بدمعها في اللعب ، وبكها من أن سم الكره رقم ٧
في الحمره رقم ٢ ، دون أن يرعو بذلك . لقد عزرب - في
صميم - إلا أعت بعد اليوم صاف لرهور إلى " موبو " .
ولست أصور كيف يمكن ، نحس بدالما في سهرات مع
لرامصات - بعد أن مصص تلك السره الحيله في اللعب مع
آمنة حسن . إنها برسل الكراب مثل الطفقات ، ماذا سددت
سربات عاليه ، حيل إليك أن الكرة عصور يطلق في العصاه ،
لقد علنهم في ثلاث دورات ، دون أن شسر إلى ذلك شيء .
إلهي ، إن المره لا يجرؤ على أن يصلحها إن لم يكن ظاهر
لدل .. أمسى الصفحات " .

الفصل الثالث

أشارت المذولة إلى الراسمة والنصف ، مدان ساعة
السكينة قد انتهت ، وبدأت العصافير تتشقق ، وسمع صوت
وقوق يتردد - بين حين وآخر - في الغاية المحاورة .

ودبت الحركة في الدار ، فانبثقت أصوات متع الأموات
وغلقها ، وأسرع خادمان في الزى الخاص محدم آل «مللرام»
- وكان يجمع بين لونى التوت والنضه - اجتساروا الشره
وهما يحملان موائد الشاي التى راحا يضعانها أمام المقاعد
الحشبية المشتة تحت شجرة الأرز . ثم نادر أحدهما بالعودة
لدار ، ومضى الآخر ليكسو الموائد بأعصيتها المساء الفاصمه .
ومع هذه الحركة استيقظ السقاء ، فسطج جياحيه وصمق بها
مرتين ، ثم أخذ يتهاذى على أرجوحته في صمود وهبوط ،
مسددا نظره نحو الخادم . . ومخاة صاح به مقلدا صيوت
رئيس الخدم : « انتبه ! » . فقد رأى غطاء إحدى الموائد
مسقط موق الحشائش . مصاح به الخادم : « أقبل مك ! »
.. ثم طرح بالغطاء نحوه - وهو ثائر - وارتد منظرى خوف
إلى حديقة الزهور ، حيث كانت الدوقة . . وصرخ السقاء
متحاشيا الغطاء : « أن تومى يريد قليلا من عنب الديب ! » .
ثم التوى على نفسه : وتعالى إلى أسفل أرجوحته . مأجابه
الخادم في خبث : « ألا تحب أن تحصل على بفيثك ؟ » . ورد
السقاء مقلدا صوت الدوقة : « لمعطه أحكم يا بريد ! » .
وبهت الخادم ، ثم التفت وراءه - إلى حيث كانت الدوقة -

واحد مطر النبقاء بسرعة وأبلا من اللعنات . ثم صمعه وأسرع
إلى الدار ، تنتمه قهقهة « تومى » متزجة بوابل من الزهر
والسحاب . الذى انطلق من السقاء عصبا بها لحقه من إهانة .
وقد راح يرمع ويهبط على أرجوحته ، حتى غلب الخادم عن
نظره .

وبعد محو دقائق ، رحب موائد الشاي بشتى أصصيات
الطوى والمطائر وغيرها من المأكولات التى تعتبر ضرورية مع
الشاي - في الأصيل - في إنظرا . . ولجعت الأواشى العصبية
موق مائدة التخمم - حيث وقف رئيس الخدم بشره على
العمل - وقد امتلات بالمطائر والحبز المقدد ، والكملك ، وكافه
أمواج الشفاير التى تصحب قطع الحبر - الأبيض والأسود -
المكسوة بالربد . بينها كانت المسحاح الملائى بالمرأولة ،
بصفي ظلا غنيا مديما على اللونين الأبيض والعصى . وما أن
.. بإعداد الموائد ، حتى رمع رئيس الخدم يده وقرع ناقوسا
مسننا اثريا مطلقا في شجرة الأرز . وقيل أن بتلاشى رس
قائه ، سمعت أصوات في كافة أرجاء المكار . . ومن ناحية
المهر ، ومن ملاعب النفس . ومن الدار والحديقة أقبل
صوت الدوقة بفنطين لمرأى موائد الشاي وما حوته ،
وأسرعوا إلى ظل شجرة الأرز المنعشة : من سساء فائنات في
الأمس بقاء بحبين بشراتهن في حرص وعناية ، تحت قبعات
.. أو مضلات أنفه . . ومعدات مرحيات ضحكين ملون
.. اتهم - من زمن طويل - لقاء الراحة المتعة ، وأقبلوا موه
الحشائش حشرات الرؤوس ، يطوحون بهذه لمره انكرت ،

ومن يتناقش في المبررات الأخيرة الحامية .. ومن رحل في ملابس صوفية بيضاء ، لوحت للشمس وجوههم بنوا أكثر بها ، وقد أقبلوا يتكلمون ويصيحون ، ملطرس ألعاب رميلاتهم وهم يحرصون على الصمت عن العاصف في أدب وتواضع .

وكان مطرهم مبهجا ، وقد سحيمو تحت ظل الشجرة العاسفة ، وقد أصبح مصهم في أيقاع الحبرانية ، وسطقت بعض آخر على الحشائش الملساء . وحدو جميعا في ساول ما يشتهون .. وعذما اكتموا من الشد والتهود والثلجات ، عانوا إلى العوسياء والهرج .. فعل أحدهم « إدر يستصل اللله العرمة الموسيقية التي يقدمها لدومه » . وقال آخر « كم كنت أود لو أمهد علقوا بهذه لأشجر بعض المصاييح الصبيية . وأقاموا الحفلة عبا - في الهو ، الطلق - باسمي لا أطيق الرجاء ساجل الدار » . ، ساجاه حارث دالمس حسبا .. اننى سظم الحفلة - كما معل - وأعدك بأن جيه الأواب المصيلة بالشعرمة سستم على مصارمها . ومن ثم طر سطر أحد إلى البقاء في عرمة الموسيقى . ليسنى لمرعد البقاء خارجا إلا يحرم من الاستملاء إذا أراد أن يقى في الخارج ، وسيكون ثمة صف من الماعد المرسحة على طول الشرفة ، محوار البواعد .. وقد لا يرى كثير من حشرى . ولكثك ستسمع كل شيء نياما .

نصاحت إحدى لامعات الناس « ولكن المشاهدة مصم المتعة .. والذين يبقون في الشرفة ، سيمصه عليهم مشاهدة أحمل ما في الحفلة عندما تغد الدوقة العريرة كل شخص بر

لصبرين . منى لا يلقى بالفرق في الداخل ، وأرجو أن نحجز

وعبا سحلب سدى . بحسبى « - وكنت قد وصلت إلى ثقم طم - ثقلت من لدى سكون عصر المباحة لملته » . « قد بها يارنى سقران » . « إني ملبها ، مسوم » . « قد سقى عظه الأسيوع » . وسكون في ذلك معمة كبرى لنا حيف . « كن موسع جد أن يدبر مقدم » . « ملها » . « سوى الدومة » . « وبكار لكر أن عربها بالحضور سوى ، أومردين ، وسوب معى أعمة وحده مع اعرفة الموسيقية ، سيمد منى عم ساه لثقه من أنه سيمساق بعد ذلك وتشتف سمامم بالكثير من أعاسها .. وسيمع » . « حين » . « بأن سوزف منى لسم » . « من حين وآخر - بعض امتاحيات القطيع » . « تمصه لدى ، ملب » . « مسرعان ما سمع صوبها السحري ، إدر لا سون على معاوية العباء مع العرب الرائع ! » .

وإذا سنده . كانت قد رعب للمرة الأولى إلى « أمصير حلال » . الدوقة - تقسول « ولماذا طلب لسمدة ملبها مصم المباحة ؟ » . ساجتها لدى انطلى . « إني إحدى مكاهات الدومة با عربرى .. فإن العرمة الموسيقية قد ستمتدبت بتشتف أسباع صوب الحفلة ، وتكرما وحيية لكر المدعوس من أهل هذه المنطقة . مان علسة القوم من لملاد « محاور » قد دعوا . وليس معروضا على أحد منكم أن يقوم سى دور . ولكن سشاهير الصيرة » . « لك ، ديم » . « في الواقع - سشركون في الدرمسج أنه » . « إني أنا في للهو ،

وإرضاء لأصدقائهم وأقاربهم . . . أما فسلبتنا نحن مسكون
بعد ذلك ، حين تعقد الدومة اجتماعا لنا لمراجعة كل ما مرر
طالمة إبداء الملاحظات والتعليقات ونقد الشخصيات . انذكر
يا « دال » عندما شكت الدوقة ورقة بيضاء من أوراق الكفا
في الثوب الذي ارتدته على مائدة الشساي ، وجعلتها على
شكل طوق كلب ، حتى إذا رغبت استقب الكنيسة العليا .
اصطرتة إلى أن يغنى بأعمال إحدى الأعمى الهزلية . . . وفي
نهاية السهرة تماما ، نتققد من أدوا أدوارا - محاورة و ذلك
عن « فيليا » أو من يعادلها من العتائين المدعين - وتبين
كيف كان ينبغي أن يكون الأداء . والحق أن في بعض استعاداتها
نعما للهواة . ومحاة يهتلى جو المكان بالموسيقى ، وسود
الحضور مسكون عميق . . ثم ينصح للهواة - الذين دعتهم
الدوقة إلى العرف أو العناء - من الصوصاء إلى كانوا يقومون
بها ، ليست من الموسيقى المسيحية في شيء ، مبصرون
إلى دورهم واجبين . ولكنهم لا يلمنون أن يمسوا كل شيء
في العام التالي ، أو تحطمهم ثلة جديدة من الهواة الراعين في
المساهمة . . وهكذا نتجح دعابات الدوقة دائما ! .

وعند ذلك تدخل « رينالد امحرام » قائلا : « إن السله
حين شامبيون لا نقر هذه المهازل ، ومن ثم ماينا تتلقى عاده -
نصحا بأن تنكر في زيارتها ، قبل المسامحة . ولكن أحدا لا
يستطيع أن يحيد العرف - عندما معنى « سلبا » . مثلها .
ومن ثم فقد صصدر الأمر إلى حين بالنقاء في هذه المرة .
ولكني أشك في أن « عنصر المباحاة » سيكون عظيم الوقم

كالعهد به ، ومن المؤكد أن اللهو مسكون مانرا في هذه الليلة .
فان النيلة « حين » معروفة بسردها على الدوقة في مثل هذه
الأحوال . وهي في مأمن من محمل أسوأ العواقب في حينها ،
غير أن أثرها في كبح هذه الروايات عظيم جدا مما بعد ! .

مقالت متاه أمريكة وصاءه الجبين ، في حراء ، وهي يتناول
المراوله المظحه ملعقة ذهبه قدمها لها حارث دالمين ، مقالت .
« اننى اعتقد أن الأنسه شامبيون على حق . . فنحن نعتبر
- في بلادنا - أن من اصعبه أن يصحك من قوم كانوا ضيوفا
علينا . وقاموا بعمس الثوابت الفبة في بيوتنا » فأجابتها
ميرا اطلنى قائلة « ليس في بلادكم دوقيت يا عزيزى ! » .
وكان رد الفتاة الأمريكة أن قالت في هدوء ، وهي تعسود إلى
تداول الماكبة الملحه « ولكننا نبتكهم بمرر مبرر . . . واعتقد
ذلك صحك شديد ، ثم أصبح الحدل بين الإنجليز و الأمريكة
موضوع حديث الجميع .

وما لست أحد الحاضرين أن تسأل قائلا « أين السله
حين ؟ »

صاحب رونالد امحرام « أياها تلعب الحولف مع بيللى . .
آه ، ها هيا عائدان ! » .

ولاخت « حين » بفانها المشوقة - قادمه - على لثمة .
 يصحبها « بيللى كادكارب » الذى راح يتحدث إليها بأعصاب .
 وبعد أن وضعها على الحولم فى المهبى الصغير ، اتقلا معا على
 مواد الشاي . وكانت حين مرتدة معطفا وثوبا من « لود »
 الرصاى ، وضبطا خفيا - محظوظا باللوس الأبيض والأررق -
 وبناته وكفن مشاة ، وملححة خيرية ، وقمصه من اللباد
 القاعم عليها بعض ريشات سود . . وكان فى مكتبها لبونة
 واتران ، وفى حطواها ما يشعر بقوة بديسه وحسب محكم
 الحركات . . كان مظهرها إجمالا مختلف احتلاما عنها عن كل
 النساء الجميلات المصنعات تحت شجرة الأرز . غير أنها - مع
 كل ذلك - كانت لها أنوثتها ، وبعبارة أدق : لم تكن من مرحلة
 إذا سلمنا بأن كل شيء قوى معزى إلى الذكر - وأن المرأة
 التى تغلب مظاهر أنثى - دون أن تملك من القسوة شيئا -
 من مرحلة . . بل إن « حين » كانت ذات أنوثة صادقة ،
 تتبدى فى إقدامها على أن يرتدى ثوبا بسيطه كانت تتبشى -
 فى نقاسق يستدعى الإعجاب - مع بساطه قسماها وإملاء
 جسمها . وتلعت إلى وسط الحلقمة المصنعة تحت شجرة
 الأرز ، واحتلت أحد المقاعد التى أخلاها لها الرجال دون مكلف
 أو اعتماد بالتمس . . الأمر الذى كان من أبرز صماتها
 الشخصية دائما .

وبدا أحد الحاضرين الحديث قائلا لها : « فى أى شيء عند نفوت
 ما آتسه شامبون ؟ » . . وإذا كان للتعبير الذى استخذه فى
 مقال « نفوت » استعمال مجازى معصم « أرديت » ، فقد
 قالت بغيره : « فى بلاسى المقعد » . . فاستمعها بيللى
 صانحا : « لقد بسوقت . . » . . ولكن حين تاطلمه ثانية .
 « بيللى ، أرحو أن تصمت . أنت تعلم أنك وأما المتهوسات
 الوحيدات فى الشعب بالحولم . . وأكثر أصدقات الموحودين
 يحولون منور اللعنه . ولا يدرون ما يدمعها إلى المساء والتماجر
 إذا علمنا على أى لاعب . . أين معنى الدوقة . . لقد كان
 سيمونر المسكين يهرول فى كل مكان - عسديا دخلنا القصر
 لودع معنى اللعب - وكان يبحث عنها ليسلمها مرقيسه . .
 مقاتل ميرا » . . ولم لم تقصى الرقصة أ . . فأجبتها حين
 « لأن معنى لا تسمح لأحد بأن يعض برذيانها . . إنها مصب
 الماحاب المثير ، ومن الحفيل دائما أن يحول أنه مرقه أنها ،
 مثيرة . . وهى تقول دائما إن الماحاة تعد لديها إذا سقطها
 فى ابرى : إلى الإطلاع على الرقصة ، ليلعلمها محواها فى لهجة
 حادثة رقيقة ! » .

وهنا صاح « حارث دالمس » الذى كان يجلس مواجهها
 لدخل حديقته الزهور . « ها هى دى الدوقة قد حضرت ! » .
 فالت « حين » فى تحدير : « لا تذكروا الرقصة ، فلن يسرها
 أن تعلم بأننى سبقتها إلى المنم بمجرد وهساها . . ومن

الخط أن محرمها لذة اقتطاف ثمرة اللذة غير المرتقة ، التي
تتمثل في وصول الرقية في مثل هذا اليوم القاطئ ، الذي
لا يبدو أن من المنتظر أن يحدث فيه أمر غير عادي ! » .

وعند ذلك التقوا جميعا ، وراحو يرفسون الدوقة وهي
تخب في مشيتها نحو المرح .. بالهذه المحور المعجبة الأطوار .
التي جمعت بينهم جميعا في هذا الحمل ، والتي كانت تمتلك
الدار الجميلة التي كانوا يقضون بها هذه الأيام الممعة ،
والتي كانت نزوانها المعجبة موضوع حديثهم وهم يشرمون
الشاي ويسمرئون مداولتها ! .. ونهض الرجال - عفا
ومولها - ولكن .. في غير اهتمام وتحسس كما معلوا لدى
ومسول الأنسة جين ! وكانت الدوقة تحمل سلة خشبية كبيرة .
امتلات إلى قبتها بالورد والزهرة النديعة السادرة .. كانت
كل رهرة مثالا لكبال الزهور ، وقد اقتطفت في أوح اردهارها
تيها !

الفصل الرابع

أمرعت الدوقة سلفها موق مائده العراولة ، وقالت
لاهته : « إليكم انما الناس الطيبون .. حدوا ما يروق لكم ،
فاني اود أن اراكم جميعا الليلة برسين بالورد .. ستكون قاعة
الموسيقى محمعا للورد ، وسيسطلق على حلة الليلة : « عيد
الورد » .. كلا ياروسي ، هذا الشاي قد مضى عليه نحو نصف
ساعة على الأقل ، وخلق لك أن يكون أكثر حبالى من أن
تدمننى إلى شره . ثم اسى لا اميل إلى شرب الشاي ، قبل أن
أتناول كاسا من الويسكى والمودا - عند استيقاظي من
إغماء القيلولة - وهو كما لا يمتنى حتى يماد العشاء ..
أه ما عذرتى مرا ، أذكر اننى حصرت اجتماعكم الطريف ،
ووقعت ذلك المواق المديع : « لنشجع الآخرين ! » ، غير اننى
ذهبت إلى الطبيب مباشرة ، عقب خروجي من داركم ، وقد
مضى ترحيبا يبيع لى أن أقول : « لا بد » ، بشأن أى شيء
أحس بالحاجة إليه .. وإبنى لأحتاج دائما إلى كأس من
الويسكى بعد غفوة الظهيرة .. حقايا « دال » ، أنه من أحدث
الردائل ، لاى رجل - بعد استقاء رجال المسرح - أن يظهر
في مثل بهتك وأنت في قميصك البففسجى الباهت . وربطة
عنك المنسوجة القنية ، وهذه الحلة من الصوف الأبيض
الخنيف .. ولو اننى كنت جعك ، لأرسلك إلى حبرك
لتستبدلها .. وإذا كنت بذلك تدير رؤوس المعهذ من
أشلى ، فما بالك بهؤلاء التفيتات الياغمات ؟! أصبت بـ جوبي ،

إن ما تقولوه غير لائق - ونفس لك أن يغار من - دال - ، وثيق
ماننى شغوفه بك أكثر منى به !.. دال - هل لك أن ترسم
بفنائى الأحمر ؟! » .

أما الرسام الشاب الشاب ، الذى عرضت لوحاته فى معرض
العنون فى ذلك العام عاثرت كثيرا من الاهتمام فى الأوساط
الفنية ، والذي استحق لقبه السفسفى كل هذا الامتداد .
مقد أغسطس فى مقعده المريح ومقد مبدىه حلف رايه - ، وأمر
عبداء العسلتان سرورا ، وقال للدوقة - « لا - أحب الدوقة
العريضة .. أرحو - بكل احترام - إعمائى من هذه المهمة .
ما تومى نحاحه إلى أحد كبار هواة الطيور - ليس - بوليه
وشخصيه مقدرا عادلا ، فضلا عن أنه من دواعى الإنسداد
لشباب برى ، طيب التربية مثلى - كما تعلمين - أن بعضى
ساعات طويلة فى رفته « تومى » - فخصا إلى ما يوحيه عدا
الطائر اللطيف من ملاحظات وكتابات . وأما عاكف على رسمه
، ولكنى أصارحك بها سوف أمله .. - مصورك أم
ما سدى الدوقة ، ولكن فى غير هذه القصة ، لأن أية قصة من
القش ذات اثر طه سواد تلف تحب الدق ، نعمت السقاء
إلى نفسى .. ولو أننى استسلمت لشعورى الطمعى الآن ،
لخضعت وحى فى حجر الآتية شامبيون ، وركلت الهواء مذهب .
ورحت أصرخ حتى تخلمى عنك هذه المصعة ! .. لى على
استعداد لأن أصورك وأنت فى ثوبك المحل الأسود - الذى
كنت ترتديه ليلة الأمس - مع ملقة من طراز « مديشى » ومع

الدانتلا العاجره والجواهر سوح راسك .. وللمسكى فى
بذك مرآة بلورية قديمة ، ذات إطار فضى ' .

وخس الرسام يسجل حميه - سببا سيطر الصوت على
« جمع المرح المخطبه ، وهو نصف الصورة مصوت على ،
الموسيقى والموسى . مقد اعتاد الناس أن يمثلوا الصور إذا
ما وصفه « حارث دالمين » وكانهم يرونها رأى العين ، حتى
أهم لمقولون - عند رمارتهم لمهد المنور ، أو للمعرض
الحدود - فى العام البالى للوصف « آه - ها هى دى لوحه
دالمين .. تها كما تمثلها يوم وصفها - قبل أن يحط برسمه
حظا واحدا منها ! » .

واسمى دال - كما كانوا يدللونه - وصفه قائلا .
سمسكين المراه بذك السرى ، دون أن تلقى بطرك عليها .
لأنك لا سطر من إطلافا إلى أنه مرآه - عزمى الدوقة ، اللهم
بلا حين تودس أن تتأكدى مما إذا كان يترنك لحاديك - وهى
تقف حلقك - قد اكاهها ، وبها إذا كان هذا هو السبب فى
ارتناكها وهى بتولك الدباسس والأشياء الأخرى .. ما من صح
حديك - سارعت إلى بيده حادها ما ن تعدبها بأن يعقبها
من العمل يوما ترور فيه أمها العجور ، وبقدبها أجر الذهب
« العود .. أم إذا لم يظهر عليها اثر الكاء ، فانك تصاعفين
حرته الرخر والتقريع . ولو كنت فى مكان الخادمة لاستمر بكاء
سبوع تقال لتعكس على صفحة المرآة نور - مديشى . ذلك
مذكى أو أرا غضبك .. ولا بد أن أحدهم من سجد أن سجد مط

ندموى موق عفتك ! .. وهذا قالب له الدوقه " دل . أها
الطفل المهرار .. دع حادمانى ورقسى ودموع التماسيح .
وأص في وصف الصورة التى مرعبت ان رسمها لى .. ما الذى
أعمله بالمرآة ؟ » .

مستأنف حارث دالمين حديثه وهو عارق في التفكير : « لى
منطرى إلى المرآة ، لاسماعلم جيعا ان عد امر لاسعليه نط .
حتى حين ترتدين هذه القسعه وبعمدين الانرطه - وهما ارجو
لانسه شامبون ان نسلأ بيدي - في أشوطة تحت دفتك ..
حتى في هذه الحالة ، لاسطرين إلى مرآتك .. ولكنك ستخلسين
و المرآة في يدك اليسرى ، ومرمقك ممدد إلى مادده شرمفه
من الأسوس الأسود المطعم بالمعاج .. ثم تدبرين المرآة لتعكس
شيمًا أمامك مباشرة ، خارج نطاق الصورة .. ستظهرين وأنت
تأملين هذا الشيء في خزان علوى .. وعلى صمحه المرآة ،
سأرسم صورة كائله مسمره - بالوال حبه ، راهبه - لسنعائك
الأحمر موق أرجوحته . وسينطلق على الصورة اسم
« انعكاسات » .. لان المتبع ان يطلق الإنسان على الصور
عناوين حديثة ، مبتكرة ، نامية ، وقد أصبح الشائع الآن ،
ان يكون العنوان من كلمة واحدة . غير معبرة ، اللهم إلا إذا
شعرت بالحاجة إلى احتذاب انظار الجماهير - في قائمة
المعروضات - من يطلقى على صورتك عموما بمألف من عشرين
سنا من شعر تينسور .. ولكن عندما ينتقل الصورة إلى الأحيال
الثالثة . كتجمة من براك الأحاداد ، سينطلق عليها في قائمه
المعرض القومى اسم : « الدوقه والمرآة والنفاء » .. » .

وهما ملكت الدوقه في سرور بالغ : « مرحى ! .. لسوف
مرسبها في مععاد يتسمر منه عرضها في المعرض العنق للسنه
القبلة ، وسفذهب جيعا لرؤيتها ! » .

وقد عمل .. ودهنوا جميعا لرؤيتها ، وصاحوا جميعا - بصوت
واحد - حين انصروها : « هى نالها ! .. كما رأيناها منحتنا
تحت شجرة الأرز في أولردين ! » .

وما لبث الدوقه ان صاحت : « ها هو ذا سيمور يحضر
شيمًا على صبق .. ما شد ما نلكا عدا الرجل . أما من باصم
له بأن مسرع الحطى ! .. حين ، أنك تقفمين موق هذه
الحسابش كما يعمل مادام القابل الدوقه ، مهلا شرحت
لسيمور كيف يسير مثلك . حسنا ، ماذا معك الآن ؟ برمهلا !
برى أى حادث مطيع قد وقع ؟ .. من منكم يخص .. أرجو
الا يقتصر الأمر على أن أحد الأعباء قد فاته القطار ! »
ومن صمت وسكون وانقطاع أنعاس الحاضرين فصبت الدوقه
الفلاف البرتقالى ، عدا للصبح ان المأخاة كانت قومه وليست
موصوعا للمكاهه . لان وجه الدوقه - الذى كان بطبيعته أخمر
البشره - أصبح أرجوانيا ، وقد بدل الاستنكار ملامحه نبالا .
وهما فامب « حين » في هدوء ، منطرت من طلف عبتها ،
وتلت البرقية الطويلة ، ثم عادت إلى مقعدها .

وصاحبت الدوقه ، أخيرا : « مظلوقه ! .. من يحضونه ! ..
هذا جزاء أن ندعوهم أصدقاء ! لقد كنت معذرة أن أتهمك بـ

عقدا من اللآلئ ، يعمق في قيمته ما قد تقدم لها من آخر عن
أعنه واحدة . . . وها هي ذي تنحلي في اللحمة الأخيرة . . .
بألها من مخلوقته ! . . . وهنا تدخلت حين مثله . « إذا كانت
« ميليا » المسكينة قد أصيبت محدة بالسحاب المحصر .
ما عمتي العريضة ، بمن الطبيعي ألا تقوى على المعاء . ولو
أمرتها الملكة ! . . . وأن برقيتها لتعيش أسما واعتدرا ! » .

مصاحت بها الدوقة عاصمه « لا محادلى يا حبيب . ولا
تنحى اسم الملكة في اساقشها ، فليس للملكة علاقة بحفلى
أو بحضرة ميليا ! . . . أنك لتعلمين كيف أمقت الأمور غير
اللائمة ! . . . لماذا تصاب بالمرض — الذى تذكرين اسمه — في
عين الوقت الذى كانت قادمة منه لتعفى في حملى ؟ . . . ما كان
الناس . . . في أيام صباى — يشكون هذه الملل احسنه . . . اسى
لا أطلق هذه الرائدة الدوديه التى تؤدى إلى مسح بطون الناس
لأنه حجه . . . لقد كما — في أمام شمسها — بدعوها بالاله
المعدي ، وكلنا نعالجها باعتبارها تركية ! » .

وأخبرت « ميرزا امحلى » وجهها خلف فتحة الباب بسعة . سيما
همس « حارث دالين » في أذن « حبيب » مقلدا الدوقة « أنك
لتعلمين كيف أمقت الأمور غير اللائقة ! » . مهزت حين رأسها
له ، وأبت أن تبتسم !

وصاح نومي ، أثناء هذا النقاش : « نومي يريد قليلا من
عند الديب ! » . إذ استوعى سمعه ذكر الأعشاب التركية
سادت الدوقة في صديق : « ليعطه أحدكم ما يرسد ! » .

محاسنها حين . « لا يوجد شيء من عند الديب باعتمى العريضة »
عثارت لدوقه . وصاحبت في وجهها « لا ساقشيني أنتها
لسماء ! » . وعقبه « جارث » متبسطا ، وهو يهر رأسه لجين :
« إذا قال نومي » عند الديب « . فهو بقصد أى شيء أحصر ،
وأنت تعلمين ذلك كل العلم ! » .

وهنا سارع عدد من الحضور إلى البناء بحسن وخرجير
وحجار ، سيما سقط « حارث » عودا من الحشيش ، وأعطاه
لحسن مند لهنه واهتماما . ونحن حين تجالط أمره !

ومالت الدوقة أخيرا : « ان الرقية لا تتطلب ردا باسمهوس ،
بل لا مذهب ! . . . أواد من بقاء هذا الرجل ، ليعلمه أحدكم
كيف مثنى ! . . . ولبعد الآن للموسوع : ماذا نحن ناعلون ؟ .
ان نصف اهل المقاطعة قادمون لسباع « ميليا » — مفاء على
« نومي » — و « ميليا » في لندن . نرغم انها مصابه بالتهاب في
الرائدة الدوديه . . . كلا ، أقصد المرض الأدر . . . أواد ، سحقت
لنك المرأة ، كما يقول نومي . . . مصاح بها نومي ! » أعطى
ملك ! . . . ساقشيت الدوقة ، وحلست صامتة ! . . . وهما
قال « حارث » ، في تلطب بالغ « ولكن اهل المقاطعة لا يعرفون
ان مدام « ميليا » كانت قادمة ، أنها الدوقة العريضة . . . لقد
كان الأمر سرا مكتوما ، وكنت شعرمين ان مصاحي الحضور
بها في النهاية . وقد وصمها ليدى امحلى بأنها « عنصر
المخافة » الذى أعدته ! » .

وأطلقت « ميرزا » برأسها من وراء القبة . مشدودا ليدى
برأسها ، وقالت : « هذا حقيقي . . . لقد كان دورها أدعيا و

الحلوة .. يا للمخلوقة ! » - وقال « جارت » ، وهو يحاول إقناعها : « لكن يا دوقتي العزيزة .. ان اهل المقاطعة لن يشعروا باستياء ، ما داموا لا يعلمون بأمرها .. انهم سيمحضرون ليسمع معصوم المعص .. وليبنوخوا سرائك ومثلجاتك .. وهذا ما سوف يساج لهم ، ثم يصرمون معصطين ، متعنين بمهارة الدوقة العزيزة في اكتشاف دوى المواعف من أمماء المقاطعة ! » .

واوصت عينا الصقر - اللتان اوسمها الدوقة - وارتمت انهب المعصوم ، وقالت - « ها - ها .. عرابها سيمصرون قانسعين معروهم ، راضين أتم الرضى عما قابوا به من عناء ناله . في حين أن مكرنى برمى إلى أن يركبهم يقومون بأدوارهم ، ثم يشرح لهم عيوبها وصحبتها وخبيثه ذاتها ! » . وقالت « حين » مترقفة : « يبدو أنك مسيت - يا عمتى حسا - ان أغلب أولئك القوم قد زاروا المدينة ، وسمعوا كثيرا من الموسيقى السليمة ، بل وسمعوا - في العالف - مدام « ميلها » ذاتها ، وكل المعنبن المشهورين . وهم يوقنون من أنهم لا يصدقون الغناء كما تجيده مطرمة الأومرا ، ولكنهم يبدلون مصصارى ما تبيحه لهم الهوايه ، لأنك تطلبين إليهم ذلك .. ولست أراهم في حاجة لأن يلقوا درسا ! » مصاحت بها الدوقة « حسن ، للمره الثالثة - في هذا الأسيل - اضطر إلى أن اطلب منك ألا تجادلنى ! » .

وقال حارث دالمين : « لو اننى كنت حدثك - يا آنسة شامبيون - لأرسلتك مورا إلى مراثك ! » . معادت الدوقة

تردد : « والآن ، ماذا نحن فاعلون ؟ .. لقد كين مقسرا ان معنى مدام ميلها اعنيته « المسححة » ، وكنت أمتظر ذلك من كل على .. ومد صميت رساب قاعه الموسيقى بأسرها ، لتمشى مع الاعنبة ، مقاتلت من عقود من الورد الأبيض ، وصلبت اجور كير حلف المنصه ، صنع من الورد الازرقاوى .. حسن ! » . فبادرت الفتاة : « نعم يا عمتى ! » - ولكن الدوقة مالت بمسيق : « أف ' لا نقولنى « نعم يا عمتى » بهذه اللهجة الخوفاء .. اليس لديك اقتراح أو رأى ؟ » فنهفت البيضاء مجده . « سحفا لهذه المرأة ! » .

وارتد الانتهاج إلى الدوقة ، مصاحت : « الا اصعوا لهذا الطائر المحبوب .. لمعطه احدثكم ثمره من المراويله ' .. والآن يا جين ، ماذا تقترحين ؟ » .



وكانت « حين » تجلس ، وظهرها العريض متحنه - باحراف - نحو عمتها ، وإحدى ركنتها موق الأحرى ، وقد اشتكت بدائها الكبرتان حولها . مرععت مدنها ، واستدارت قليلا ، ثم نظرت إلى عيني عمتها الجادسين ، اللتين كأننا نرققاهما من تحت قمعتها .. وإد قرأت مبيها مرمج اللوم والرحضاء ، أشرق وجهها باستسامة ، وصميت مرهه لتؤكد من معنى كلمت الدومة . ثم قالت في هدوء : « سأعظم لك أغنية « المسححة » - اللبلة - بدلا من « يلها » .. إنها تده راعبه في ذلك حقما عمتى ! » .

الثانية .. لا ، مع الأسف ، إني أراء مرأيتك في عبيه
نسخه ، « أفور ما عاته السلاح الكيل - في لحظة التي
أقامها الدوقة لمستأجري أراضيها - عندما أرادت أن تقدم
له من الحلوى للمرة الثالثة - « لا أقدر ، يا مولائي » .. » .

فقالت جين : « لا تكن مهزازا يا دال ، ما في وسعك
ملاعتي في « المسححة » على ادع موال ، لو أنني أردت منك
ذلك ، ولكني أفضل أن أعزها بمسعى ! » ومالت ليدى
أسجلى في عصف طاهر « انني أمهم ذلك مباب - من من المرب
أثناء العناء أن يعرف أن يوسمك - إذا لاح أن تهه خطب -
أن تشوقني عن العناء أو عن العرف ، ثم سلاسي سين
الانسين ! » . وهما نظر كل من الاثنين اللذين كانا يحيدان
الموسيقى إلى الآخر ، وأومضت أعينهما ، ثم مالت جين : « انها
مبزة ناعسة - بلا ريب - إذا دعيت الضرورة ! » فقال
جديس : « إني على استعداد أن أوقف عن العرف ، لاني
بين الدهر وديس ! » . وأجابته جين : « إني وأنته من ذلك ،
مأنت دأنها كريم ، ولكنني أفضل أن أتولى العناء والعرف
معا ! » . مرد في طلق « لسوء بسين أن - العرف -
نصلي بصوتك إلى حسب مكن بهذا الاتساع ، ما به نفى
وتواجهي الحضور ! » .

كانت « جين » أثيرة لده ، وكان - كرجل - سكره أن
تحقق صديفته في شيء أمام المأ .. وأشرف في عني « حسب »
استمائها الهادئة ، ثم انحدرت إلى شعثها .. بهما كما حدث
حين أدركت رغبة عندها في أن تتطوع لتحل محل « ميلب » . ثم

مطرت حولها ماذا أعليه الحاصري قد مدقوا إلى حسانات
صعيره ، واتحه كل أنس أو ثلاثة منهم إلى ماحيه .. فمنهم
من ولجوا الدار ، ومنهم من ساروا إلى التهر .. ونبت « جين »
مع « دال » و « مير » . وكانت عيناها الهادئتان تشعان سرورا
عندما تبينتا النظرة الطقة في عسي حارث ، ثم قالت : « نعم
أني أعلم ما مقصد ، ولكن اهزة الصوت في القاعة على أتم
استعداد ، وقد علمت كيف ألقى بصوتي وأورعه ..
وقد لا تعلم - وأني لك أن تعلم ، في الواقع ! - أنني حظيت
بامبار عظيم إذ درست على لسيدة ماركرى في باريس ، ثم
حافظت على مستواي بعد ذلك ، ما لمران ساعات مبعة - بين
آن وآخر - مع أمتها التي نفيم و ليدن والتي لا تتل عنها
مواهب . وبذلك تدعى لي أن أعرف كل ما يجب أن يعرف
عن الحكم في السوب إذ مد أدب كثيرا من هذه المرمص
الذهبية » .

وبدت هذه الكلمة الهادئة لها كالعمار ، فلم تمه مدس أكثر
ما كان يحتل أن منهم لو أن « جين » قالت : « انني كنت
أعلم سول مامي ! » . ولم تكن في ذلك مبالغة ما - في
الواقع - فقد حاولت ليدى انطلي - « أن يحرق طريقته
« سول مامي » في الموسيقى والعناء ، تعلم حديثا وحادياتها
كيف يقبمون حملاب مشتركة .. وكان ذلك في فترة أوقعت
مينا حديثا نوى مواهب موسسة ممترة . إذ كان مساعدا
رئيس الحدم ذا صوب جبل ، وكان يوسه السابق أن يعالج
النقم المتخفيض ، فعند ارتفاع أصوات البثين كان يحضر .

احتراف العناء ، ولكنها حالت بشدة دون ذلك . بل انسى مادراً ما احرز على الغناء أو العزف هنا ! » .

وقال لها حارث ديس : « ولم لا تمارسين ذلك في اماكن أخرى ؟ » . لقد نزلنا معاً في عدة بيوت ، فلم يهايرني انتمه مكرة عن انك تصدين الماء ! » . ما حاتم حين بعد سريث : « لست ادرى ، ولكن للموسيقى سلطاناً كبيراً على نفسي . انها نوع من قدس الاقداس في اعماق أعور كنان الإسلام ، وليس من السهل اراحة القناع ؟ » .

مقالت لها ميرا انطلي : « ايس ، مسيراج القناع الليلة ؟ » . موافقتها حين وهي تسمم . وقد كسب وجهها حمرة خفيفة ، وقالت : « احل ، اعتمد ذلك » . وهذا قال حارث . « وستصل إلى ذلك القديس الميق ؟ ! » .

الفصل الخامس

ابتدت الظلال في سكون على المرح الاحمر ، وحومت العرباب حول شجر الدردار الناسق ، وهي تنمق . انشاء انابها إلى أوكارها . واشارت المرولة إلى الساعة السادسة مساء . . ونهضت « ميرا انطلي » واقفه ، وقد تسلطت حيوط من اشعة الشمس العارية على عنقها ، ومسحلت ذراعيها عروق رأسها ، متأمل العنان كل خط رشيق في حسيها اللبد . ومالت وهي تتنأف : « آواه ، ما اندع المنظر ههنا ، غير انسى محطته إلى ان اذهب إلى وصيفتي . . وأرجو ان تستعدي في الموعد ما حسن ، ملا تسمى وقتك في تدليك وجهك . . لقد سئدت بك هذه العادة ، وهي تسمى ساعات من يومك . . نظري إلى ! » .

وكانت جين والفنان ينظران إليها معلاً ، مقد كان مراًها مبالاً العميون بهجه واستطرد ميرا بقول « ان الاستعداد للسهرات العادية ، لا يتطلب مني ان ابدأ رفقى قبل الساعة مساء . . ولكنني الآن مضطرة إلى ان اصحى بالساعة المايقية قبل هذا الموعد . . ساعة رابعة ! » . مسالته حين : « وماذا يحدث لو بقيت ؟ . . انسى لا أعرف ما مضطرك إلى ذلك ؟ » . . ما حابتها الليدي انطلي : « ليس المحلل محال اسباب ، غير انك تعلمين كم كنت أندو جميلة معه بغيره . . عذرا لم اسلم نفسي إلى وصيفتي الآن ، فسوف أشر من مربية » .

— أتل بهاء ، وإن البث — عند نهاية السهر — أن أظهر كما لو
كان عمري قد زاد عشر سنوات ! »

وقالت لها جين — في صراحة وإخلاص — أنك خليقة بان
تحتفظي بجمالك دائما ، فلم تعمرين في سنك ؟ » . فأجابته
برودة أحد بيوت الشعر : « تقاس سن الرجل مما يشعر
به ، أما المرأة فمما يقاس بمظهرها يا ... »
حارث قائلا : « أشعر بانني لم اتجاوز السابعة من عمري
بعد ! » . فصحكت مرة قائلا : « .. وأنتك لتندو وكأنك في
السابعة عشر ! » . فاحمى حارث قائلا : « ولكني في السابعة
والعشر .. » .
عمر له حكاية واحدة ..
اختصار وقت عمله ريفتك العاصم سينتص من حبستك
شعره واحده اللله ، ماشي اموسل إليك أن سبارسي إلى
وصيفتك حتى لا تفقدى على سهرنى ماسرها ، فسوف
انطلق ناكبا أثناء العشاء ، والدوقة تفره مثل هذه الحالات .
كما نعلمين ! » .

فلطمته اللبدي انطلى بقميها وهي مارة ، قائلا : « أصبحت
بني الطير المحب .. » .
سمى وبين جين .. لمسوف ترسم لى صورته في هذا الخريف ،
وسأقسم عدم من ذلك وحجم ..
وأعود عجورا شيطا ..
ظهرها ، وهي سائره تتهاذى فوق الماء
الدار . فعقب حارث وعيانه ترمقائها ..



كانت (جن) وانفاد بطراي نبي فعلا فقد كان ه تملأ عيون بنبوة

.. يرى ما مدى الصدق فيها قالت ، ما آمنه شامبون ؟ .
 محابنه حين : « ليس لدى آمنه مكرة .. واني لاجل تهايا
 مسألة تدليك الوجه هذه » . فأكمل جرث حديثه قائلا .
 « ما أظن في حديثها كثيرا من الصحة ، وإلا ما قالته ! » .

تسارعت جبين مالرد عليه قائلة « أنت مخطئ في ذلك .
 مان « مير » آمنه إلى أقصى الحدود ، ونصح دائما للصراحة
 في حديثها عن نفسها وعن أخطائها .. لقد نشأت مشاه
 عتيبه ، فهي من أسرة كبره ، وكانت دائما مستعمه
 مسئلهه ، ليس من أحوبا وأحوايا بعدد ما كان ذلك من
 أمها . مما كانوا يرون صوابا في أي شيء ، تقول او تفعل ..
 وأحسب أن اللورد انحلي بسر مواهبها اللامعة حين قابلها
 لأول مرة ، إذ كانت بناء طويلة ، جميعه الروح ، لها عتفان
 جميلتان ومم تشبهن سم من سم مرهف ، ووجه يتم عن
 نطلع إلى العبد مشوب بالثناؤل والحيرة ! . وكان اللورد
 انحلي بكرةها بعشر من ستة ، ولكنه عرق في حميا إلى ادسه .
 ويرغم ما بذله أمها من مجهود لتحول انجابه إلى إحدى
 نناها الأخريات ، منه لم يرص عن « مير » بدلا . وعندما
 طلب بعدها ، كان من العسير عليه أن يقرر في مهبها ما كان
 نغصد ، ولكن عزمه لم يلبث أن وصح لها ، فلم يطل استطاره
 لرددها . وطالما سمعته يداعبها بذلك ، فقد رفقته بانتمائه
 جدانة ، وقالت والدووع تترقرق في مآقيها : « أحبل »
 سسروحك وأما شاكرك ، في الواقع ، فاني أرى منك إلى نطما
 كريها .. ولكن ما أشد الصدمة على أمي ! .. ولقد تزوجا

دون برحد . . ورحد إلى باريس وإيطاليا ومصر ، وأمصا معا
 سنته شهور في لحاح ، ثم عاد اللورد معروفه في شكله
 الراهن . . ولقد كنت - في ذات مرة - صبيعه عليهما ،
 وكنت بها هناك .. وك في ذات يوم - في حرة الصباح
 ومعا ست سيداب . ولم يكن بيضا أحد من الرجال ، مدا إليها
 تنهيك في تسقط أخطاء نلصمها بمرأ ، ثم قالت لها : « ألم
 نقل لك اللورد انحلي شيئا عن ذلك ؟ » .. فطلعت مير إلى
 مها بطرفتها الخلوة البعيه ، وقالت : « عد بهشك - يا
 مي العربيه - أن أقول لك أن زوجي سيفد بان كل ما فعله
 رائع .. . فاندفعت أمها قائلة : « أن روجك عبي ! » ..
 وأحانت مير في نطف تلك وجهه بطرك ما أمي
 العزيزه

فقال حارث . « يا المعصور الحسنة ! .. لماذا تدعي
 مثل هذه المرأة أما ؟ .. أنا - معشر الذين نعيموا بأنفسهم
 رصعات كرساب الخلق - لنتمي أن يسن عتو ، أن يسن مثل
 تلك المراه - « الولود » ، أو « محبه الدره » ، أو أي اسم
 آخر ، لكي لا يندس اسم « الأم » المقدس ! .. ولومت
 حين الصبت . فقد كانت معلم قصة طفوله حارث الصيله مع
 أمه الأرملة ، وتعلم سمعه بذكرها التي كانت لها في نغسه
 قداسه . . وكان إعجاب « حسن » به ، وميلها إليه ،
 يشقدان كلما تكشفت أمامها هذه القصص الخسنة النبيلة ،
 فلم ترغب مرة في معارضة آرائه ، ولم تذكر له مرة أنها لم
 تلتق بذلك الاسم مطلقا !

أحمد، بك حتى يسدل على مقربة من السدير ، ويستطيع أن
يمكث خلال ذلك .. بصوري الذير القديم الرمادي ، والشمس
تغرب خلفه ، بينما امتد أمامه حقل مليء بالزهور ! »

عبر أن جين لم يتحرك ، بل قالت : « انك لن تطرب كثيرا
لرؤيه الدمر أو غروب الشمس ، بعد أن يكون قد دعت الغارب
المثقل بحصى غير النهر ، ما عززى دال . بل انك ستترسى
منهوك القوى بين رهور العاصفة .. وأنت تعلم جدا اننى لست
ممن يقيمون بطلب الدهن الحلو في مقعد في مؤخره قارب
صغير ، ممسكة بالدفة ، لأنى لا اسمقل قاربا إلا لى أنوس
التحذير بنفسى .. ماذا ما تولمت التحذير ، مانى أعمل ذلك
مقوه . أما الآن ، وبعد أن تصبب حبله بعد الظهر في لعب
الحولف ، فليست بي رعبه في التحذير ، كما انك فدرك . ولا
بد - أنه لن بلد لك أن نطل محمقا في وجهي طيله صعودنا
النهر وهو ملنا . ميمما يكون كل تمكسرى متحفا إلى انقصاد
صربام محدافك . وملاحطة الطرمعة التى ترمع بها المحدام
من الماء ! »

وعاد « جارت » إلى مقعده ، وعقد يديه وراء رأسه
الأسود الباعم ، وأخذ ينظر إليها معييه الترائس اللطيفين ،
كما كان ينظر إلى الدوقة ، ثم قال : « ما أشد مسبك يا
صديقتى ! .. ماذا بك ؟ » . مصحك حين ومدت له يدها
وهى تقول : « واحا منك ! أيها الفتى العربى ، أن طباغك لأحلى
طباغ في الدنيا بأسرها . لن ابدى الصبق بعد الآن .. والحق

أن ضبعى منبعت عن أننى امتقت خفلات الدوقة . ولا يستهويس
أن أكون « عنصر المباحاة » منها ! .. » . فحسبها حارث في
خنان . « مهت .. إذا كان الأمر كما تشعرون ، فليساد
نطوعت ؟ » .

وأجاب حين : « كان ذلك واحا على ، مان العبة المعجور
الحبيبة نادرا ما تطلب منى شيئا ، وقد قرأت في بطراسها دسامة
صارحه .. الا تعرف كيف يوق البرء أحساما إلى إسساء
صميم إلى شخص يهمله ام ؟ .. اننى أقبل أن انطق
حداغا لو أنها طلعت منى ذلك . عبر انه من العدم أن أمكث
هنا أسموغا بعد أسموغ ، وأن أكون في متناول بدها .. لقد
كان هذا هو الطلب الوحيد الذى سألته وعينها الميكتران
تحدثان في نوسل . مهل كان يحل منى أن أرفض ؟ » . وإد
ذلك قال « حارث » في عطف مالع ، وهو مستغرق في التفكير .
« كلا ما عربزنى ، ما كان محمل بك أن برمضى . فلا تسالرو
كثيرا بالمكاهة التى يردد عن عنصر المباحاة » .. لا ، لست
أنت التى نالين ، ولا أشك في أنك ستقعس حبرا من أغلب
الساحرين من « عنصر المباحاة » ، ولكهم لن يسبنوا ذلك ،
لأن الأمر محتاج لاسم « ملها » لخلط ليه .. لسوف يرون
أن أغنية « المسححة » جميلة ، وسيرتبون كتكك محسامله .
ويقتضى الأمر عند ذلك .. فلا تحظى ! » .

وجلس « حين » تفكر ، ثم قالت : « اننى اكره يا دال أن
اغنى أمام مثل هذا الحشد ، إذ أشعر .. » .
وحى ليحملتوا قهبا ، وهو أمر غير مستسا .. » .

— في 'عقادي' — هي أشد قوة كاشفة في 'لعمري' ، وهي 'رويت'
حين أفكر في تلك الأغنية ، ومع ذلك غلبت أجبرؤ على أن
أرسلها باسم من الكمال ، وعندما صدر النسخة ، — معش في
'أعنة' ، وأنسى وجود المستمعين — ساذكر لك درساً تلقته
مرة من مدام بلانش ، . كتبت أغني 'الأنشودة الهندية' من
باليك 'بميرج' ، وهي صلاة حارة ترعّمها امرأة هندية
إلى الإله 'براهما' . . وكانت الأنشودة تبدأ بالكلمات
'لأنيّة : « براهما ، يا إله المؤمنين . . » ، فبدأت أنشد لها
بني أردد درساً موسيقياً ، لأن 'براهما' لم يكن شيئاً
في 'سندس' وأدّيت بلانش درساً في 'سندس' مرة واحدة
'قلبي ! . . آواه منكم معشر الإنطليز ! ماذا تفعلين ؟ إني
هنا 'مراحم' ، 'لعمري' ، 'لعمري' ، 'لعمري' ، 'لعمري' ،
شخص آخرين . إني إله الأغنية التي تغنين ، فاصصتي ! ،
ثم بدأت 'من' براهما ، يا إله المؤمنين ، يا سيد المدينة
، 'مراحم' ! . . وإذا جبينها شاقق بالصياء ، وإذا ما حساس
سبب حبش سهر روحها بعد خات سرسة من 'سندس' ،
حسبي ، وأخذت لك مني بعد 'لعمري' ، لم أرد أعينه يا .
يشور ! . .

قال جارث دالين : « دبيع ، فأننى أحب الحمامة في كل ناحية من نواحي الدن . - وما فكرت مرة في رسم لوحة ، ما لم أضغط بالبراة التي أسورها ! » .

فاستسبب حينئذ ، إذ اتحد الحديث الإنشاء الذي كانت منه
رسالة إليه . . وقالت : « ما أكثر من نعيم بين نبالها يا عزيزي

قال : حتى لنخشي — نحن الصديقات الحميمات اللاتي نضع
بمحدثاتنا في بيت كبير — « سحره » سمعك موهبا
في غاية محدة ! » . مضحك جارث وقال : « ويحك ! هل
صبحت كالاحريات جهما ؟ » . اتعنتون مثلهن بأن الشفيع
يحار حرا . « سحره » — « سحره » — « سحره »
أن يكون رايك اسلم واقرّب إلى واحبه نظر الرجال » .

[illegible]

وصفت " حين " ، إذ كان الحبيب الروحي في المرأة ، هو آخر ما تود الخوض فيه . . واستأنف « حارث » حديثه قائلا : « هناك امرأة واحدة تقط تطهر لى كامله ، وسأصورها في هذا الخريف ، واعتقد باننى سأكتشف فيها روحا تصارع جسدها حبسا ! » . فتسلطت حين : « أهى .. ؟ » .
مماطلها قائلا : « لئذى برائد » . وإذ ذاك ، صاحبت حين « قلاور ! ! » . اشتمت فقلور إلى هذا الحد . . محابيه حارث « في خمسين حاشع . . نعم ، انها لنبدعه الحسن وبمعا أن كل هذا الحسن المطلق ، المحرر من كل عبء ، لا يمكن أن يجمع في امرأة واحدة . . نه بهز مماط قلبي . غير شرس . . شامس من هذا الاحساس . . الاحساس بالحبال الكامن الذي يهز غؤاذك ! » .

وأما حيث في امتعاب « كلا » لم أحسن شيء من ذلك . ولا أعيد « سيدك » متأثر بحداد روعات العير . مصاب بها حارث محزون . ليس الأمر بمعنسا بروحان أو عيب روحاني من عتبة بطنه مرعره الأحراس . تحت أشعة شمس الصباح . حللمه من يحدث في معنى ذات الاحساس . . اسرى أحسن أن قلبي يهز شوقا إلى أن أرسها . حتى إذا ما انتهت تصويرها . وأبرت . في ثقان - كل آيات الحسن التي أرى أن ليس لها نظير . سمعت سربياح ورمى . . وإلى الآن . لم أرسم لئذى برائد إلا من لذاكرة ، ولكن عليهما أن يحلس أمامي لأرسمهما في شير أكتوبر . . مسألته حين : « هل رستهما من ندأكره ؟ » .

- نعم اننى أمقل كثيرا من صوري عن الذاكسرة . دعيني ألقى نظرة على وجه شيء ما . . وأملأه في لحظة بتسنى فيها التعلق إلى ما تحت السطح ، فلا ألت أن أرسم لك ذلك الوجه من ذاكرتى بعد أسابيع . . وكثير من أمصل لوحاتى المعسرة رسمت بهذه الطريقة . . آه ، ما الذا ذلك ! أن الحمال - أعنى عبادة الجبال - عقيدة ودين لدى !

مقالت حين : « تقصد نوعا من الدين مبر إليه ! » . فاجابها حارث في خشوع : « أن الحمال الحقيقى منحة من الخالق ، ولا مد أن مهدى بدوره إلى الخالق ، مان كل عطية صالحة . وكل عطية كاملة ، هي من فوق نازله ، من عند أمى الأنوار ولتقد التفت مرة واحدة المعائن المعرفات ، مقالت أن كل الامراض ناسى من الشيطان . . وليس بوسمى أن أصدق ذلك . لأن أمى قصت الأعوام الأخيرة من حياتها ، طريحه العرائش ، وبوسمى أن أشهد صادقا بأن مرسها كان بركة لكثيرين . . وقد تحلته نهجيا لاسم الله . . على أننى اعتقد بأن كل جمال حقيقى هو منحة من الله . وهذا هو السر في أن عبادة الحمال في عقيدتى دس . مما من قدس كال في اصله حبلا . . حقا ، وما من خير يمكن أن يكون تبيها حقا ! » .

وابشمت حين وهي تنظر إليه - وقد استلقى في مقعده تحت شمع الشمس الذهبية - فرائت نفسه في الريح . محسبا . كان تجرده المطلق من الحق في عوكة - بالنسبة إلى نفسه أو إليها - قد دفعه إلى ؟ . حدث بها

الشكل إلى أكثر النساء - اللاتي يهرمن - حرمانا من الجبال الصارح .. ومدا لجبن في ذلك قسسا من الروح ، مال متمكراها إلى اتجاه آخر .. وراق لها هذا الحديث ، أكثر مما كان يروق بها شراء (بالون) بلون ، أو مشاهدة الدوقة مرندة قمعه من القش ، ثم سألته « أنى ، فهل محسرم المحردون من الجمال من مصيهم من الحير والطيبة يا دال ؟ »

ماحانها جارث دالمين : " أن الحلو من الحمال ليس قنحا .. لقد تعلمت هذا منذ كنت صبيا صغيرا .. إذ أحتسى أميرة لاستمع إلى واعط شهر ، علما رأيت خالسا على الممر - قتل بدء القداس - مدا لي أمه أضع إسان رانه في حبانى ، مقد سئل لي كمورلا هائله الحجم .. وبولامى رعب شديد من منظره حين نهض وواحننا ليلفى موعظته ، وحلل إلى أنه كان يشبى أن يوضع بيننا وبينه حاجر ، وأنه كان حليقا ما أن تلقى إليه بالمدق والمرتقال .. ولكنك لم يسكد بهض ليلقى موعظته ، حتى تبدل منظر وجهه ، مشمت منه الطيبة والإلهام وأحالفاه إلى وجه ملاك .. ولم أعد أرى منه قبحا بعد ذلك ، لأن جمال روحه تالق على سطح جسمه مكساء سناء .. ومع أننى كنت صبيا - إذ ذاك - فقد أمكننى التقريق بين الدبابة والحلو من الحمال الطاهرى . حتى إذا جلس معد أن حتم موعظته العطية ، لم أعد أرى في وجهه شسها مالموربلا أو الشمينازى ، وما أزال أذكر الهائلة السماوية التى شمت من انشامته .. ومن الطبيعى أن طو سمانه من الحمال قتل على حاله ، فلم يكن وجهه من الوجوه التى يود المرء أن يعيش

بعها ، أو أن يطالعه يوبيا على المائدة .. ولكن المرء لم يكن مطالبنا بأن يثار على حضور مثل هذا القداس ، وإلا كان ذلك حلقا بأن يكون - بالسعة لى - استشهادا .. ولقد مقبت بكرة في حبلتى - من ذلك الوقت - كبرهسان فاصبع على لحقيقة .. على أن الطيبة لا تكون دبابة أبدا ، وأن انشاق الحب العلوى والإلهام السماوى من اسط التقاطيع الجسمية تسكلا ، حولها مؤقتا إلى جمال .. ودانها إلى شىء يحب المرء أن يفكره ! »

قالت حين " مهمت .. لا بد أن هذه الذكرى كثيرا ما ساعدتك على الوصول إلى وجهه نظر صحيحة ، إذ تبينت ذلك من زمن بعيد . ولكن ، لئلا الآ إلى الموضوع الهام .. بموضوع الوجه الذى ترعب في أن بطالمك يوبيا على المائدة . انه لا يمكن أن يكون وجه « ليدى براند » ، ولا يمكن أن يكون وجه « مير » .. ولكنك تعلم ما « دال » أن ثمة أنش بارعة الحسن مرشحها لهذا المركز ' .. مسارع حارث لمقاطعتها مائلا « أرحوك ، لا أريد ذكر أسماء .. أمى اعترض على ذكر أسماء فتيات في معرض هذا الحديث » .

.. حسنا يا بنى العزيز ، اننى أهم رفعتك واحترمتها .. انك أكسبتها شهرة باللوحة التأثيرية التى رسمتها لها ، وها أبدي اسمك راعب في أن ترسم صورة أخرى لها أكثر روعة ، في الخريف . والآن يا دال ، انك لتعلم أنك محبب بها أشد إعجاب .. وأنها لجملة ، من به عنة ، وأنها ليمضى إلى بلاد إذا أوتيت النساء فيها سيرا ، فانهن يقرنه مساره ،

ويتأثير فتاك يجعلانهم أبعد من كل شعبة . أما أنت فانك مد في بعض المواحي ، بحيث بحق لك أن تحظى بروحة مذة — هي الأخرى — إلى حد ما . ولا أكاد أدرى إلى أي مدى قد يؤثر عليك رأي أصدقائك في مثل هذا الأمر ، ولكن قد يترك أن تسمع أنهم يقرون بالاحصاء ولاك — . للخطوط والنجوم ، كما ينبغي أن يقال ! . . والخطوط والفصوص تمثل العلم الأمريكي . . والأمريكيات !

وهنا أخرج جلث الدلمس غلبة سجاره وأخذ لعامة منها بكل عناية ، ثم تركها بين أصابعه ، وسبح في مأمل عتيق . . فقلت له حين : « دح سيجارتك ! » . شكرها جارت ، واشعل عودا من القباب أوقده سيجارته على مهل . ثم ألقى بالقباب ، مسقطا على الحشيش ، وارتفع لهبه ، مهب جارت وأطفأه . ثم عاد إلى مقدمه مواجه « حين » ، واستلقى قلبلاء وأخذ يدخن وهو غارق في التفكير وعيناه تنافسان حلقبات الدخان التي كان ينقثها — وهي تصاعد إلى مروع شجرة الأرز ، وتتبدد ثم تتدد وبلاتى . . وظلت حين ترقبه . . كان تباين أساليب أصدقائها في اشغال سجايرهم وتذخينها ، طاهره تستثير اهتمام « حين » دائما . كان هناك عشرة شبال — على الأقل — تستطيع أن يعين اسم كل منهم بمجرد سماعها وصف أسلوبه . كما أنها تعلمت من « ديك برايد » قيسمة لحظات الصمت في أثناء أي حديث هام !

وأخيرا تكلم « جارت » ، مقال : « يزداد عجبى كلما مكنت في السبب الذي يحمل الدخان يجرح من اللعائات بلون أزرق

أعنت . وفي حلققت متصاعدة . . في حين انه يشرح من أمواهنا — إذا نقضاه — بلون أبيض مغير ! » .

وكانت حين تعلم أن السبب في ذلك هو أن الدخان — حين ينقث من العم — يجرح مضمعا بالرطوبة . عبر أنها لم تعه مكية ، إذ لم نشأ أن ترحى برأها عن حلقبات الدخان ، حمى لا شجع دهبه على الاتحاض المصطنع الذي يحسا إليه إذ ذلك . واسطرت في هدوء أن ستجيب لهذا الاستدراج الذي وجهته إلى أعماقه ، وهي مطمئنة إلى أنه لن يلمت أن يفعل . وسرعلى ما فعل ، إذ قال : « كم هو جميل منك يا آنسسه شابييون أن تكلمى نفسك عماه التفكير الطويل في امرى ، وأن تكثيبه لى . وحتى اس لك مبلغ برماس بالحمل ، ساوشيع — للمرة الأولى — أين تكبر مقدمه مشكلتى . . امى لم اكسد أحدها بمد لمسى . ومع ذلك ماعتقد أن في مقدورى أن أطرحها أمامك ! » .

ثم ساد الصمت بينهما مدة أخرى . ودرس « جارت » لمعائنه وهو غارق في مضكير عيسى ، مما اضطرب « حين » في صميم شاكل . ووجد خارت بعسه يردد — ساخرًا — الألمات الأخيرة في إحدى أعبيات القرن السادس عشر « أنى . فليصل عسى أن يرسل السماء مثل هذه الحشائش ، وهذه المقاعد ، وهذا الصديق » .



ولعل لعامة النبع ، أو المقعد ، أو حين ، أو جارت ، أو جارت ، قد بعثوا في « جارت » شعورا بالاعتماد على الذات

والاستكانه .. نظيفا روحيا جعل كل شيء جسم من مسدود
أحس ، وكل المساعب بلوح سهلة ، والمثل العليا مرأى في
بماول البد .. وهذا السكون مثل غروب الشمس دهبها

قطعه حارث آخر الأمر بقوله : " ثم أمراني - عما الوجداني
اللبان كان لهما وجود حقيقي في حياي - عما اللان وصعد
من مستوى لا املك المرور منه .. واحداها هي أمي - وهي
ذكرتي مثاليه بنده - والأخرى هي العجوز مارجرى
مرمره " صديقه مملوكتي ومرسى ، وهي الآن مسرعة داري
نفس تمولي كل أمور مرس ، من قلها الأمين وتكررها الداء
مساعداي على أن أقل صايتا نحو ذلك المثال العذب الذي
لأمرسي في حياتي ، والذي أحصى من حاسي عندما وقعت على
سنة الرجولة ، و " مارجرى " تقيم بقصر (كاسل) خليش

وعندما أذهب إلى هناك ، يكون أول من يقابلني عيسى عبد
مراح باب السور ، هي المحور مارجرى في ممرها الخمرى
لأسود ، ومديله ، وأشرطه الخراسي المتدليه بها . وفي تلك
اللحظه اشعر بانني في السابعة من عمري ، وأسارع إلى صمها
إلى صدى . وأنت يا أمسة شامبون لا تميلين إلى عنفد
انصرف كما لو كنت في السابعة من عمري ، أما مارجرى متعب
ذلك .. والآن هاك ما أود أن تتحققتي منه - عندما أفود
عروسي إلى (كاسل) خليش وأقدمها إلى مارجرى - من
عنى المحور الرحيمتين ستحاولان ألا ترابا منها إلا كل ما هو
حسن .. وسبهنو القلب العجوز إلى أن يحما وبمعباني في
حديثها ، ومع كل هذا ، فسوف أكون على بيعة من أئنها

تعلم بالمستوى الذي أنشده ، كما أدركه أنا تبها .. وأئنها
تفكر المثل العالي - الذي كان يجمع بين الرقة ، والحصان .
والأنوثة المسيحية - كما أدركه تبها . ولا يحق لي ، بل أئني

أدركت سر - أرعى - من هذا المستوى - صديقتي
يا أمسة شامبون إذ قلت نعم مسدود - من مرمر
حمالا بديها ميناك - ملك على كل مشاعري وقادني إلى عبادة
الخصم لدرج - حتى صار لي - وبخله الذي لا يدرى

يرده لا بد - من عبقريه - من ذلك أمسا مرس
أدركت مخلص في ممر - من مرمر - من مرمر - من مرمر
أدركت مخلص في ممر - من مرمر - من مرمر - من مرمر

يا سيد جارت لتشفل مكان سيدتي المحبوبة ؟ " .. ولا ريب
في أنك حين تفكرين - يا أمسة شامبون - في تركينها
ومشاعري وبعد عاف - من مرمر - من مرمر - من مرمر
على حشيش بدوقه ، وعرف مرس حبيب من حبيب
لدينا تالار ملير ملك الأكاديمية من أحاسي ، لم رد
مكبري فيما قد يكون رأى مربي العجوز فيهن ، ولكنني
أدركت تعري أن ربي بقوم - من مرمر - من مرمر - من مرمر

هي ذكرتي أمي المسة - من مرمر - من مرمر - من مرمر
وتفلق بالحكم الشخص الذي كنت حليفا من أحسده إذا لم
مع الشيوخ - من مرمر - من مرمر - من مرمر
معنى ذلك أن مارجرى لا تحسد إلّا - من مرمر - من مرمر - من مرمر

حدث : « . مصباح جارث يتهيجا : « سافعل ! .. نرى ماذا يكون رأى مارجرى في السيدة باركر ماتحس ؟ .. »
حين في حرم : « ليس هذا بالمهم .. إذا تزوجت امرأة الأخ .
من العمة سيروحل - ولا بد - إلى شيكاغو » .

— كم أود ألا يكون أهلها من أصحاب الملايين :

— لا حيلة في ذلك — ان الأمريكيات يحسنن لالاماب ، معلية
أن نعص الطرف عن ثرواتهم ! » .

وقال جارث : « وددت لو ان الأنسة ليسمر وعيتها كانتا
قد استعيرتا يد ومار إلى لندسة لم .. »

يوم الثلاثاء القادم ، وسأكون هناك .. هل مستحضرين
« آنسة شامبيون ؟ » فاجابت حين : « أهل .. فسأذهب
إلى .. »

« سيرا » ما أن أخرج على الشفوس في نهاية الأسبوع ..
اننى احب الإقامة هناك ، فيها روجان منسحمان تحلو
عشرتهما » .. فقال جارث : « نعم .. »

الأ ينسحج ، إذا كان زوجها للادى انه ..
حين قائله : « يا للتعبير البديع ! .. اننى افهم جيدا ما تعنى .

رسم .. » ان يكون بعد .. »
« حيلة .. ولكن عليك أن تعجل برسمها تم نقتربها — بعد
ذلك — من عقلك ، حتى يكون حالها لولدين ليسر وحدها ! » .

وهنا انشارب المزالة إلى الساعة السابعة ، وكانت القربان
قد حومت مرات حول الأتجار ، ثم أدت إلى أوكارها . عبت

حين واقعة ، وقالت وهي تسير بجانبه فوق الحشاشين
« لتدخل ! .. كم أنا مسرورة بالحديث الذى دار بيننا الليلة !
.. فاجابها جارث : « نعم ، مان حديثنا الليلة لم يكن عن كرة
الهواء ، وإنما كان عن كره القسم ! .. الكرة ذات الفسلاف
الطردى المئين وقد سدد كل منا كره ماصاب هدهما ، وذلك
— كما تعلمين — رباط قوى .. ذلك لان نصحتك قد سكنت في
مخاف قلبي ، كما يقد ان حاسى قد كسفت لك حصة الامر
.. اليس كذلك ما آنسة شامبيون ؟ » .

وكان يشعر — إذ ذاك — كما لو كان في السابعة من عمره ..
.. حين فقد مطر إلهه بهيفار بارجرى ولم يملك ذلك

ثم مالبس .. وقد مر من سدايمه ودعته صارمة ..
سنعتبر ذلك رباطا ، وسكون دعامة قوية لصدقتنا ..
شكرا يا دال لكل ما قلته لى ! » .

ولما عرفت ان الى دحرتهم
.. ..

.. ..
.. ..

لا سيما قصة القس الذى طعمى حمامه الروحي على قبحه
المدنى ، فسجلتها حرميا .. ثم دقت الحرس لخادمتها ،
وسعت فرمدى ملابس سيرة النساء واشغله لى سيرة

الفصل السادس

يا أنيسة شامبيون ، ان دورك هو التالي ، إذ يعرض لأن
خرج جزء من البرنامج لخلق .. وسوف يشرح لدوده .. بعد
انتقائه - تدور في مرض « ميلب » بالتهاب الحنجره ، ويرجو
لاستدعاء « الرائدة الدودة » .. وبعد ذلك سيعلى دورك
هل انت على استعداد ؟

هذا ما قاله « جبرث دالمين » حين - بوصفه رئيس
للقسم - حين عفر عليهما في الثمره ووعف أمامها
محدث أصواء المصابيح المصليه الحامه . وكانت الزهره
البريه في عسره سكرته ، تنشق مع الجوريين القرمزيين
الذين « أما في هذه » وقد أضيء اللب من مسحه منه على لوب
ملا من الدهر - لا يور ولا يفس . ويغلب إليه حين - وهي
مستسلمه في معده السريراني . وسبغت في وجهه بلهوف
ومالك بعد أن يصب من معده وسارت بحواره . « انى
مستعد » فهل كل شيء على ما يرام ؟ .. وهل هناك عند
كبير من النظارة ؟ »

فأجابها جابرث : « افواج .. والدودة في غايه المرح ..
مالحفه انهج من المعتاد . ولكن الوقت حان لأهم أحداث
اللبه ، بين كراستك الموسيقه ؟ » « مغالب حين . » شكرا
لك . سأعزمها من لداكرة ، لأن هيدا بوغر على عواء نظليب
الصمحات . « ثم دلما إلى قاعه الموسيقى ، ووقتا خلف الستائر
التي حجب بالدرجات الميت المؤبده إلى المسرح . وهمس حرت

في أدنها قائلا : « أنصتى إلى الدوقه » .. أنصتت قولها : « ان
اسه اخي حسن شامبيون قد تلعبت وغلبت أن تسد القصر .. »
معنى ذلك ما أسه حين أن سيعدي لاعلاء المصه بعد مصر
دقيقه .. كان أدعى للتخفيف عنك إلا تسبب في الحديث
من « ميلبا » . ولكن لا بأس ، لقد أعادوا منها هذه الامور .
هل سيعت ؟ .. « التهاب الزائده الدوده » .. ألم أقل لك ؟
مسكنه مدام « ميلبا » ، فلنعمل ألا يتسرب هذا إلى الصحنه
الحيه . والله لقد بدأت متوسع في الحديث عن الأهراس التي
شاعت في المجتمع الحديث .. حسنا ، سمح لي ذلك برهه
نستجمع فيها جلدنا ! .. وعلى ذكر ذلك يا أنيسة شامبيون ،
لقد كنت ادعك بما علت في الأسفل من المصروف والعاء ،
ويوسمى أن أراك بالعرف إذا أردت .. كلا ؟ حسنا ، لك
ما يشائس . ولكن اذكرى أن عواء القاعه يندلص صوبا عالما
حتى يترك أثره في السامع في هذه القاعه الممسحه ، لا سيما
وهي برده .. والأ . ها قد انتهت الدوقه ، مولهى ..
تنهى إلى أولى درجات السلم ، ما للعبه اما أشد الطلام خلف
السفار ؟ ! .. ثم مد لها يده ، مصعد حين الدرجات ،
وطهرت للجمهور المجتمع في قاعه الموسيقى قصر (أوفردين) .

وبدت قائمها أطول من المعتاد ، وهي تسمع بمفرده على
المنصه المرصعة . وكانت مزينة ثوب سهرة أسود حبيبا ،
تزين صدره « دانتلا » قديمه ثمينه . وعاء من « زلور حاط
بعفتها .. وتأملها الحضور - حين ظهور - .. يترقب
مستريين ، إذ كان اسم « فيلما » في البرنامج قبل أن يوسم

هنا ، نادا بهم نروى فى مكانها الآسفة شميمور . الذى كان من المؤكد أنها تنطق العرب جدا . ولكن عدد من يكن يسمى بها بحد البقاء ، وأنها حذره من يعضو لآداء أغنية غلب . ولو كان الحضور أكثر كعاسه ، لحسوه بحبه بذكرى من تحميمها ، ولعمرو من يذبح كرمه لخموده بكنم . وعن مز سحنى فى محاحها . . اب هؤلاء الحصور مقد 'عرو' من توجسهم فى تصفيقهم الفاتر .

وايتسمت لهم « جين » بنفس راضية ، ثم جلست إلى « البانو » - وكان كبيرا من مزارر بجنيلين - ولعب بطر « على عفود الورد النسيم » ولعلبت المسو - من لورو الحمراء - ثم وقعت النعم لاور فى مفروستها ، وسرعت معى دون تلكؤ ولا مقدمات .



ورن صوبها العميو لسكنا السراب : وكان العاشة الفسيحة ، فساد الحضور صمت شابل فجائى . . وأخذ كل مطلع يشرق حجاب النسم ، وقد انطلق به صوت حصور دو عدويه سلبت الأنساب ، حتى كذب لقلوب مك من الوجيب ، وقد غلبتها الانفعالات العاطمية الحياشه . . أولئك الذين تعلل بسر الأعنة إلى عميم سة صف ، عند تجاوبت مشاعرهم بيزيد من العمق مع بحر الموسيقى . وأخذت جين تتشدد :

« ان الساعات التى قضيتها مملآ يا قلبى العزيز ،

« لتتشمل لى كمقد من اللآلىء ، أمدها . . واحدة فواحدة . . .

« أنها مسبحتى . . مسبحتى ! » .

واساسا اكتمان لأحم تان هسا - برقة . واستفراق . وعدويه فى لصيت الساند ، تحولا عالمنا من الذكريات . . ذكريات امراء ومنه كبره القلب ، يستعد لحطات باعنه كانت لها فى الماضى . . وأبنت ابسهمون أماسهم ، مما كانت هذه باعنه . . أنها جميعات ملب ، أبعث فى أغبات عذبه . . اسباب لها النوى من الماضى . . وإذا الحصور - الذى ادى الاساب الأوسى فى هدو - برسم فى موحات سرعة من الم راجف :

« كل ساعة لؤلؤة ، وكل لؤلؤة أدعية ،

« لتهدئة قلب بمنصر الغياب . .

« وانى لأحدث كل حنة . . حتى نهاية الحبات ،

« وهناك . . أجد صليبا مدلى ! » .

ولقد ألف بالطلب أربع لآخرة مقوه وحراره عنائيتين . أرسلنا ندر كهرمينا فى الحصور ، نادا البونر الذى يحم عنه ، سرى إلى الإذن . فى لحظة الصمت التى أعقبت ذلك . . وفى اللحظة التالية ، اجدر الصوت الهادى : « معوجة مألوفة ، معبرا عن جلد يصمد للأزمات ولا يرهب مواجهة آتسى الآلام ، ولكنه مع ذلك سم عدوة ماضة ، أكسبها حقل الإلهام . .

« يا للذكريات التي تبارك وتحرق ! »

« يا للكسب العقيم ، ويا للخسارة المريعة ! »

« اننى أقبل كل حبة واسعى جاهدة لاتعلم .. »

« كيف أقبل الصليب .. أقبل الصليب ! »

ولا يمكن ان لم يسبح حين يعنى اسمه « المسحبه » ان تصور ما يلاعه وهى تعنى اسى اقبل كل حبة .. كنت سره الخنين والوحد ، شئ يحب سمس بالابوة ، والجمال . والحب ، حتى لقد نسى الحضور شخص الغنى ، رغم ان سهم من كسوا ويغنى المعزبه به ، وعبرهم السحر الذى انسلب من ادائها الاغنية !

والمملوءة التي تبدأ بالمرف على وتر واحد ، بحجم بالمعزب على وتر واحد . وقد وقع حين السمع الاحم في معزبه وخمه ، ثم نهضت وعذرت السمو لبرح المعسبه ، وإذا معاسسه من التصفيق الحار بطلق من المسهمين ، فاحملت حين ، وردد . ووقع .. ثم طرب إلى هـ ، سوف سمها وكابها دهل لوجودهم . ثم أشرفت اسمائها الصبه المألوهة في عنف . وسرت مهب إلى شعبيها .. ووقعت في منتصف المعسبه لحطه برنكه . والخحل مكاد يعلمها ، ثم ولف سرها . وإذا بـ سميع اصواب لرجال تهفأ : « مرة أخرى ! .. مرة أخرى ! » ، ولكنها غادرت المنصة .

ولكنها لغيب حلف المسرح ، وفي ظلال الستائر ، مباحاة اخرى هرب كيانها اكثر مما فعل هتاف حماهم السامعين . وقد وقف « حارث دالمين » - عند أسفل الدراجات - بمنقح الوجه . وعيناه نومضان كنحمين يحترقان .. وظل برهه حامدا حتى هبطت الدرجة الأخيرة ، وومعت إلى حاسه . وعند ذلك - وبحركة مجانية - أمسك بكتفها ، وأدار وجهها نحوه قائلا : « عودى ! » .. واجتذبت لهجه المربخفه عننى « حس » إلى عنفه ، في ذهول أخرس .. بينها استقطرد حارث مهسا بها : « عودى حالا ، وانشدى الأغنية مره ثانية ، كلمه مكلمه ، وبعمه متغمة ، كما فعلت من قبل . ولا تقمى هنا حامدة ! .. عودى الآن ! عودى حالا .. الا تقسمين بأنك يجب أن تعودى ؟ »

فطربت حس إلى عنفه اللامعنين ، ومرات منها ما برر لهجة الأمر التي كان يصدرها لها . مما كان ميب إلا ان صعدت الدراجات دون ان تنطق بكلمه واحده ، وساربت - في هدوء - على المنصه ، وحلست إلى « البيانو » .. وكان القوم لا يزالون يهيمون ، مضاعفوا من معاهز اعتد عليهم عندما طهرت على المنصة .. أما حين فقد حلست علم المقعد دون أن تعيرهم البعائن ، وقد احتاج كتابها شمسور عريبه لم تحس مظهه من قتل .. فما حدث لها - في كل حياتها - أن أطاعت أمرا صارما ، وكانت مرستها ومعلبتها .. ١٦ - في طعنا - الا سسل إلى سعيد رغبتها لدهي بالأمير . بل كنت بصواعة

ظلماتها في كلمات تعبيرات باستفانها . أو رجاءات رقيقة محرك
مشاعرهما وإدراكها . وكان أي أمر غير مستساع . أو أي أمر
مستساع ولكنه لم يرمق بصباح . يعادل بالرمض الباب .
ومد طلب هذه الرعة بلزومها . وإن حبت شديدا مع الزمان .
بل أن الدوقه نفسها اعتادت أن تقول لها : « أرجوك يا حبيب . »

ومع ذلك ، فيها هو ذا شاب ذو وجه أبيض مبتنع . وعيس
بليوس . قد ردها على عينيها دون محامله . وأمرها من
برمر الدرجات ، وحجم عليها أن بعيد عشاء الأنشودة بعمة
مسمعة ، وكلية عكلية . فاقبلت تظبي أمره في استكانة !

« بنديا خلعت ، سميت فجأة على الأسمى « المسبعة .
مره أخرى . » وكانت لديها قطع أخرى اندع بها . كما أن العوم
كانوا يقومون قطعة جديدة . ملهد بحسب الملهم لكي نطعم
أو مر شاب اتسد به الامعمال ؟ . وبدأت تعرف المقصده
تراسه للحي هدى ' « إلى أس مسيرين » . ولكن شعوره
بالحمية والاضاف تقلب عليها ، وهي تعرف . أنها لم تعد
إلى المقصده لنفسه بانه . ساء على أمر شاب مشوب الامعمال .
وأنها من أجل رخص ملح التدر به ملعه . وحائثت عواطفه
بشكل لم يكن لها به عهد . كان ناثر « جارث دالمين » إلى
أخرجه التي سعى عندها ما اعتاد أن يحرص عليه من أصور
الباقه . ولو للحظة وحده . أسى نجيه يمكن أن توجه إلى
سما وإلى أغنيها . . وسما كانت تعرف لحن « هيدل »
وعند أذعب في عرع . مكثها مائة موسيقية كاهله مد محمب
على السانو تحب أصابعها القويه الثاسه - عطيت محبة إلى

كلمه « حب » - التي وجهها إليها « جارث » - وإن لم يكن
تقعه معها . معدبت الفرم على أن يصاع له كانت يوحى
به من ضرورة . وحالما أثبت عزف المقدمة ، صبت لحظية
بدلا من ن شرع في عشاء الأنشودة الكبرى . ثم تحولت بعرف
افتتاحية « المسبعة » ، ونفذت ما أمرها به جارث :

« أن الساعاب التي قسبها معك يا فلي العزيز ، لتتمثل لي
كعقد من اللالي ، أعدتها . . واحدة واحدة . . أنها مسحنى
.. مسحنى »

« كل ساعة بلوذه . وكل لؤلؤه أدعه ، لنهذه قلب بعصره
لعاب . . وإنى لأحدث كل حبه . . حتى يهانه لخصات .
وهناك . . أجد صليبا بدلي !

« يا للذكرات التي تبارك ومحرق ' . يا للكسب العقيم .
ويا للخسارة المبررة ! . . اننى اقبل كل حبة واسمى جاهدة
لأنظم : كيف اقبل الصليب . . اقبل الصليب ! »

ولما انتهت وتركت المنحه كان حارث ما زال جامدا بلا
حراك في أسفل الدرجات . . وكان وجهه مبتعما كما تركته ،
أب عشاء عقد رالب عيها تلك البصره التي يوحى بالدموع
المنكوحه . . والى دمعتها إلى العود للمصه بحث شعر أمره .
دون أن تنطق بكلمه استمسار أو احتجاج . . واصبحتا مشعل
بنور عجيب . . نور إغحاب يقتل ، مس قلب جين - لأنها لم
تر مثيلا له من قبل - عاتسده مس بدا الذ - ساء .
ومنت له يدها بحركه لا شعور به كندا صمقه . . حركه . .

محطاً « جارث » إلى أسفل الدرجات ، واحد يدها من يده ،
وهي بعد موق الدرجة العليا .. واحتواها صمت ظل لحظة ،
لم ينبس أحدها خلالها مكلبه واحد . ثم همس « حارت »
في صوت خافت ، يهتز انفعالا : « آواه ، يا إلهي ! » .

مقالت « مه !! ما أحببت قط أن اسمع اسم الله تذكر
بهذه السهولة المرحية يا دال ! » .. مهتف . تذكر سيولة ،
مرحة ؟! ما من كلام سهل مروح يتطاع لي اللله ..
« كل محة كاهلة هي من موق » ، عاذا كاتب الكلمات معورم
للحديث عن المنحة ، أترك تعحين إذا نطفت داسم الماسر !!
مسندت « حين » بملراتها إلى عيسه اللامعتين . واشرق
عساها باسمه ملرود ، ومالب : « إذن فقد أعصت دعسني ؟ »
ماحبا حرت ومد انتشر على وجهه ستر من الحم .
« أعجبت .. أعجبت بأغنيك ؟! لست أدري أن كنت قد
أعجبت بأغنيك ! » .

وسألته حين ضياحكة : « إذن ، غلم هذا لاسراف في
الادراء ؟ » ماجب همسا لانك قد أرحت القفاح . عاذا من
أنفذ إلى الأعياق ! » .. وكان ما يزال مسسكا يديها في يديه .
حتى إذا نطق بالكلمتين الأخيرتين ، ثنى يدها إلى أعلى مروع .
والحنى مقل الإهمامين بخشوع واحترام وحس طاهر .. ثم
مرك يديها ودف حائبا ، سنا بصصت حس ممبردة إلى
الشرمة !



الفصل السابع

[illegible]

لورقة كانت لصنع ياقة كهوتية ، واستخلصت من ذلك
هناك ربا تفكريا بعد اللوحة .

واستدارت حين في سأم منجبه نحو الباب .. ومع انبساط
كانت تمشي في هدوء غير ملحوظ ، فقد سبقتها حارث إلى
الباب .. ولم تدر كيف وصل إلى هناك ، لأنها - حين أعزمت
مغادرة القاعة - كانت قد لاحت رأسه اللامع بحوار رأس «مرا»
مخبراً ، بل ، أحدهم للباب ، لودعه ، «حدا»
لباب ، فخرقت منه جبين وهي موزعة بين رغبين .. مايا أن
يقول له : « كيف نحرؤ على ممايلتي بمثل هذه الطريقة غير
اللائقة ؟ » .. أو أن تقول له : « أخسرتني مما تطلب مني أن
أعمله - لأعمله ! .. » غير أنها لم يقر له عدا ولا ذاك !

❄ ❄ ❄

ويعبر جرد في السجدة . ثم اعطاها الشيمعدان المضي . . . كان يذهب في
متاهجه إلى برجة السخف ، فأحببت حين ماسيها من ابدانه
هذا الانتهاج الذي كانت هي - بون قصد - سببه ، والذي
ثم تكرر تشاركه اياه . وشعرت بأن لا بد لها من أن تحطم هذا
المسكوت الودي ، فقد كان يشي بكثير من الاقوال التي لا سميل
إلى قولها ، إذ لا سميل إلى النطق بها . . . منذ السبعة منه
في سنة من جدد . فحسب في ذلك ما كان من السليم .
وهي تقول له : « أسعدت بساء به . . . » . . .
الاستر في نفس كيوم
عنانه تحت ضوء الشمعة ، وقتل لها . . .

وله مقتضى أحد ، وه كتب حدث إلى القدر صعودت . إلى
أعود . . أننى خارج إلى الخدمة لأسفح قسمه إلى من
عاش . . وسبق حب منى بلود والى . . إلى إلى خد
مستحقى ، عما كنت أعلم قبل الليلة أن إلى « مسيحة »
ولكنى موش الآن بأن إلى . . مسيحة ! » .

وردت جين في خيولها : « بل الأصعب أن لك دسقة منها » .
 فأجابها حارث لقد حارثت الفرواق - لرائي - إني
 من سموي وجاهد - لي - إني - إني - إني - إني - إني -
 بقدي في الحارح - إني - إني - إني - إني - إني -
 « يدوسه يدوسه » بوليد « - - - - - »
 بالصليب ؟ « فكان جوابه : « ألم أصل بعد إلى هذا . . ليس
 المستحق يدوسه » - - - - -
 « أظن أن أذا حل بنا » - - - - -
 حقيقته من صليب . . كما أرى أظن أن نشة حبيبك - إني .
 حين تعثر على صليبك ! » .

وذلك ان الله لا يهدي القوم الظالمين
فقال يا ايها الذين آمنوا ان الله قد
اختار لكم ابا عبد الله محمد بن عبد الله
الصادق عليه السلام واولاد الطيبين الطاهرين
الذين هم منكم في الدنيا والاخره
ان الله قد جعل فيهم ايات كثيرة
من ان اولهم العذراء التي
درجست عليهم في ان حارث بن ابي
اسحق اراد ان يتطهر في احد
من اهل بيته فوجد فيهم

سؤال أريد أن أوجهه إليك . هل ألقيه عليك ؟ . هل ترفيني
ومحا . صولا . عذولي ؟ . مأخذه جين . « بلا شك . .
وكنتي أله أرى منك من الآراء غير المبررة » ومن ثم من
رباه أو بعضنا برف أو أربع صمت ، أن مؤثر في الأمر .
بسل ما تشاء ! » .

— يا أمسة شامبيون .. هل لك مسيحة ؟

عظرت إليه حتى في حيد ١٠ في ذلك حيداً مرمي سؤاله ١١
سألت ١٢ لا ١٣ أيها الذي نعمر ١٤ شكرًا لله ١٥ فلقى مقبضه ١٦
بعدد ١٧ عن ١٨ الأكراب التي بارك وحرة ١٩ ، وليس لشيء من
هذه لأشياء أن يمر ٢٠ بحياض القبطية المترنة ٢١ . كما أنني لا
أستهي ذلك ٢٢ . « قتل » حارث ٢٣ عن محمد ٢٤ . « أثر ٢٥ .
كيف أمكك أن تعني المسبحة ٢٦ . وكان كل مسطر مدها نحره
وفضعه لك ٢٧ . وفي سرور ٢٨ وال ٢٩ من ٣٠ يكون اسمي عليه
٣١ من - ولكنه منك ٣٢ ! » .

مفسر له خبر أنه يقول : " لاسي كلما أشدّت أغنيته
عشت منب . . انه أحرك المدرس الذي بلغته من « الأسطورة
الهدية » ؟ . ومن ثم فقد كانت لم مسجحة ولا شط ، عندها
كنت أعنى تلك الإغنية البلية . لها عنها نداء ذلك ، وما معنى
الذي تقصده ، فكلا . . أليست لي مسجحة ، والحمد لله ! » .
وصعد « جارت » درجتين ، حتى صارت عيناها أمام الشمعة ،
وقام لها صوت محمص . ولكن إذا شئت أن تكون لك
مسجحة . منكداً يهتف بها . أم لا ؟

فنكرت حين ، ثم قالت : « أجل . . »

اهتمامي دائما على هذا النسيق ، وسأشعر بذات الشعور
الذي كان يساورني في تلك الدقائق القلائل ! » .

— إذن فقد كنت أنت بطلة الاعنية .. ولو ان الظروف التي
أحاولت بالبطلة لم تكن ظروفك ؟

— نعم ، أظن ذلك .. إذا استطعنا ان نعبر أنفسنا بمعزل
عن الظروف المحيطة بنا ، ولكن هذا الشيء فكرة هوائية
(بالون) عديمة البمع ، ولا ريب .. سعدت مساء يا « سيد
جاري » !

— بهلا يا أنسة ساميون ، اسمحي لي بكلمة أخيرة .. هل
لك ان سمعي لي ماكر ؟ هل تاتين إلى قاعة الموسيقى ومفسي لي
كل الاعياد ، لعلك تلتقي بي ، أليس كذلك ؟
لك أثناء العشاء ؟ .. ألا عذيتي بأن محصري .. وعذيتي بأن
تنتلي لي كل ما اطلعه منك ، ولن اجمع الليلة في مضايقتك !

وظل واقفا في مكانه ينظر إليها مترشدا وعذا منها ، وفي عيبيه
إعجاب طاع ، أجملت له « جين » ، بل وانزعجت واخل لها
محاة بأنها قد ومقت إلى الحل ، وبادرت بشرحه لنفسها وله .
« قالت : « اواه ايها المني العزيز » يا لك من منان ! ولكنك
يشق علينا نحن العامة « العاديين » ان نفهم طباع الفنانين »

وهو بعد ان كان يمشي في شوارع المدينة ، يمشي في شوارع
انه كمال صوتي ، تفاعل في نفسك خلال أفتيك .. تهايا كما
سعدت برؤوسك في بعض لكم ، يسكني سدي سعد الى
مدك خلال عيتك .. بعد مدأت أنهم كيف يقفني لك

ن تدير رؤوس النساء عنديا فرسمهن ! .. على انك في
خياحك سمعت الانساح إلى الهند ، سمعنا عن أبي ارث
وان إلى عراشي ، نشت عك دسي ، عر .. بانكر
يا تريد أن أفتي : قبر بوعدك ولا تضايقتي بعد الآن ، في هذه
جيه ، وأبعد من دوله في جديس .. تراخروا بلا عر
لغزال ! .. كلا ، لست في حاجة إلى اية مساعدة في حمل
لشمعة ، إذ اعتدت المسعود إلى حجرتي متفردة ، فشكرا
ت .. أو لا سمح بلاحم اب السجدة لم يقر بقرلوب
يحي ! .. ها احرمنا سعد .. رث .. وحده لك ..
ربنا عشت عر سالك .. مدس دمه .. اذكر جدي أن مر
يمكن حمز الحليف في كده لاجمه اب على اسعوده
إلى شيكاغو ! » .

وكنت « حسن » يا ترى بعد .. بعدها اوب إلى حصرها
رسمت سمعدن .. جديس .. لربما .. وتال معسر
أوردين) ينار بالمصاييح والشموع ، لأن الدوقة رفقت
لتحدد مادخل العمار بكبرياي .. بذلك من الشمع يومر
حدا .. ولم كانت حسن يمشي إلى العوا ، القوي ، هاهنا أصابع
اشمعيس ليقن كاميا يشدق الى .. سانس مرآة مدسبه
ربيه .. ولشمعيس الناس .. في حمار ميسن إلى احائذ
حوار المدفاه .. وشمعيس اللس كات في شمعدان عصبيس
بولين ، على مضدة لكتالة .. في .. في ..
دسولت حقسه لكانه دأرحرت من عذريتها لوب ، وقم

الحبر ، وبدأت تدون حوادث اليوم ، فكتبت : « لقد غنيت « المسبعة » في حفلة عمتي « جينا » ، بدلا من « غيليا » التي أصيبت بالنهباء في الحنجرة » . ثم موغلت عن الكتابة . . . كان من الصعب الأمور عليها أن تدون المشاعر التي طلت تحالجها - إذ أنه لم يكن تدرى كيف تصوغها . ومن ثم جلست تستعد للموقف في ذهيب ، فمعه من سرث الصفحة خالية من الكتابة !

وفعل أن يدهش . عملية مقارنته ، يصعب اليوم ، كان عليه رد ، « لقد » - أن يحلله ؟ « - سبغت طبعه « حارث » القصة هي الأساس لفكره ، فليس ربهما . غير أن مزاج أهل البحر ليس للأدب ، « ١٠١ » وسالنته ، عليه النظريات ، ولا لوضع عبء ، و « مسائر الأشخاص » ومع ذلك ، فقد كان على « حارث » سلطة كعبد ريس في تكيف « يرى فلكيها على لوحة الخشب » أن هذا الانغماس الذي هو « حارث » هو « راسم » ، وليس هو « راسم » بل هو « حارث » ، لم يكن يعلق شخصها دائما في شيء . اللهم إلا من ناحية صوتها ومواقفها ، يرسمه . . . نهاما كما يحس حين « حارث » ، إذ يرى حبالا تتدلى أن يرسمه ، فيعدو نهبا لنواصير حليحة اليأس والأمل حتى يفلأ مأربه ، ويعمد ريشته ولوحته لرسم الصورة . . . وهكذا استيقظت فيه ملكة الشعب بالحبال . ولكن يعطى له باب من طريق المصير - في هذه المرة - وإنها حبيب عن طريق السبع . فادأ ما روت طمذه إلى الأغانى ، ويصحب « بالمرح بلاريا لها » عسوف

بتقع . وإذ ذلك برايل عينيه نظره الاعجاب التي اقلقت هدوء نفسها . وفي الوقت ذاته ، لد لها أن ترتقب ما يأتي به العد ، وان راصت نفسها على أن كل هذا الاعجاب لم يكن ذا طابع شخصي بالسبب لها . . . كن من الجائر أن يتدمع « حارث » في مثل هذه العود - أو أكثر منها - مع « مدام بلانش » مثلا . فقد كان لها ذات الطابع والصوت وطريقة الأداء ، موق ما يشارت به من جمال ينهر الأنصار كما كان صوتهما يعثر لأذان . . . وحذير يحارث أن يراها ويستمعها ، بعد أن مدأ ، أنه يحفل كثيرا بالموسيقى !

واحدث « حسن » مدرس لمرصه التي يمكنه من ذلك ، ثم تحول بمكيرها إلى « بولين ليستر » الفتاة الأمريكية الحسباء التي اقترن اسمها باسم « حارث الدمين » طيلة هذا الموسم . ودخل « حين » اعتقاد بأن « بولين ليستر » هي اصلح روحه لحارث الدمين . ما من حسنها كان خلقا بأن يرصيه ، كما أن إدراكها الصريح ، البعد عن الرباء ، كان كعبلا من بوارس مع مراحة الفائز ، الممصل . . . وكانت كباستها وقابلتها للتكيف تمكناها من الاندماج في كل الأوساط التي كان يحاط بها ، سواء في موطنه - في الشمال - أو بين أصدقائه المديدين ، في الجنوب . . . وإذا ما بروج ، ما به حذر بان يتحلى عن هدياته عن « ملاور » و « ميرا » . وتقبل لدى الناس تلك الطريقة . . . « غير اللائقه » ! لقد ترددت « حسن » في وصفها بهذا الوصف ، وإن كان وصفا صادقا لا شك فيه . ومع ذلك - ومع أن الأمر كان سهبا

وبين نفسها - فقد آثرت أن تستبدله بلفظ « غير العادية »
.. الطريقة غير العادية !

ثم اعتدلت في جلستها ، واستندت برمقيها إلى ركبتيها ،
وبصفت يديها ماب . وإبهامها إلى أعلى ، وقد عاودها ذلك
الشعور الذي هزها حين لثمتها « جارت » .. ونفحة
انتمت ، وصاحبت مائله « حس شمسون ، لا تكومي بله .
.. مك لطلعت ذلك اسلام عابد الجمال - أكثر مما فعلت
نفسك - إذ أنت حملت أى شيء يصدر منه على محل
الحد .. ما ليس إعداده اللله دا طابع شخصي - الا بقدر
ما يكون إعداده بالمعنى لعاشر موحيا إلى كنه معناه الذوم ..
به - في إعداده بالانتاج - معجب سيمنا بالمنع لا هذا كل
في الأمر . فاقمى مصباح منك ، ولا يمسدى هذا
لمعاج نامة برواء عاطفه سحيمة . .. هنا أغسلى يدك
الخشنتين ، واندسى في فرائك ! » .

وتحت شجرة البلوط والחסائش الطرية تحت
يديه - وقف « حارث دالمس » والعرلان مستغرقه في توبها
حوله ، لا يحس بوجوده والنجوم تنلأ كأنها مصابح
معلقة في ررقه السماء القاتمة . وراح ساحى بسسه بصوت
خافت يفيض حرارة ووجدا : « لقد وجدتها .. المرأة المثالية .

سبح لسمه ، وأعظم شريكه لروح المرح الذي سعهده الحظ
بالفوز بها ، ولنفسه وجسده .. جين ! جين ! .. آواه !
ما كل أتد عماى ! .. كبقه عرمتها منذ سبعين طويلة ، دون
تر أعطن إلى حقيقتها ! .. ها هي ذى مذ أراحت القناع ،
ماستطعت أن أبذل إلى نفسها ما للقلب الكنه السدل ! أمها لى
نفوى - بعد الآن - على أسدال القناع مرة ثانية بين روحها
روحى ! .. ثم انها لم تؤت مسحه ما ! حمد لله لذلك .
.. بقدر لرحل آخر ان مسحوذ في الماضي أو في الحاضر -
على الشيء الذي أشتبهه أكثر من أى شيء آخر مسوف ملير
مسقطه حب حب ، وحبان حير ! .. وما معنى ذلك ؟
مى أعدها .. لؤلؤة .. لؤلؤة ! .. لسوف تعدها يوما من
الأيام .. سمد لآلها ولآلى ! .. ولحبنا الله الصليب ،
مير من المحب أن يكون لكن مسحه حفضه صلب ! .. اذن
ملحمل الله من اشفراكنا في جبل الصليب ربنا شيد
كلا منا إلى الآخر ! .. آواه ، يا ليديها الحبيبتين . آواه ،
يا لعينيهما الصريحتين الصادقتين ! .. جين ! جين ! ..
حقا . لقد كانت حين هى مغيتى دائما . برعم أس لم أمطن
إلى ذلك .. لقد كنت محبوبا أعنى ! .. الذى أوقن مسه هو
أننى الآن بمصر ، بعد أن كنت أعنى في الماضي .. ولسوف
تظل جين محبوبتى منذ الليلة ، وعلى مر الزمن ، وإلى الأبد
.. إن شاء الله ! » .

وكان نسيم الليل يبعث بشعره الأسود القزير ، وشبه
من عينيه بريق حائط وهو يطلع إلى السماء تحت أشعة
النجوم الساطعة . . أما حين مكثت في هذه اللحظة بين النوم
والبقطة . ونحاه مطنت إلى نقرات على البامدة ، معصيت
مائله « هل من شيء يطلعه ما حارث . . سألني ما نريد
أعمله ؟ » . . ثم مطنت محاة إلى ما قال ، مطنت في طلبه
للبل ، وراحت توبخ نفسها في ثوره وصباح « آواه ، أينما
الجمارة العجوز ! اتدعين أنك عاقلة ورصينة ، في حين أن
قلبا من التلق ، من غلام شغل قلبك به ، قد بعث مراسك
تماما . . توبى إلى رشذك في الحال ، وإلا فإرحى (أوغردين)
في أول قطار في الصباح ! » .

الفصل الثامن

كانت الأمان سبي تلك ذلك أمانا ذهنية لخير . إن لم يحدث
حلالها ما يمسد أسبوعها بالبحر الجيدة . ما به
الجدة ، والمغنية أعجب عذوبة !

كان مسلك جارث - في الصباح التالي - خلوا من كل
أسفل ، محروا من تلك المظاهر التي أرميت « حين » وخيرتها
في ليلة السابعة . فقد أصبح هادئا أتم هدوء ، ولاح لخير
أكثر سبعا مما اعتدت أن يراه منذ مغارها . فلم يساه
روايت من السابعة إلا لما ، حين مع الدوقية . . ماذا
سأله أحدهم مارج عما أد ، كان قد بدأ إمران والذهب لحياء
روحية مرتقبة بعد وقت قصير ، أجاب : « نعم . . هو
كذلك ! » .

وسأله روماند « هل سبى المروس في حمله شمسبون ؟ »
إذ كان كثير من صوب الدعوة مدعور ، إلى حبله لاذي
أطلق في حمله الأسبوع التالي - فحبه حارث « نعم .
مستكون هناك » . وهنا صاح ببلى بلهجة تبثله .
« يا إلهي ! . عوبك أنها المقدس مدكت ، أماخذ هـ
"قول على محمل الجد ؟ " وكانت « جين » منصرفة إلى
تلاوة صحيفه الصباح . على مقربة من « حارث » . الذي
نقى واقفا حوارها - عرعت وحيها . . حارث . . الذي
إله قائلة في لهجة لم سمعها سواه : « قـ . . قـ . . قـ »

مسرورة جدا .. هل استقر فكرك في الليلة الماضية ؟ .
فاجابها جارت وهو متحبه اليها ، حتى لا يسمع الحديث أحد
سواها : « نعم ، في الليلة الماضية » .

— وهل الحديث الذي جرى بيننا — بعد ظهر امس —
علاقة بذلك ؟

— كلا ، ليس لاي شيء مطلقا علاقه به .

— اكانت هي .. المسححة ؟

صصت جارت قليلا ثم اجابها دون ان ينظر اليها : « انه
الوحى الذي كشفته المسححة .. اجل ! » .

وبعد سحر ان به اليه انه قد وجد .. ان
او يستسلم الي سحر عدة المرحه لحدوده من ادمه

مقد كانت ساعات الموسيقى — التي قضياها معا — منصفه
حقيقه .. وتبين لها ان لجارت مواهب موسيقية تفوق كل
ما كان تصور .. فلما صحبت بطسيه الساده له لسويه
المنام .. التمسب الي كتي منها رحوله .. يكن تسوي
حظا ، ولم يكن بعيد فيها على القدم لتبديل الانقام .. وراى
ان عرفه كان يفضل مزمارها من حيث الدقة والرقه .. امنا
.. ان لموسيقا علمه من اثر في تلك التسويبات له سمه .. مقد
طواه « جارت » في نفسه ، ولم يمس لاحد بكليه عن ذلك .
اد كان قد ردع مشاعره ، واعلى فيه ، بعد تلك الليله اللذيعه ،
ومطمع على نفسه جيدا — وهو تحت شجره النوط . في تلك
الليله — من يصبر اسبوعا ، قيل ان يتكلم . وقد عمل على
سند العهد !

اما التجربة التي انطوت على طرافة ولده عجيبة لجين ،
سميت في شعورها بانها صاحبه المكائنه الاولى دون منازع ،
لدى شخص ما .. وقد عمل جارت على ان يشعرها بذلك .
ولم يقدر منه ما يسرعني بشده ان احد . ولشها تركب عن
فكر من ما سمع مره من جارت .. لا حسن « حرمه » سوه
وجودها .. وما مارحت حجرة إلا امتقدها .. وكان هذا
لاختيار منه مكتوب . لئلا . ولم يقدر لاحد ان يسمع منه .
ومع ذلك فقد طر بساى « حرمه » وحلله بساى جارت
نقله وبس . وبسبب « حرمه » في حبيب . هناك منه شعور
عمر . بسبب بساى جارت في سارة حسن حرمه . موهي
اليها عند حرمه عريه — من هذا الشخص الا انه ر ملك
ب . واخسب سم وبهو سكر ما شى يقول ويسمر . وبكل
ما كان عنه . وفي السويبات من يمسها مسم في حرمه
لوسفر . سميت كيف تعرفه ، وكيف يعرف منه احد ان
للجمال ولللمسة ، كما لم تفهمه من قبل !

تلك كانت ابها ذهبيه . وكان العراق ساعه النوم حلوا .
لانه كان يصف شغفا شديدا ونكهة لندته الى نهجه اللقاء في
الصباح التالي .. كل ذلك دون ان تساور ذهن حسن — طيله
تلك الايام الذهبيه — انه مكره من الحب في معناه المألوف .
وما كان جيلها يهده الناحيه سميت عن عدم حرمه بشى هسهه
لنحرمة . بذر ما كان سميت عن انها كتاب دجتر نحرمة و .
صافيا .. نحرمة لشعور شىء كان — صفتها من نحرمة

لواقع . وهي جريه عامها عن أن تعرف سى الحب داه .
 فى الوقت الذى كن الحب يقرب عيه عنها . فى أسى مظاهره '
 « ولم تكن » حين « قد حثارت الاتى عشر موسما الآخر » .
 دور ن بتلقى حوالى اثنى عشر عرصا لرواح مهب . . مفد
 كانت ورثه ثرود طائلة ، وكانت عند تحسرب من الأهل
 والأوصياء . وكانت من ست طب ، وسلالة عريمة . .
 وكانت ثمة صبع حصص من لور الذى لا يحبس عنه .
 حطبات من رجال فى أوسط العمر ، عدا الصلع والشيب على
 رؤوسهم ، وسيموا حياء المريدة فى المذمة . ومد أونوا دور
 مسية حيله بمعصها - لسوء حطهم - من يتوس شئونها
 والعناية بها . هؤلاء تقدموا بطلون فى السيلة « حسن شامبون
 . سالب رجال الأعمال ، مكار رد لنيله « حين » عليهم أن
 سب برههم من رؤوسهم إلى أحص أمدهم - من كل
 ناحية ومن كل جانب - إلى أن شتموا معاههم . . ثم
 كانت قرفضهم فى هدوء ، بذات أسلوبهم ، أسلوب رجال
 الأعمال . وكان بين من تقدموا طالعين بدها اثناس أو ثلاثة
 من الثمان الطرماء ، كان بها فصل فى أمدهم من سداد .
 ونشالهم بعد أن كادوا بمرعون فى حياء الناس والبوار
 البام . . هؤلاء الغنم عكروا - ونرعه عرمان الحمل تدعمهم
 - فى أن من الحر أن يعمل أحدهم على صحتها إليه ، لقرعاه
 ويحفظ عنه فى استقامه واعبدال ، ولتبدية الطرق القوم .
 وتصره بها عليه أن يفعل ، وما يتبقى الا يفعل ، و . . أجل
 . . لسدد عنه دينه ، وتكون له نوعا من الأم الحنون التى

لا نسب فى القربع والتوبيخ . . ولهذا ، كان الواحد منهم
 يمسك بيدها الرحيمة . ويصرع إليها أن تقلبه زوجا لها . .
 مكاف حين يجبه بالصمغ ، لحد أن جبرؤ على لمسها .
 وتنصحه بالاتلاع عن الهوس !

وكان آخر من عرس عليها الزواج - أخيرا - قس كسسه
 القريه المحاورة لأومردين . . كان أعزب ، وقد داب على
 معسها مباحث طويلة ممله . ملها حصر - معتربا أن يتقدم
 بالعرس المنشود - كانت حين تطلس إلى مائده الكتابة فى
 حرة الاستقلال فى (أومردين) ، فلم تر أن المناسبة تدعو
 إلى مباحة هذا المكان . حتى إذا بدا للقس أن يبدأ حديثه ،
 استطاعت أن تتشاعل بالكتابة أو مراحة بعض الأوراق . .
 ونهاك القس فى مقعد مريح بحوار المكتب ، ووضع إحدى
 ساقيه المعوجتين فوق الأخرى . وصم راحته ملصقا أطراف
 أصابعه بعضها بعض ، وشرع يرثل الحمل الافتلاحة فى
 العرض . . وبدا أن « جين » - فى أنهماكها فى شحذ أقلام
 الرصاص ، ومحص سمون أقلام الحر - لم نعمه ما كان يقول
 . . إذ أنه حين ترنم بهذه العبارات « ليس من أجل انراض
 شخصية فحسب - يا عزيزتى الأنسة شامبون - وإنما من
 أجل خير أبروشيتى ، ولصالح رعاياها ، وللرقى بالجهد الذى
 تبذله الكنيسة . . » . عندما قال هذا ، أخرجت حين من أحد
 أدراج المكتب دفتر الآتون المصرفية ، قائلة - « من دواصي
 سرورى أن أكتب يا سيدى بيليرى | . . فى جميع الما من أجل
 جرن المعنوية ، أو المنبر ، أو كذب يد « لئلا يبيد » . »

سجانيها النفس بصوت يرتعش : « لقد أسأب عنهم ما أقصد
 يا سيدتي العزيزة .. أن ما أرغب فيه هو أن تقولك إلى
 المذبح ! » .. مقالت له جين : « يا عزيزي السيد بليري - لا
 حاجة مطلقا لهذا ، مان مجرد حاجتك إلى كساء حديد المذبح .
 كاف لأن يقتل كافة المترددين على كنيسةك على الاكتتاب ..
 رائى لعلى استعداد لأن أعطيك - بكل سرور - أدما معشره
 حسيهات لهذا العرص ، كثيرا ما ذهبت للصلاة في كنيسةك .
 لأننى استمتع كثيرا بالسير وحيدة في هدوء عبو العصابات .
 أما الآن ، مانا أعلم أنك تود مقابلة عمتى قبل مباحثتك الدار
 .. انها في « بيت الدواجن » تطعم طيورها العربية . مد
 خرجت عبر هذا الباب ، وسرت إلى نهاية الشرفة - من الحية
 اليسرى - متصل إلى بيت الدواجن حيث يجد الدوقه .
 واقترح بأن تتجنب ذكر هذا الحديث لها ، مانها لا يوافق أب
 على الذبح في كسوة المذبح ، وقد تلقى كلاهما بقرعيا ، وقد
 صرت على أن تصرف مبلغ السرعات في مشتري أحذية لأطفال
 المدرسة . كلا أرجوك .. لا تشكرنى ، مانا سبعة لأر
 الفرصة قد اتحت لى المساهمة في أعمالك المصنعة التى تقوى
 بها في هذه الإنحاء ! »

ولقد مكثت حين - مرة أو اثنتين - في محير الأذن المصرق -
 وهل نقاضى النفس قممته .. وودت لو أنه أعاده لها بالسرب
 ممرقا إلى قطعتين ، وبمه حطبات تبص سطور عصبه
 واستفكارا فلما أعاده المصرف إليها بعد دمع قممته - وقد حمى
 توضع « ب . ب . بليري » - بحط أثيق كخط أثناء المدارس -

لا تشويه مادده تم عن استمرار - الوقت مه في سلة المهملات .
 مشغوعا مايتصامه مرة !

كانت تلك هى عروص الرواح التى قدمت إلى حين . مما
 عدم إليها شخص للرواح عن حب حقيقى ، ولا شعرت مرة
 بها بحل لصدارة في قلب أى شخص وحياته . أما وقد بدا
 لحب الذى رقى إلى درجه العبادة ، بسباب إليها في حبيب
 من حجاج كنز « حارث » ، لحوطها ويلمها من كل جانب .
 د بها لا يعرف سبب سعادتها ولا كنه ومائه ، وإنها اعترفت
 شاب مدلها في عوى امرأه أخرى ، ما كانت تعلم بأن تناهره
 سبب و حالا . وحسبت أن الآلهة الوثيقة - سبها ومين
 « حارث » - صداقة قد تطورت حتى ملعت حدا الجبل وأدغ
 من كل ما كانت تتصور !

هكذا ساربت الأمور حتى جاء يوم الثلاثاء ، ونفرقت جعاعه
 اوردين ، مذهب حين إلى لندن لقضاء يومين مع آل
 برايد . ورحل حارث إلى (شيسبور) ، حيث استدمى
 على عهد لتلقى الأنسة لسيبر وعمة السيدة باركر مانحس
 وكان مقررا أن تضم إليهم حين في يوم الجمعة ، لقضاء
 عطلة الأسبوع معهم .

الفصل التاسع

اتخذت جين مكانها في القطار . حتى إذا تحرك من محطته
لندس اضطجعت في ركن من مقعدها . وتنهدت في ارتياح فقد
لاحت لها الأيام التي قضتها في المدينة مملة وطويلة . وأحدث
حين تستعرض تلك الأيام ممكدة ، نائحة عن علة ذلك الملل . .
كانت تلك الأيام ملأى بالأعمال والمواعيد ، كما أن وجودها في
المدينة كان - في حد ذاته - مقته لها ، عادة . مما الذي
جعلها تحس بالقليل . وعدم الرضى ، والوجع ؟ وبحكم
العادة ، كانت قد وقعت لدى نائح الكتب والمجلات - في المحطة
تفتقى مختاراتها الأدبية المألومة . . وقد اعتاد أصدقاؤها أن
يتدروا في أحاديثهم ، بأن حين لا تستطيع السعر - في اقصر رحلة -
دون ست من الصحف والمجلات ، على الأقل . . ولكن .
ها هي دي الصحف والمجلات ملقاة أمامها - في هذه المرة -
على المقعد المقابل لها ، دون أن تحمل بها . فقد راحت
تستعرض أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس ، وتعبت من أمها
لم تكن سوى حواجز دون يوم الجمعة . . . ولكن ، ما أن أقل
يوم الجمعة أخيراً ، وما أن استقلت القطار إلى شستون ،
حتى احتاحتها موجة من البهجة والسعادة ، مما سر تلك
الأيام الثلاثة . . . لقد كانت « ملور » - ليدى براند -
ساحرة ، وكان « ديريك » - زوجها - ودوداً أنيساً ، كالعد
به . . وكان الصغير « ديكى » ناعثاً للانبياح ، والرضيع
« نوسوم » حبيلاً ، لا يشبهه في جماله أحد . . فهاذا كان
نقصها ! .

وكانها اعتدت إلى الرد ، عانتست وقالت لنفسها : « اننى
أعرف السبب ، مكيف لم أعطى إليه قيل الآن ؟ . . لقد أسرمت
في الموسيقى في الأيام الأخيرة مؤمرتين ، وبألهام موسيقى ! . .
لقد شعرت بالموسيقى تملأ حياتها ، فكان حرماس منها سببا
في ذلك الشعور المنهم بالوحدة ! . . ولا ريب في أنها ستنحطى
بالتكرار منها لدى « مير » ، وسيكون « ذال » هناك لبهال
طالباً الموسيقى إذا مات « مير » أن تقترحها ! . . ودامت له
ملؤها السرور والأمل ، تناولت صحيفه « الاسكتانور » .
واسمكت في تلاوة مقال عن مشكلة جنوب إفريقيا .

وعند بلوغها المحطة . كاب « مير » في انتظارها ، تفسود
عربة ذات مقعدين بحرها مهران صغيران . وكانت ثمة عربة
أخرى - صغيرة - لنقل الوصفة والناع . . ولم يسمع حين
وقتا ، فاستقلت مع « مير » العربة الأولى ، التي انطلقت بهما
محترقة القرية ودرومها بسرعة عاتقة . . وكانت الحصول
والغابات محللة بخضرة بائعة ، وقد استلقت تحت شمس
الظهيرة ، ووشيت الاسجة بالورد البرى . . سبما كانت
الشجبات الأخيرة من الدرس تنقل إلى المحارن . وكان معروف
العصام سعث في النفس عصب من المرح والانبهاح ، كما غير
نفس « حين » شعور طباغ معدومة بمنظر الحقول
وعطرها الزكى . بها لم تذكر له مثلاً في البصارة والنباه .
مراحت تعب أنماطاً طويلة من الجور . . .
« ما أبدو أن أكون هنا ! » .

ماجاسيا « لدى اطلنى » وهى بهر السوط فى بعدها .
ونومى بالشكر ردا على محبات الاحرام التى كانت يرمع إليها .
من الحقل : « أجل يا عزيزتى .. ان من دواعى سرورى ان
تكومى بيننا . مانا اشعر دائما بانك كالنعم المحض والموسقى
.. شئ من ممالكك ، دعيت على ارضى والاشراج فى وقت
الصيق .. امى اكرد الاربات والصيق ، مهى مرهقه . وكثير
ما اقول : لم لا تسير الامور دائما على وسره واحده . انت
خليقة بان تسير على ما كانت ، وعلى ما سوف تكون عليه .
إذا لم يتدخل الناس فيها . على اننى اوقن من انه لا سبل
إلى ان يتطور أى شئ نحو سوء . عندها تكوس انت على
مقربة منه ! » .. وعند ذلك لمعت « مرا » المهر الأملى
سوطها .. وكان قد تلكا طمعا فى قطعة من السكر - مضرب
بهب المركبة بين الاسوار المرتفعة ، محتكه بالأعصاب ورفو
العسل والناتفت المتسلقة ، وقد مدح حس يدها وتطلم
رهرة منها قائلة : « هذه هى بهجة المسافر ! » .. واغتر
شعرها عن انشابه عادته تطمح بهجه واستشارا . ثم عرسب
للزهرة فى عروة سقرتها .

واستأنفت اللدى انجليي الحديث بقولها : .. وبعد .. هل
ثلة الاصدقاء سادرة فى مرحها ، وجيهم على احسن حال
.. وبهذه المناسبة ، يخيل إلى يا جين أن هناك شيئا غير
عادى قد أصاب « دال » . وكم يسعدنى لو ان الامر محس
تحت سقف دارى ، فان الفتاة الأمريكية ساحرة ، جذابة ..
انها رائعة . بساطة ! ولقد أطلع « دال » من البحر والمحور

- وايس معنى هذا اننى كنت أعتقد فيه ذلك ، بل انه كان
'سعادتك انت - عمو الآن دائم المكون ، ويدو كثير التفكير ،
ولو لم يكن على علم تام بطبيعته لقلنا انه أصيب بشلل ! ..
بها بطومان معا بكل مكان على اليق وجه ، وكم تحالفت على
لعمة لمدى لى رايها . مشد ما أخشى ان يرمص « دال »
حظنا لاسه احبها ، وهو كما تعلين يرمع الفصب ! .. وقد
وجد « بيللى » بأن أعطيه أى شئ - ولو نصف ملكتى -
إذا سر على الحلوس عند قدوى السدة ماركر ماتجس .
بعصت إلى حكمتها . ولجيب عن استلنها ، حتى يبعدها عن
. ان . وبحل لى بن بيللى متحمس فى أداء مهمته ، فهو نادى
شغافى فى هنيامه بالسدة ماركر ماتجس ، حتى بدأت أوجس
حيمة من أن يسالى قلبه . حراء حدماته . وفى هذه الحال
سسلمه لك لعاقته ، لأن لك مقدرة على معالجة هؤلاء الاولاد
بهارا مثارة .. اعتقد أن دال سيتقدم الليلة بطلب يد بولين
سسر . وبدعنى انه لم يفعل ذلك ليلة أمس ، مقد كل
لهر بلالاب . وكابا معا عند البحيرة .. ماذا يريد « دال »
أكثر من ذلك البحيرة . وحسوء القمر . والماء الحساء ؟ ..
وجد أسطح بيللى لسده ماركر ماتجس فى قارب لا يتسع
غير اثنين . وكاد بعضها . إذ طلق مصحك لما راحت تقوله
له . من حراء اضطرارها للحلوس فى قاع القارب .. ولقد
بحاس سعدمه حتى وصل بها إلى الماحه الأخرى من
البحيرة ، بعيدا عن المكان الذى كان به « دال » وأبنة أحبا .
وهذا كل ما كان مطلوباً منه ! .. لقد سألنى السدة ماركر

بانجس - بعد ذلك - عما إذا كان يلقى أملا .. ماذا تريدنا
تقصد من ذلك ؟ » .

ماجانتها حين : « ليست لدى افئة فكرة . غير أن سروري
لا يوصف لما يذكرين عن دار والآنسة ليستر ، إذ أنها العبد
المثالية له . ولسوف يسهل عليها - بعد قليل من الوقت - أن
تكيف معها وفقا لحاجاته وأهوائه . فضلا عن أنه لا عني
لدال عن الجمال الخالص من كل عيب ، وهذا ما يحده منها .
مقالت ميرا : « هو ذلك حقا .. كم كنت أسنى لو أنك كنت
معنا ليلة الأمس ، ورأيت بولين في ثوبها الحريري الأبيض .
والورود البهية منبثورة في شعر رأسها .. لا يمكنني أن أتصور
كيف أن دال لم يهرق حموا بهذا الحسن الماهر . لعلها مادرة
حسنة ، توحى به قد يحرم رايه - يعا . وأحسبه الآن مخدب
على أن يعقد العزم أ » . فاجانتها حين : « كلا ، بل اعتقد أنه
قد عقد العزم منذ كنا في (أومردس) ، وأن الأمر قد استحوذ
الآن على كل مشاعره ، فهو يسير نحو اتهام الزواح في عزم
وتصميم . والآن خبريني ممن لديك في شستون ! » .

وأخذت ليدى أنجلنى بسر دلها سانا طويلا بأسماء من قدموا ،
ونزلوا ضيوما على قصر الشستون) . وكانت حين معرهم
حيثما ، فقلت : « مدع ، لكم أنا سعيدة بالحضور .. لقد
كان الجو حارا في لندن إلى درجة تزهق الروح . وما خطر لى
أننى قد ألقى يوما طقسا بهذه الحرارة .. لكم أشعر بثنى
بعيدة عن الدين . آه ، ها هي دي الكتيسة الصغيرة الجملة :

ولكم أود سماع الأرغن الجديد ! .. سرنى جدا أن القس
لنطيف قد تذكرنى عند جمعة المهرجات ، صباح لى مرصه
المساعه .. حزينتى ، هل الأرغن مردوح المفايح أو ثلاثوها ؟
.. فاجانتها ليدى أنجلنى : « بل أن له سببه صموم من المفايح
ويمكنك تحريكها إلى أعلى أو إلى أسفل فديمك .. على أسى
رأيت - حين عزفت في قداس الأطفال يوم الأحد - أن أصب
بحرك شيء منها ، من الصف على العارم معرته ما فسد
محدث إذا هو لمس تلك القطع الآلية ! » .

وقالت « حين » مصححة التعبير . « مقصدين ركازات
الأقدام » .. فاجانتها ميرا في هدوء . « أظن هذا ما أقصد ..
لك الأشياء الموحودة في أسمل وكأها مستند للتقدمين .. فيها
حدث أصواتا برعجه . إذا ما مسدت القدم إحداهما ..
فأسست حين وهى تتصور حال « حارث » ، لو أنه سمع
هذا الحديث . لا بد وأنه سلم . رأسه إلى الحلف ، ساردا ،
دا هي أمانته بهذا الحديث . فقد كانت أحداثت ليدى أنجلنى
الموسيقية ، سمعت تفكها لصيغ أصدقائها !

ومرنا بعريتهما أمام كنيسة القرية ، التى كانت مقامة
من أروج الحبر ، تكسو حدرها أعصا اللباب منصف
عليها نصارة وبهاء .. وبعد نصف دقيقة ، فتحت أمامهما
بواب حبيبته قصر آل أنجلنى . ولحنت ميرا البطرة لى
تفتها « حين » على أعمدة الأنوار . .. كت
وعالت « خطوة مطمئنه خير من .. »

خلال الباب الكبير - إلى الطريق الطويل ، تحت اشجار الدردار النابتة . ثم اردفت : « هذا ما قلته امي يوم ان ثارت على بسبب ما دعه « الجنون في القيادة » .. مهذه للناسه يا جين ، اريد ان املك ان امي العزيزة قد فعلت : صارت مغرطة اللطف معي ، ويحسب إلى انها قد تمسك مني إلى وسعك مني . عندما ابلغ السبعين من سري ويكون في الثامنة والتسعين .. ها نحن قد وصلنا ! ارجو ان يهنى بالخادم « لوسون » ! لقد التحق خدمتنا اخيرا ، وهو على جانب واخر من الظلوف .. يجسد العناء ، ويمزج على « الكويسر تينا » ، ويلقى دروسا في مدرسة الأحد . ويتحدث بلغة وافرة في حفلات مقاومه الحبور .. وهو مخرم بقص الحشائش ، وقد ابلغتني خادمتي انه يعلم الفرنسية معها .. ربي سمع وحده من يدور عجايبه . خولى يكون ربي للخدم ، وهو عجز يؤسف له ، لأننى اميل إليه جدا ، ولا اود ان يترك خدمتنا .. ان « مايكل » يقول ان لى عاده خدمته هي الاعجاب بالناس ، وتشجيعهم على عمل الاشياء التي يحدها وسيلون إلى بدلان فيهم في خدمتهم .. انه على حق في ذلك ، فسير اننى احب دائما ان ارى جميعهم وهم سعداء .. »

وهبطنا من المركبة ، صارت « ميرا » إلى اليوم متهاديه في ربي . ويصاحبه لا يمشي مع الطريقه لى ربي يعود بها جواربها المصفرين .. ونظرت حين باهتمام إلى الخادم الذي سارع إلى استقبالها في صمت ، فلم تستشف فيه مظهر

رئيسي للخدم ، كما انها لم تستطع ان تتصور انه يعرف سر الكويسر تينا ، او يخطب في اجتماع لمناهضة الخمر ، وان تصرف في تعاطف واعتداد بالنفس . وشرحت لها « ميرا » الامر ، وهي تتقدمها إلى السلم : « هذا ليس لوسون .. » قد سمى على ان اذكر انه قد كلف بالذهاب إلى القس - بعد طهر اليوم - بشأن قداس للتراثيم يريدون اغانيته .. امير عدا - فاسيه « نوم » .. ونحن ندعوه هنا « جيفسون » .. كان يعمل - من قبل - سائسا عند « مايكل » .. ولكنه عقد خدمته على حدس خاطئ .. وسيت منه بلا رحمة ليعمل في خدمتنا ، فاتفقت على ان يدرس على « لوسون » أصول العمل ، وبدأ يطلق شعر سائفيه على صدغيه . لسوف اروي بعد ذلك من مودته من يروح هذا الطريق ما نحن بعد سدائك حذرنا . « لاسي » يرمي ان يعمل بغير لمحيرة ! .. لقد نسيت ان اذكر لك انه ثمة مباراة دوريه في تنس تجري الآن ، ولا بد لي من ان اسارع إلى الملعب .. »

بين ان يذهبوا إلى بيتي ، حيث نشاهد حركه ودال وروبير شعور لدور لاسي بفردي الرجال . وسكون يسيما معهما في يومه المحدديها هو المنة الرابعة ونصف . ملازمهم يندال ملائسك ، لأن خادمتك وامعتك لم تصل بعد ! .. »

حينها حس « بكر » لى اسافر عاده بملابس بريف . بعد مغيب ذلك اليوم . كما درس . ربي .. ربي .. من عشر عند المساء . ثم الحق به .. »

وبعد عشر دقائق - أخذت حين طريقتها - من الأشجار -
إلى ملعب التنس ، مهسية مصواب الذهب والفضة . . وكان
كل صيوف ليدى يحملن مجسمين هناك في حماسات مسجحة
تحت أشجار الخور السفاء والقرهريه . . وفي آخر الملعب ،
كان الحباس متقدما حول اللاعبين - ملها افترت حين منهم
ومع بطرها على « حارث » بفاعته المشوثة ، مرسيا مطلون
من الصوف الأبيض وقميصا سمحيا ، وأمامه الشاب رومي
بحسبه الصبح القوي ، وقد راح يلعب وانقا من قوه تسديده
الكرات وصدده إياها ، في محفل ما أمتر به حارث من بطرس
جاد ، وسرعة مائتة في تدول المصير من يديه . . وكنت
بسرارة بديعه ، وقد كنت حارث الحولة الأولى - سببت
أصابات في مقابل ربيع . وقد تحول مران اللعب - في الحويه
انثية - إلى خمس إصابات لصالح رومي وأربع في صالحه
« حارث » ، وبما دور هذا لكور المادى باللعب ، مكار وانما
من أنه سيكسب الجولة ، فيصحان متعادلين .

وهنا سارت جين بجوار صف المقاعد ، حتى وجدت مقعدا
بحوار « مرا » ، محياها المبرحون باعتماد . ولكن في عجله ،
لاعمرأهم إلى تنبع اللعب . ومخافة دوت حسيحات عاله .
- أن « حارث » خسر مقطنين . . وكانت حين قد جلست في
بعمده وعيناه موجهين إلى الملعب ، في المخطه التي رنعت
عنها صرخات الدهشة من المطارد . وقد أصعبت إحدى
كرات « حارث » الشيكه - وانطلقت أخرى خارج الملعب . .
وانتهت الجولة لصالح رومي ! فصاح بيلنى : « لقد تعادلا . .

إسمى لم أر - ال « ملعب بهذا الشكل من نفل ، وسينيج لنا
هذا أن يشاهد جولة أخرى . . بها عنوان من قوة واحده
عدال كالبرق ورونى كالرعد ! » .

وفي الحولة التالية تبادل اللاعبان مكسيه ، وظهر
وجه « در » ميفع - برغم بشرته الملوحة . وقد لاح عاصد
من نفسه لشكله في سدد الكرات ، في تلك اللطبات الحرجه
من الحولة السابقة . . وبما كن عصيه من نفسه لخصاره
الحويه ، قدر نفسه عليها بما اعتقده من أن المشاعدين قد
لاحظوا البطره اسي الماه من طرف عصبه إلى شخص طويل
يرتدى ثيابا رمادية ، سار في عدو ، بطول صف المقاعد ، مما
جعل الديا بعد أسمه وتسلط ، واحتلقت في بطره السماء
والأرض ، وأمرجبت الشيكه بالخطوط . . والواقع أن أحدا
لم يعض إلى هذه الماهره التي جمعت - في لحظه واحده -
من خصاره « حارث » و« رسول » حين « سوى تلك اليد
الحسا التي كانت حاليه أهم الشيكه » ، والتي مازله
« حارث » أنشاه ، ومهمس لها بكلمه ، يدها سار في بلرمه
ليتبادل المركز مع روني !

وكانت الحولة الأخيرة أكثر الحولات ثلاث إشارة للمتعرجين .
فقد صحر اللاعبين تسع إصابات اقتبها بجهد شاق .
محسبا حارث ، وأربعاً لرومي . ثم أن لرومي أن يكون المادى
بالرميه . سراح باصل لأحرار التبادل . وتكررت صحت
المسقط من انتصار كل منهما كلما أفنت منه فرصة . . في
كسب « دال » ضربة جزاء ، إذ وجم « رومي » ضربة رعبه .

صدها « دال » فصاح اصار آخر - « بل نحن
وهنا قالت السيدة ماركر مانجس بيللى ، الذى كل جالس
على الحشيش ، عند قدميها « الا تشعرون بدوار من هذا
اللعب ؟ ارى ان الصراع بينها قد طال كثيرا ، وكلاهما
اى حاجه إلى قدح من الشاي .. كان الاخرى بالسيد المميز
ان يترك تلك الكرة تمر دون ان يتعرض لها « . مقال بيللى :
« اليس كذلك ؟ .. ولكن « دال » ليس رحيما ، مطمئنه و
المحب وموحد له .. « السيد ماركر مانجس
من مضربى عدة مرات ! « . فقالت السيدة ماركر مانجس
اننى واثقة من ذلك .. »

وعند ذلك مالت حين نحو بيللى - بناء على إنشاره من ميرا -
قرسته !

وتوددت الكرة مرات بين اللاعبين واشتدت الهتافات :
« يا للشيطان ! » « ما عترضت السيدة ماركر مانجس قائلة :
لا بلو ديم ان يربوا هذه الكلمات ، مها يتناهبون من حياصة
حديثة - فحينئذ ركبته بسدة مسجدة - وعثر بها - و
بحية صوت الر - « دال » - « معكم فانه - « دال »
موجعا للأسى ؟ .. اننى لا أطيق نظرات ناسد اللعب - «
انادى ذاتها بالتعادل ، مئذك على ما اعتقد ارق وأظرف ! « .
مفرصة حين مره اخرى - ولكن نظرات بيللى إلى السيدة
ماركر مانجس لم تتحول عنها ، فقالت له ميرا بشدة - «
« دال » - « دال » - « دال » - « دال » - « دال » - « دال »
« دال » - « دال » - « دال » - « دال » - « دال » - « دال »

صارمة ، عندما مال نحو مقعدها ، ثم أردفت قائلة : « ولكنك
ستحق كل ما يلحق بك ! « .

ولم عاد يثر لاهث - بعد ثلاث دقائق - ووضع المظلة على
ركبتي يدي أنجلي - « همس في أذنها قائلا : « لقد قررت
يا ساطلمه منك باصاحبة الجلالة .. لقد وعدتني بأى شيء
- حتى نصف مملكتك - غير اننى اطلب رأس السيدة ماركر
سجس في طبق ! « . مصاحت به جين : « آه ، اصمت يا بيللى
بعد من أمينا ، فقد أضعت علينا مشاهدة هذه الضربة
الآخرة .. ما هي النتيجة الآن ؟ « .

وكانت هذه الحولة في صباح « جارت » ، وإذا يد
« روني » تمتد مسددة ضربة عالية ، لم يتسن لجارت ردها
وهنا دوى صوت بين ضوضاء المطارة ، قائلا : « هلم والعب
يا دال ! « . وعرف دال ذلك الصوت الحبيب فلم ينظر إلى
صدره ، ولكنه ابتسم - وفي اللحظة التالية ، سدد ضربه
بوجه عرق - السيد « دال » - « دال » - « دال » - « دال »
من جانب روني إلى آخر أرض اللعب ، بدمعة في انخفاض .
« دال » - « دال » - « دال » - « دال » - « دال » - « دال »
المهانة بالتصارع « حارت » .. وخرج اللاعبان معا من اللعب ،
حنيا إلى جنب ، وبضربهما تحت ذراعيهما ، وحيرة الإحهاد
بعضو على وجهيه يحملين - كان لوني يدهم حد صسل -
حتى أن شوة النصر ملأت قلوبهما معا ، على السواء .

وكانت مولين ليستر جالسة وعلى حجرها مستقرة « جارت » كما كانت تحتفظ له ساعة وسألتها . .
 موقف جارت محاورها لحظة لأحد ماعه ولتسبب منه
 التهنئة ، ثم ألمى بسترته موق كتميه ، وفس ساعده في جنبه .
 وأسرع متحفا إلى حبس ، هاتف : « كذا يا آنسة
 شاميون ؟ » ، وانفت عيده المبهوتين سعيدتيه ، نسه
 ما رآه منها من مرجه اللقاء والرحيب ، وملاذ ذلك ثقه
 ورضى . . ذلك لانه كان يحس في عيناها موحشيه بالعه .
 الثلاثاء ، والأربعاء ، والخميس . . ان هذه لاء الثلاثاء كتب
 فب كحجر عثرة أيام يوم لجمعه ولقد ملا مكره العصب
 كعب يمكن ان يؤدى عياب شحس ما إلى مثل هذا المائر ؟ . .
 ومع ذلك ، ما كان أحذر ذلك ما يحدث ، حتى يعطيا معا
 إليه ! . . بعد حان اليوم اندي عترم منه ان مذكر احد كد
 ما كان بحاجة ماسه ، مستسبسه ، الى ان يطل معه على
 الدوام ! . . أجل ، لمد أدركا معا ذلك ، عقد بين جارت
 من ان حبس أحسبت مثله بالفراغ . ان شعورا عارب ، حذرا
 بالشوق والحسن . . كذلك الذي أصده . . لا يمكن ان يكون
 من جانب واحد ، مما أعظم وأثمن الحرمة التي مرت بها في
 أيام الوحدة . . لقد تلقيا معا درسا عما يحسه كلية ، مع . .
 ولم يبق الآن سوى ان تحرر لكلاب من الأمواه ، أنصص لهما
 الا فراق بعد ذلك ، إلى الأبد !

مرت كل هذه الخواطر بذهن جارت وهو يحيى « جين »
 مائه تحة إنجليزية السؤال عن الحال ، ذلك السؤال
 السرمدى الذى لا يلقى جوابا قط !

أما « حين » ، فان تحية « جسارت » لم تمد لها فمها
 . . في تلك اللحظة . . مأجبات عليها في وصوح وجلاء . . وكانت
 تبعي . . موق كل شيء . . ان تنفث بكل ما لاقته ، وأن تسمع
 كل شيء عن نفسه . . وأن تقارن بين أقوال كل منهما عن أحداث
 هذه الأيام الثلاثة . . التي لم تكن تسدو لها مهاله . . وأن
 ستانفا صداقتهما الوثيقة ، من حيث تركاها وامتدت بعدها
 إلى يده في تماسك شديد ، أوحى إلى « حبس » بالرضى ، وبالود
 الصحيح . . وأحابت عن سؤاله : « أنى في أحسن حال ،
 مشكرا لك يا دال . . أو بالأحرى ، أنفى أشعر باطراد التحسن
 في صحتي وروحي المعذنة . . في كل لحظة . . بعد أن وصلت إلى
 هنا أخيرا ! » .

واسعد حارث بحبره إلى ذراع مقعدها ، واستلقى على
 الحشيش محاورها متكئا على مرفعه ، ثم سألها بصوت حاد
 دون ان ينطلع إليها ، بل ظل محدقا في حدائنها الداكن الرشيق ،
 الذى كان مسقرا موق الأرض بحاسب يده : « هل حدث
 ما مكر عليك أيام إقامتك بلندن ؟ » . . مأجباته حبس في صراحة :
 « كلا ، لم يكن اللعب عيب لثدن . . ومع ان الطقس كان حارا
 أغبر ، الا أن المدينة كانت مديعة كالعباد . . على ان اللعب
 كن في عسى . . وأحسبك ستحبجل مئى ما دال إذا اعتزمت
 لك به ! » .

لم يرمع عينيه إليها ، بل انهك في التقاط بعض عباد
 العشائش وترقيتها في أشكال زخرفه على حذاء « حذر » . .
 وما كان لينور بينهما حديث غير ه إلى أنها كانتا وحيدتين ،

سر كانت « حين برمعه - مقار - مغل على مسمة من
جميع - ونظرة الصود - بحسب الرس - ذلك بسر السعد ..
عقدت كرم منهنه صحنه »

على أن صوت السيدة باركر باتخص ارمع مجاء ، في
مؤن « كد ؟ » . فاجابها بللى صائحا : « كسلا ، بل
نفسر » ثم هرول فحضر لها عددا منها ، ودممها إليها ،
سك . في بلطفه إلى ارضائها - أن يلقي بها في حجر السيدة ،
دعمر وهو يهرول مقتضى جارت ..

وحملت « حين » في السيدة باركر باجس ومطائرها ،
ثم حولت رأسها نظره إلى رأس « جارت » وشعره الأسود
اللامع . وتأملته وهو يعمك بالحنثاشي ، ثم قالت : « كنت
مخلدة ، مكتسه إلى درجة لا تطاق .. ولقد أعاد دال أن
حو .. نسد ، سحرى لا يسد نسده .. ولكن ذلك بلدى
- وأنا في القطار قادمة إلى هنا .. ماكتشفت أن معننه هو
دال « نفسه .. اتسمعنى يا دال ؟ » .

ورفع « جارت » رأسه ، ونظر إليها وقد تنس - في هذه
اللحظة - أن من الممكن أن تكون التحريمه الجايحه - العيفة ،
من جانب واحد فقط .. ادست عينا « حين » الرمايس
هانتيين ، مغمضتين بمدقة مرحة . فقالت له حين : « لقد
كان الذهب دنيك يا بنى العزيز » .. ومع أن وجه « جارت »
تضرح بجمرة شديدة ، إلا أن صوته بدأ هادئا نائنا ، وهو
تسائل : « كيف كان ذلك ؟ » ..
- في الأيام الأخيرة في (أوغردين) - في ..



سيدة باركر مع جارتها

في الأيام الأخيرة في (أوغردين)

لم يكن لي عهد بها من قبل ، فامتدتها - بعد الرجل - إلى
درجة كانت تبعث على الإزعاج حقا .. حتى لقد بدأت أحتسب
على أتران عقلي وهدوئه ! » .

وهنا تدخلت « ميرا » ، وهي تطل برأسها من خلف مظلتها
لصراء ، وقالت لجين : « أفي ، معي وسك ودال أن معيا
بكل عردة موسيقية هما ، فستجدان « بيانو » في قاعة
الطوبس ، وآخر في البهو ، و « بيانو » كبير - من طررار
بحشتاين - في قاعة البليارد ، حيث أعقد دروس التدريب
للخدم والخدميات .. والحقيقة التي لم أعتد بعد إلى أي نوع
أفضل : إيراد « أو بروودود » أو كولارد ، أو بحشتاين ..
بذلك أنت مواحد من كل نوع ! .. ومع ذلك أنا شخصيا أفضل
لعمري على بيانو الكوخ الصغير ، الذي وصغماه في قساعه
الدراسه هنا .. لقد نقله أخيرا إلى حجرة الرتبة ، إذ يسدو
أني ألت أنفاسه دون سواها . أو لعله أكثر أصغما
لطريقتي ! » . فقالت جين : « شكرا لك يا ميرا .. أعتقد أن
دال وأنا نفضل بيانو بحشتاين » .

واستأنفت لندى بحلى حديثها قائلة : « وإذا أردت شيئا
مثيرا في مبدل الموسيقى ، عليك أن تحب بعض التدريبات التي
يجري استعدادا لقداس الترانيم ، الذي سبقام لكلمة مقص
لاكتساب المخصص للأغش .. كم أنا محبه لأعمالهم ! » .
فأجابها حين في حرم : « انني أؤثر أن أقوم بنفع كل العجز
على أن أقرب من « قداس الترانيم خطوة ! » . فبادرت جارت
قائلا : « وقد لمح استياء ميرا : « كلا .. أنه لعمل جليل أن يعمل

القوم على تسديد ديونهم وكسب ما يحتاجون إليه لمعونه
كنائسهم .. ثم أن قداسات الترانيم مديعة إذا أُحْد أدائها ،
وهو ما أوقن منه ما دام أضع اليد الجليدي الجليسي هم القائلون
بالأمر ، ولقد شرح لي « لوسون » أمرهم هذا الصراح ، وعيهم
بهم الألحان ، وأنها بشحية حقا . أتراه كان لحن « روينس
كروزو » .. كلا ، ليس هو .. ترى ما اسم ذلك اللعين ؟ ..
« كوخ العم توم » ؟ .. نعم ، فقد كان يدور حول شخص
أسود ! .. ونقوم لوسون بدور العم توم ، وأنة القس
الصعري بدور « اما » الصغيرة .. لسوف تبتشين معي
ما أنسة شامبيون إلى هناك ، لمشاهدة أول تجربة تالمة ! » .

وتسألت جين : « أتريد مني ذلك ؟ » ، دون أن تقطن
إلى عدوية الانتصالة التي ألقتها عليه ، فها طمطت إلا إلى
ذكرى تحركت في قلبها .. ذكرى تلك الليلة في أومردن ،
حين نطقتها ميل شديد إلى أن أقول له : « مني ما تريد مني
أن أفعل ، وسأفعله ! » .

وهنا قالت السيدة باركلي بانحس : « سر بولس جدا أن
تذهب معكم : فهي تهم بالموسيقى الرعيفة » .. فمادرتها
الآنسة ليستر ، وكانت قد وصلت في تلك اللحظة ، وحلبت
في مقعد عال محوار ميرا : « هراء يا عمتي ! .. انني أقر الآنسة
شامبيون في رأيها عن قداسات الترانيم ، فليست أحمل غير
المجاز من الموسيقى ! » . والتفتت إليها « حين » بسرعة ،
وقالت بلبسامة اليفة ، وبأعلى لهجة ودية : « حسن
عليك أن تأتي معنا ، حتى نساعد في حتمال التفحيط . »

وهي سائل - في أسباح حقيقى - ووحيتها الندمغ وأشجاراتها
الرقيقه ، وتتصور مبلغ استمتاع دال بأن يرقنها وهي تتحدث
بهذا السحر ، وهذه الضويه . ونظرت إليه محدولة أن تلمح
الاعجاب في عينيه ، فإذا به منكس الرأس ، وقد بدا مسغمرًا
في مقر رركته حداثها على الأرض ، يعود طويل من شجرة
الحور .. وظلت لحظه ترتقب اليد المحيله السمرء ، وهي
عاكفة على هذا العمل التامه ، وكأنه يرسم لوحه .. ومحاذاً
سحب قدمها ، وهي تضرر بالمعاص منه لعدم استمتاعه
بالحديث الشيق ، وما بدا عليه جهاراً من عدم مبالاة بالعتاء

واعتدل حارث في جلسته لتوه وقال : « لا بد أنها كانت
حيلة عجيبة ، ولكم أحدث روايتها ، حتى لقد كدنا نسمع
بوق الصباب ، ونرى وجوه العارمين والمعين بها ارتسم
عليها من انزعاج واستياء .. أن بوق الصباب ليس من
الاشياء التى يسهل على المرء أن يالها ، مثله في ذلك مثل
لرلزل .. بل أن صوته يزداد أزعاجاً مرة بعد أخرى ..
والآن لتناوب رواية أعرب ما صادفنا في الحلقات الموسقة !

.. سمعت مرة غلاماً يتلو بضعة أبيات من قصيدة لنتسون
- عنوانها « هجوم اللواء الخفيف » - بطريقة تمثيلية . ولكنه
كان عصصاً أكثر مما ينبغي ، مارتك وخلط بين الأبيات ،
وعندما وصل إلى وصف مسلك الحدود الستةائة وتمكبرهم
قال في أداء مؤثر : « لم يكن عليهم أن يحسوا . ولم يهتموا بأن
يعملوا أو بأن يموتوا .. وإنما كان كل ما عيوا به هو ارتعادوا
في تعليل السب ! » . وكانت اللهجة التى ألقى بها الأبيات ،

والحركات التى مثلب . حيداً إلى حد أشك منه في أن كثيراً من
المستمعين قد فطنوا إلى أى خطأ في الكلمات ! » .

وقادل رونالد أنجرام : « هذا يدكرنى بأضحك حداث
صاحبه في حبابى .. وكان ذلك في صلاه شكر أقمته لعوده
قسم من جيشنا من جنوب إفريقيا » إذ أحتنت الحمله
بشيد الرطى البريطانى . واسم لتذكروا كيف مسطررما
- من عهد قريب - إلى تغيير الضمير في المشيد ، بعد أن
خلف الملكة فيكتور ملك ، وكفى من عزم على المرء أن
سمادى العطق بما رسخ في ذاكرته .. وكان بطلس حلمي رجل
دو صوب حسن ، راء بسد بدماسه وجهه « بهذا نفسه
في تعديل الصائر كتم صديقه . ولما داح إلى طر الرابع من
لقطع الثم ، أشد بصرة وحشه . لمن الله سياسته .
والمسد كل حيله الحينه . وأسم غنيون أن الضمير هما
لم يكن يعود على الملكة . ولم يكن ثمة داس سيرة إلى المدكر »

فقال ليدى انطلى : « قد يطررب الملك لهذه القصة ..
و تقرأ من أمها وسيت عمة ماروسى ؟ » فأجابها هذا
كل النقه . بل أن في وسعى أن أحدث لك اسم الكسيسه .
وعنوانها . واليوم الذى وقع منه ذلك ، وتدعو لك جميعاً من
الشهود الذين استقيد بهم الضحك لذلك ! » .

- حسناً .. سأروى هذه القصة لصاحب الجلالة في أول
فرصة أتشرف منها بمقابلته ، وسأبلغه أنك سمعتها بأذنيك ..
والآن ، ماذا ستعمل في النفس ؟ ما حبه اناعوز في غرملنج ؟
أهو نهائى الزوجى ؟ نعم .. آه ، هو بيت سبيلج .. مع

الأمسة ليسفر ضد الكولوبيل لورين والآنسة ميموث . .
 وأين انكما خلمان بان بعلنا عسبب سببولة بعه . لانه
 مستحسان مع . سيكون هذه المبر . حذيره بالمسعد . حين
 مناجسها حين محارره . رهي سطر إلى حارت وموثر وعد
 وقتا مسما في الشمس المائلة إلى الغروب . مستحسان
 بحرسوب . ويستقش في الحبل التي مستطعن استعالي .
 وطلا كذلك في سطر حصيب . مسما مطرهما المسما
 ليعور إعطاء . كروحي مستطعن . وكما سكبت لستسه
 حين ما لديها في كل حب . من كوسيه . وسع سعب الرعد
 الذي قد يؤخذ . في صدد رواحها . هو ان جمال العده .
 الرستق الاسير . كان سده بنونه غيبه حور . مست
 حتى لقد كان من السهل ان يؤخذ على انها اح واحد
 ولكن هذا لم يكن بالمعب الذي يحطرن بال . حين . لا
 حانيا ستي سولين كان سرام كلك سطر . اما وسر سب
 بها . دمه إلى حب . بعد طيات إلى سده أحلب لصبه
 بحرت . وهر منها مبرح حين حال ما فيها به . مست
 نصيحتها !

وميا كانا يسيران على مهل ، عائدين إلى القصر - وهي
 وحارت بمردهما - في بيه الأصل - قالت " حين . بكر
 ساطه " ذال " . هل يضايقت ان أوجه إليك سؤالا ؟ .
 هل قررت نهائيا ؟ " . فاجابها جارت : " لن يضايقتي أي
 سؤال ملك يا جين ، وإنما أرجو الإفصاح . ما هذا الذي
 مرره نهائيا ؟ " .

— هل خطبت الآنسة لستر ؟

— كلا ، وما الذي دعاك لأن تتكبري في شيء كهذا ؟

— لأنك قلت في (أوغردين) يوم الثلاثاء . . الثلاثاء ! أواه .

لا بدو لك كأنما قد انقضت أسابيع على ذلك . . قلت ان
 بن الواحد ان نحمل قولك على محمل الحد .

— كأنما حدث ذلك منذ سنوات ! . . واسي لأنني حقا ان

حدثت قواله على محمل الحد . ولكني مع ذلك - لم
 صب بد . . لسه سطر . وسى لائق إلى ان تحدثت اليك
 بهذا الصدد ، دون ان يفكر مسبقا أحد ، فهل تخبرين
 معي إلى الشرفة - يا آنسة شامبيون - بعد الغشاء ، عندما
 سطر . بقوه إلى ألعاب وأسباب للهر . ويستطعن ان يسطر
 سطر . من معلن إلى أحد ؟ . . هناك استطعن ان أتحدث إليك
 سطر خوف من في دحين . ان سوء الفهم على المحر
 حذر ما شاهد من الشرفة ! . . لقد قضيت ساعة - ليلة
 الأمس - هناك . . آه ، كلا . . انك تخملين الحديس ، للمره
 أولى . لقد قضيت الساعه وحيدا . بعد انتهاء البرهه و
 القوارب ، ورجعت أفكر - إذ ذاك - فيما سيدور بيننا الليلة
 من حديث !

عندئذ حين " سأتى طمعا . وبص ان تسبيح لمسك
 الحرية في الأمضاء إلى ما تبقى . . على ان تعدني بأن نفس
 سبي الصبح والعون اللدس الملك أريد . . سطر حوس
 عانجها جارت في صوت منخفض : " . . لاني . . سطر .

الكثير عن الأمر ! » .. وأحايته هامسه : « اليس كذلك ؟ ..
ولكن ، لا تشعل بالك يا « سيد جارثى » ، لآنك تعلم مدى
صدق اهتمامى بالأمر .. فأنجذنى مرشدك فى عياب
مارجرى ! » .

وقفر جارثى من مجلسه ، عاتنصب واقفا وهو ينظر إليها
نظرة جمعت بين الطرب والعيظ ، ثم قال : « هل أنسلق شحرد
'المانوليا إليك .. ان فى مفسى اثناء كثيرة أريد أن ابوح لك بها،
ولا يمكن أن أصبح بها أهام البت ! » .. ماحايته حين :
« لا ، طبعاً .. لست أريد أى روميو ينسلق إلى نامدى ..
» وماذا بعد ؟ « ، كما تقول العمة حيناً .. هيا واستدل
ثيابك يا سيد جارثى ، فإن « الأشياء الكثيرة » يجب أن تبقى
إلى أن نلتقى الليلة ، وإلا تأخرنا عن موعد العشاء » .

وقال جارثى : « حسناً .. حسناً .. ولكنك ستأتين الليلة
يا أمسة شامبيون ، مهل ستمجننى من وقتك كل ما أنتعى ؟ » .
فأجابته حين : « باحصر محرد أن نستطلع الإميلات من
الجماعة ، وإن تكون أشد لهفة إلى الامضاء معى إلى السماع
.. آه ، يا لمير رهور المانوليا ! .. انظر إلى السلات البضاء
الكيرة .. هل لك فى واحدة متضعها فى عروة ستترك ؟ » .

فالتقى إليها بانتسائه غريبة ، بمعمة بالوحد ، ثم دار على
عقبه ، ودخل إلى القصر ، وترك « حين » النامذة وهى

تقول ساهية : « لست أدرى لماذا أميل إلى مداعبته
وإعاضه ؟ .. حقاً ، لقد كنت أنا السخيفة فى هذه المرة ،
وكان هو رزناً معقولاً .. ان « ميراً » على حق ، مجارث حاد
فى أمره ، ولكن ما موقف العتاة يا ترى ؟ .. أرجو
أن تكون مهنه بأمره ، وإن تكون عواطفها متحفة إليه ! » .
ثم دانت حادمتها قائلة : « تعالى يا ماثيوس ، وأعسدى لى
الثوب الأسود الذى كنت ارتديه ليلة الحملة الموسيقية فى
(أومردين) .. هيا أسرعى ، فليس لدينا أكثر من عشرين
دقيقته ! .. يا لها من ليلة رائعة بديعة ! .. قتل كل شيء ،
بعالى وألقى نظرة على غروب الشمس فوق البحيرة ! آواه،
ما أحلى البقاء هنا ! » .

الفصل العاشر

ما كانت ذخيرة العالم كله من نفاد الصبر لتقوى على أن
تجول دون أن يكون العشاء في قصر (شستون) بمهه عاقله .
ولم يكن من السهل على اثنين مرموقين من أمراء الجماعة أن
يتسللا دون أن يلحظهما أحد . لذلك فقد كنت ساعه بعدد
... في القرية - تدق العاشرة ، حين تمكن « حارث » و « حسن »
من التسلل معا إلى الشرفة غير ملحوظين . . وكان « جارت »
قد التقطت - أثناء اجتيازهما الدهو - سحاده صغيرة ، ثم أعلق
حلمه باب البهو - المصى إلى الشرفة - بكل هدوء وحرص . .
وحلا كل منهما إلى الآخر . وكانت هذه هي المرة الأولى التي
اسعدا فيها منذ أن امترقا في (أوغردين) ، وقد حمل إليهما
أن دهرنا قد انتضى على ذلك !

وسارا في صمت - جنبا إلى جنب - نحو الساح الحخرى
العريض المطل على الحديقة العتيقة . . وكان صباء القصر
الغضى قد كسا المكان كله نور راء عجيب ، ولاحت أمامهم
اقسام الحديقة البارزة ، والدروب المعرجة ، وأحواس
الزهور المحيية الأشكال . . ومن خلفها البحيرة كبراه مصه
تعكس بها أشعة القمر الهادئة . ونشر « حارث » السحاده
الصغيرة فوق قمة السياج ، واجلس جين موقها ، ثم وقف
محانها وقد استند إحدى قدميه إلى السياج ، وعقد ذراعه
على صدره ، ورفع رأسه إلى أعلى . . وجلست « جين »
بجانته ، متجهة إليه بنظرها ، وقد استندت ظهرها إلى تمثال

أحد من الحجر رابض فوق قمة السياج . ثم أدارت رأسها
بمأمله البحيرة ، وهي تعتقد بأن « حارث » كان سطر في
الإنجاء ذاته ، في حين أنه كان يحدق في وجهها ! وكانت جين
ترتدى بوب السهرة الأسود الحرار ، الذي ارتدته لئله حمله
(أوغردين) الموسيقية . غير أنها لم تصنع لعمد اللؤلؤى
و أي ريشه أخرى ، اللهم إلا حزمه من براعم الورد
القرمزي استكنت بين ثنايا الداملا الرميصة ، العذبة . إلى
كنت مكسو صدر الثوب . وكان يحف بها خو من النيل والفوه
الهادئة . مما يست رعدة عرفت روح الرجل الذي وقف
بناهما . . ومساعد كل ما كان يهلا قلبه من حب واله ، ووجد
متسبب ، مشيت به عيناها ، إذ لم يجد به حصة إلى أفعاله
... وما هي ذى الساعة قد كنت أخيرا ، ولم يبق ما يحويه عن
المرأة التي أحبها !

وبالتمت « حسن » أن السنت . وهي معجب من أنه لم يند
بعد اغترافه عن بولس ليستر ، حتى إذا ما وقعت عيناها على
عينيها بمسمره ، صابت وقد هبت باليهوس من مآها .
وهي تقول : « دال ... أواه ، يا دال ... لا تفعل ! » . فردها
إلى مجلسها في رفق ، وقال : « صه يا عزيزتى ! . . يجب أن
أخبرك بكل شيء ، وقد وعدتني بالاصغاء لكل ما أقول ، ومن
تسدى إلى الصبح والمساعدة . . أواه يا حسن ، يا جين ! . .
أنتي في ميسس الحاحه إلى مساعدتك . في حاجة شديدة
لا إلى معونتك فقط ، وإنما إليك يا جين . . إليك اسمك ، ذك :
... أواه ، كم أنا محتاج إليك ! . . »

هل سيقتدر لى يوما أن أحملك تفهيم كل .. مدى .. أواه ،
يا حين ! » .

ولم تكن قد شعرت به إذ اقترب منها ثم سقط أمامها
حائسا على ركة واحدة . وبما كان يداق بالحدلة الأخيرة
.. بلهجة يتهدده لاسفة - لما در منه حول خصرها . ودمع
وجده .. « ألسلا » لوضعه الم .. تكسب صدرها ثم
اجتواه سكور وهدوء .. « ما ان كز جعد بدله » للبعير
كان في نفسه - مد حذو ويلأثي ، وبحول إلى صمت قوامه
الانراك والفهم .. صمت شامل ، كامل !

ولم يسر حتى تكلمه ولا حارب حر كا . ملقد كان يتقوؤه
في حد الوديع معبث عدويه مابقه ، وكبها اسمي ذلك الأعصار
المنالقي الثائر إلى موطن لراحة - فوق قلبها الهادي - في
هدوء مطهر . وتبست - حسدك - أن المراع الذي عنده في
الثلاث أيام اننى برت به لم يكن ناشئا عن شوق إلى يوسف ،
وأبها من شوق إليه .. هو ! مما ان شعرت بذلك ، حتى لعت
فراعيها حوله دون أن تدري ما كانت تفعل .. واستنقظت
بها أحاسيس . لم يحلحج من سل - وحاشيت في هوانها
.. أحاسيس علوية سامية بولها عن كل العالم .. وانزاح
عنها ما عانتها من وحدة موحشة في الحياة ، أمام هذه الحقيقة
العالمية : أنها وهو .. معا ! وفي اللحظة التي اتضحت معها
هذه الحقيقة لدهنها وحسها ، رجع « حارث » رأسه - وهو
ب برال محبصا إماما - فنطلق إلى وجهها قائلا : « انت وأنا
معا .. أنت لى .. أنت لى ! » .

غير أن مظاهرات عينية الجميلتين المتألفتين ، كانت فوق
ما يخطر على « حين » . إذ ذكرها محلو ودهم من أحجار
الصارح . وحيل إليها أن يترامه كاتب سر .. كتب ذلك ،
نادا بها تصنع يديها معاه حلت رأسا ، سرده ودهم به إلى
العتلا « اننى كتب نكسو صدرها » ونسب محالها عا شيء
سوى أن تحفى عنه بطورها الخارجى ، بعد أن امرت حدة
من عوميه نفسها اندميه في أعمايقها . ولكن « حارث » رى
في حركة عاتين اليدين التوميتين العيريين ، إذ دهمسه إلى
صدرها بفتة . محاولا دم عن عوم بها له جسده ولكن ما قدمه
.. « وصفت روحه بسمن وى سكور ودهم فاق كل كلام »
لشعر ثوال تشوايه . ثم لعشرين ، ثم للاثلاث .. ما يثبت أن رجع
رأسه محذوا في وجهها مرة أخرى - رمال - « بروهني ! » .
ولدى بطقه بهذه الكلمة . تبست وجه « حين » الصديق
العزمي . موخه من لدهشته ولحر . ثم صا حليع بدمره
عبيته . فكانها احتدب كل بدبا التي كانت تحرس منو معه
خلال قلبها ، لتسك في رجوعها مدمرهم . « سبب ونسك
القلب ان يكف عن الوجد » .. وراعى « حين » من دراعى
الشباب . ثم نهض . وراح يشرح صدرها إلى صاه الصغيره
الم خمنه سلا كالقصه تحت أشعة اشهر .. ووثق حارث
دالمين حائنها ، لا ليامسها . ولا ينسب بكلمه أخرى . تد أنق
من أنه كسب المعركة ، فأنعبت نفسه بفرحة صامحة .. كانت
روحه هائلة ، فبدأ الصمت الممبق انفسح من الكليسات ..
وكان خلقا مائة لمسة عادية أن نظم
الاحظاظ التي ضمته فيها « حين » .

نسى على ألا أعرض نفسي لهذه الحياة .. والآن وقد تركتك
بوجه إلى هذا السؤال ، ملا بحجب إذا ظلمت بك أن ينجلي
الثنى عشرة ساعة للتفكير في الأمر ! » .

وصفت « جارت » فلم يجر جوابا ، وجلس على الدرج
الحجري وظهره إلى البحيرة ، وقد مال برأسه إلى الورا ،
محاو لا رؤيه وجهها ، ولكن بدعا كبت بحب وجهها تماما .
ثمعد ركنيه - أحدهما فوق الأخرى - ثم ضمهما براحتيه ،
واحد يبر ويدأ إلى الأمام وإلى الورا لدقته ، محاولا أن
يسطر علم ترعة كانت تدقعه لأن يتكلم او ليتصرف بشده
ومع . . وسعى إلى أن يسطر على مكره بأن موجهه إلى
نوامه كائن تلوح لسطره . . كان حورياه الأحمران يظهران
بجلاء في ضوء القمر - وموق ارض الشرفة البيضاء ، وقد انسا
مع حدايه الاسودين اللامعين . . كان دائم الحرص على أن
يرتدي حواف حبراء مع ملابس السهره ، مراح يسكر منها
إذا كان له أن يطلب إلى « حين » أن نسج له عددا منها . .
ثم أخذ يحمي موفد واحده القصر ، باحثا عن نائنه وناعده
حين ، وكم يامده تفصل بينهما . . وأخيرا شعر بأن لئنه من
النواعث ما يكفى لأن يثني نفسه ، مال إلى الورا ورأسه
المكسو بالشعر الاسود الاملس ، يكاد يلمس كس ثوبها . وبدأ
خدمته في رفق قائلا : « سيني أتبعها العريرة . . ألم تشعري
منذ لحظات . . ؟ »

فصاحت به حين في شيء من الجفاء : « مه ! أصمت يا
دال ! .. لا تتحدث عن الشاعر وهذا الموضوع يعلق بيننا . .

أن الرواح واقع وليس شعورا ، فإذا أردت الخير الحقيقي
لكلينا ، فادخل الدار غورا ، ولا تحدثني الليلة بشيء ! ..
لقد سمعتك تقول أنك ستجرب أرغن الكنيسة في الساعة
الحديه عشره من صباح باكر ، مليكن . . ساوامك هناك بعد
الحادية عشرة واستمع إليك وأنت تغزف . . وعند الظهر تمامه
ستصرف الغلام الذي ينفخ الأرغن ، ثم أعطيك حوايى . . أما
الآن . . عزمك دعنى وادع يا عريرى ، لأننى - في الواقع -
لم أعد أحمل موق ما احتلت ، ولا بدلى من أن اخلو إلى
نفسى ! » . فك جارت يده عن ركنيه ، ويد اليد القريبة
منها . متسللة فوق السياح نحو حذاء « حين » . وشعرت
العناء به بمسك ثوبها بأصابعه الرشيقة ، ثم حتى رأسه
سريره وهو يهيس . . وقد حطت عليه بمظاهر الحشوع المتناهى
والحنان البالغ : « ملائيل الصليب ! » . وبحركة لم تقو حين
على نسيانها ، أحنى غلثم طرب ثوبها . . وإن هى إلا لحظة
حتى ألقت نفسها وحيدة !

وانصت إلى وقع خطواته وهى تبتعد ، وسمعت باب
المهو الخارجى يفتح ثم يعلق . وجلست - وهى ساهية -
ذات الحلة التى كانت فيها حينها حثا أمامها . وما هى
ذى وحيدة تماما ، وقد بدا التوتر - الذى حثم عليها في
اللحظات القاسية - يخف ويهدأ . وصغطت بكلتا يديها
« الدانلا » التى كانت موق صدرها ، والر الرصق بها ذلك
الوجه الحبيب الجميل . . لقد سألها عما إذا كانت قد شعرت

« أوامه » وما الذى لم تشعر به ؟ .. وكانت دموع « حنين » عصبية لا تسيل بسهولة .. أما الليلة ، فقد ناداها باسم لم يحظر لها يوماً أنها سسادي به ، وقد حدثها قلبها الصادق الشريف بأنها لن تسمعه أو نادى به بعد ذلك . ومن ثم فقد انهمرت دموعها الصابئة ، وتساقطت على يديها ، وموق « الدانتلا » المسدلة على صدرها . ذلك لأن الروجة والام .. الكامنتين في أعماقها - استيقظت وتحركتا الليلة ، وثفت أعماق مطربها مواسع الكنج القاسى وصبط لتتس - الذى كانت تمارسه بهزيمة الذكور - ثم أبت هذه الفطرة أن تعود إلى . حيث كانت ، دون ضريبه نسوية ، نهلت في الدموع !

وتحت قدميها ، تناثرت أوراق الورد الدالة وقد معنتت واصبحت هباء ..

وما لبثت « حنين » أن ولجت الدار .. وكان البهو العلوى مكتظاً برمر مرحلة من القوم ، وقد أخذ الرجال يلقون تحيات المساء على السيدات وهن يصعدن درجات السلم ، ويتوقفن لما لمرد التحية أو لتأكيد حطة للغد .. وكان « حارث دالمين » يقف في أسفل السلم ، منصهما إلى حديث مع مولين لسيتر وعمتها ، وكانا قد بلغا الدرجة الرابعة من السلم . ولحمت حين - عند دخولها البهو - قامته المعتدلة ، ورأسه اللامع الأسود .. وكان موليا ظهره نحوها . ولم يد منه ما هم عن شعوره بوجودها - رغم اقترابها منه - ولكن رنة الطرب في صوته ، بدت كما لو كانت تؤكد أنه لها دون سواها ، فقد كاس « حنين » هي الوحيدة التى تدرك السر في أنشراحه ..

ووصعت يدها موق صدرها - بحركة لا شعورية - وهى تنصت إلى حارث إذ قال : « آسف جد الأسف يا سيدتى . لن أستطيع مرافقتكما صباح باكر ، أنفى على موعد هام في القريبه .. أجل ، في الساعة الحادية عشرة من صباح باكر ! » .

وقالت السيدة باركلي بانجس : « أن اعتذارك ذو طابع رسمى بديع .. ولم لا تصطحب مولين وإيلى ؟ .. اننا لم نشاهد بعد مصانع الألبان ، ولا صافعات الأكل ، ولا أى شيء مما ورد في قصة « آدم سد » (١) منذ وصولنا . ونكم أود أن اذهب إلى مطبخ السيدة « بوبر » ، وأرى صورتي منعكسه على الأنفة المعدنسة المعلقة إلى الجدران » ، معفمت لها الأنسة ليستر في شمس : « ربما كنا رائدتين عن العدد الذى سيع له المصنع ! » .. ولاحت مولين رائعة متالقته في ثوبها الحريري الأسمر ، وقد أرمع رأسها الصغير في أنفة ملكية . وضع منها سناء الأنوثة الأمريكية . ولم تكن بتخلية نابسة محوهرات سوى عقد من الآلىء القصة ، المتنسقة ، راده برمقا عنق مولين .. كل هذه المحاسن الموجهة إلى « حارث » لم تلبث أن تحاورت رأسه ، وترايت إلى حين ، حيث كانت تتلصقاً في مؤخره القوي . مالت عيناها بكل دقائقها ، وأقربت من الأنسة ليستر لم تكن - في أى وقت - أحق بالاطراء والاعجاب منها في تلك الليلة !

وقال جارت : « ولكن الأمر لا يتصل - للأسف - بمصنع

(١) فلم « كتلى » بلقمة أنسة « آدم سيد » في العدد ٥٢ .

الألمان أو بالآنية الممدنية . إن موعدي مع غلام صغير هزيل . كل ما فيه رأس يكسوه شعر أحمر مجعد ، ووجه قد رر كسبه 'الشمس ! « . مقاتلت الآنسة ليسر في نساؤل . " اهو عيس حيرى ؟ « . وكان جوابه : « أجل ، معدل ثلاثة سمسات للساعة ! « . فصاحت السيدمان معاً . « آه .. علام طبع ! « . وأردمت مسز باركر بانجس : « يا للعجب ! أى مشكلة شير ه حول امر غايه في البساطة ! .. والآن ، لقد سمعنا - ب سند دالمين - بأن مشاهدتك في لعب التنس تسحق مشقه السج إلى الملاعب ، متوقع ان تراند قادمتهن في وقت يتيج لنا ان مراك وانت تبدأ اللعب ! « .

واومضت عينا جارت ، مخبل لحين انها سمعت اللويميس رميناً في صوته ، وهو يقول : « أنك تعالمن في تقدير لعى . يا سيدتى العريرة ، كما أن رقة قلبك المناهيه تحعلك تعالين في أشياء كثيرة تتعلق بشخصى .. غير انى أود أن ادكرك بخلفه الجولف في الساعة الحادية عشرة من صباح باكر . ولك أن تستقل عربة إلى ملعب الجولف ، وأن كنت أرى أن للسير خلال الفئات فتنة . وكل ما عليك هو أن نتذكرى أن عليك أن تحتازى الحديقة ، وأن تخرجى من الباب الشمالى ، وليس من المدخل الرئيسى الذى نسلكه إلى محطه السكه الحديدية . لقد كان بودى أن أرامقكيا ، لولا أن الواجب يتطلب أن انطلق - في البكور - في اتجاه آخر . وغوق ذلك ، مان مجرد العلم برغبة الآنسة ليستر في رماية الملعب ، سقدمع الكثيرين إلى أن يروا في « الحولف » الشيء الوحيد الذى يؤثرونه بوقتيم

في فترة الصباح عدا ، حتى اننى لن أكون أكثر من فرد وسط الحشد الذى سيتدفق عبر الحديقة إلى الباب الشمالى .. وسيكون من المستحيل أن تضلا طريقكما ! « .

وهبت السيدة باركر بانجس بأن تحاذله لمين له أنه لا يمكن أن يكون « مجرد فرد وسط الحشد » ، ولكن اسمه أخيهما تدحط ، قائلة في حرم : « كمى يا عيتى ، دعى السحب ، مكلنا مجرد أمراء ، اللهم إلا إذا صحبنا ، كما يميل الآن موق هذا السلم .. إذ أن تحمسرنا يحول دور مرور الآنسة شامبون ، التى نحاول - بمد برهة - أن تجد لنفسها مفعدا . لنعصد إلى حجرتها .. هل ستلمين الجولف عدا يا الآنسة شامبون ؟ « .

وعند ذلك تفحى « جبارث » حاساً ، متقصدت « جين » ساعده الدرجات . ولم يطر إليها ، ولكنها لمحت عينيه تحدثن في ذيل ثوبها ، عندها مرت بحواره . وثوقت قليلا بجانب الآنسة ليسر ، موقنة من انها خليفة بأن تبدو دمية بجانب حسن الأمريكية وبياض بشرتها . ثم استدارت وواجهته ، وتمنت أن ينظر إليها وقد وقفا معاً . كانت يهوى إلى أن تلعب عينا الفنان الفارق القساصى بينهما . وكانت تمنى أن تنين روحه الفنانة ذلك !

وظلّت ترتقب . ولكن عيتى « حارت » ظلتا يتشسختين مدبل ثوبها ، في ناحية حدثائها الأيسر . ثم رمع رأسه ببطء ، فأنظرا إلى « الدانفلا » المسبعة على صدرها ، حيث كانت يدها . وبقيت عينا لحظة هناك ، ثم هبطتا دون مبرتها إلى أعلى .

بينما قالت السيدة باركر بامجس : « هل ستعطين مع السيد دالين باركر قبل الظهر يا آنسة شامبيون ؟ » .

وتضرج وجه « جين » فجأة ، فسخطت على نفسها لهذا التضرع ، وحنقت على الظروف التي جعلتها تحس وتعمل ما لم يكن في طباعها من قبل . . وترددت في هذه اللحظة الطويلة ، البغيضة ، لتسأل نفسها : « كيف جرؤ « جارت » على مثل هذا المسلك ، الذي قد يوحى إلى الناس بأن في ثوبها شيئا غير مألوف ؟ . واستند بها نزوع إلى أن تنحني لتسرى منفسها ما إذا كانت قلبه قد تحسنت في شكل نجمة علفت بالذيل الحريري . . ولكنها عصمت نفسها على التجلد ، وأجابت في شيء من الحدة . « لن لعب الحول باركر ، ولكنكما لن نحدأ أمضل من مشاهدة الحلقات . . سمعدت مساء ، يا سيدة باركر بانحس . . يوما هنيئا يا آنسة ليستر . . عمو مساء يا دال ! »

وكان دال واقفا على الدرجة السفلى من السلم — وهو يناول عمو بولين خطافا سقط منها ، فأحاط قائلا : « عمو مساء يا آنسة شامبيون » . . والتقت عيناه بعينيها ، ولكنه لم يسط إليها يده ، ولم يبد أنه لمح يدها نصف مسبوطة إليه !

وصعدت السيدات الثلاث درجات السلم معا ، فذهبت كل إلى حجرتها : سارت الآنسة ليستر في ردهة إلى اليمين ، وسارت عمتها متعثرة خلفها ، وإذا بها تقول لها : « لقد دب

بينها شقاق الليلة ! » . فقالت الآنسة ليستر في صوت حامت : « مسكينة ! . . اننى أميل إليها ، مان عنصرها طيب ، واكاد أقتنع بأنها أكثرنا جميعا عقلا واتزاناً . . متجاهلت عمتها لحيلة الأخيرة ، وقالت : « أنها مثال ناطق للبلايح البسيطة . . الحالة من الجبال ! » . فأجبتها الآنسة ليستر في انصاف : « أنها لم تصنع وجهها بيدها ! » .

— كلا . . وليست تلك ان تدفع اجرا للعمركى يصنموه لها . . هي كما قال مسير والتر سكوت : « الطييمة في خشونتها » !

فقالت الآنسة ليستر في ضجر : « ليترك لا تجهدين نفسك — يا عمتى العزيزة — بترديد أمثال من الأدب الإنجليزي القديم عندما نكون معا ، على حدة . ان هذا يستنفذ انتفاذك دور طائل ، لأننى — كما ترين — أعلم جيدا أنك قرأت الأدب القديم . . ها هو ذا باب حجرى ، تعالى معى واستريحى على ذلك المضجع ، بينما أجلس أنا في المقعد المريح المقابل له ، وأدلى إليك بعض مبانات تمس إليها الحاجة . . أواه ، كيف تشدد هذه المقاعد المرء إلى الأرض ! لا بأس بهذه القصور العتيقة بحالتها الحاضرة ، غير ان القوم يحولون كل ما يتعلق بالمقاعد المتأرجحة . . والآن ، لدى كلبة أو كلمبان أريد ذكرها لك عن الآنسة شامبيون . . أنها في الواقع طيبة ، وأنى لأميل إليها . . أنها ليست حيلة ، ولكن لها قواما أدهب ، وفوقا حسنا في اختيار ملابسها . . ثم أنها تلك ثروته طائلة ، وكان يوسعها أن يمتلك لآلى، أنس ما أملك ، غير أن ذواكها أصليهم بمقدرا

من أن تقتلني بالألء على بشرتها السبراء . واني لأحب المرأة التي تعرب حدودها ، وتحرم على التزامها . . ان الرجال جميعا يعدون هذه الفتاة ، لا لمظهرها ، وإنما لشخصها ، وهذا في رأيي — يا صيتي — هو الأبقى على مر الزمن . . هذا هو الذي يدوم . فبعد مضي عشر سنوات ، ستكون النبيلة «جين» كما هي الآن ، في حين انني ساكون منصرفا إلى محاولة اكتساب مظهر ليس لي . أما « حارث دالمين » ، فلعل عينه تنصب عليها جميعا ، ولكن قلبه لا يصير إلى واحدة منا . ان احسانيته الطلبة ونظراته المعجبة لا تعنى الرواح ، لأنه رجل يبحث عن المرأة المثالية ، ولن يرتضى أن يتزوج من دونه . . ولو أن العفراء هبطت من السحاب ، وأسلمت الطفل إلى الشابة التي تكون إلى يسارها ، فانه قد يقتل الزواح منها ، ولكنه — مع ذلك — قد يظل موجسا من أن يرى — في اليوم التالي — امرأة أخرى تصف شعرا بشكل أجمل ، أو أن يكتشف أن قديم عروسه لا تندو على السناد المعسى بالحبال الذي كانت تبدو به فوق السحاب . انه لن يتزوج مالا ، لأن لديه منه الكثير . . ولو لم يكن لديه منه شيء ، فإن المال المصنوع في شموغ لا يروق له . . وهو لن يتزوج حبالا ، لأنه يفكر منه أكثر مما ينبغي . وانه ليس غفلة بوجه لا حصر لها ، حتى أنه ليظل طيلة الساعات الأربع والعشرين ، عاجزا عن أن يثبني أي هذه الوجوه احظى بإعجابه . وادكرى أن الناكبة التي لا سبل إلى بلوغها هي أشبه الفواكه عادة . . ثم انه لن يتزوج الطيبة أو الفضيلة أو الحداثة . . سمها ما شئت ، لأن النبيلة «جين» شامسون » هي المثل الأعلى — في كل هذا — لديه . . وهي أعقل من أن

تربط مثل هذا الرجل المشقى بوجهها الحالي من الحبال مضلا عن أسها ، معتبر نفسها حدثه ، ولا تقبل منه أن يضع يده منها موضع العلم والبري . . أما محنة « حارث دالمين » المسكين ، هي في اعتباره إلى الثقة بالنفس ، وإلى الشموغ السلمي الذي يحمله يقطن إلى قدرته على الظفر بهيئة الأعلى . ولكن ما أقسى الصعوبة التي سيلتقاها يوم تقول له : « لا » . . لقد كان — طيلة الأيام الثلاثة — يعيد الأرض التي يسير عليها ، وبعد الساعات التي سلتقاها بعدها ، انقاء نخويبه حولي ، وحولك ، وحول الحمر الحمقى ، التي كانت تتواثب حولنا ، وهي واثقة من أننا قد سقطنا في الحب . . لقد تلهى وسر كثيرا من ملازمي ، أكثر من سروره بالفتيات الأخريات ، لأنني كنت أفهمه جيد الفهم ، وقد ساعدته في مسبق الحديث الذي يقوله لها . . وقد أدرك ذلك عند وصولها ، وعرف أن من الممكن أن يعتمد على في إثارة ما يشغلك ، أو حملك على تحرير خطابات هابة ، كلما رأتها مقبلة . . هذا قصاري ما كان يمر وبين « حارث دالمين » . وإذا كان لديك أي حرص على عواطف الشابة ، مما عليك سوى إسقاط طاقم أسنانك الصناعية فوق حوص الفسسل الرخاوي ، أو أن تتذرعى بنية حبة أحمرى لتزحل إلى المدينة في صباح ماطر . . أما الآن ما عيرتني ، ملا تضعضع وقتك في مناقشتي ، فلقد حدثتك بدقة وأمانة مائة عن كل ما يمكن تبيانه بصدد هذه المسألة ، بل أكثر . . محاورتي تقتزى إلى فراشك دون أن تحدثنني من أية شئ حمله

شخصيات قصص « ديكز » التي تشبهني ، لأنى أدكى محبة
حبيبا ، ولأنتنى — إذا بقيت دقيقة أخرى داخل هذا القوت
المشدد — لميت أدرى ماذا ستكون النتيجة .. وسمعت
طرقات وصيقتها إذ ذاك ، فتهتفت : « نعم ، ادخلى يا جوزمين
.. وسمى مسماء يا عيتى العزيزة .. انتهى لك احلا سميدة » .

ولكن بولين أطفأت النور الكهربائى — بعد أن بارحت
الوصيفة غرفتها — وأزاحت الستار قليلا ، ثم وقعت طويلا
فى النافذة تنال الطبيعة الإحليزية الهادئة ، وهى تسبح فى
لحين القمر ، وأحيرا تهتت بصوت حامين ، ورأسها مسند
على حاميها النافذة : « لقد شرحت قصيتك شرحا وأميا با دال ،
ولو أنك لا تستحق منى ذلك .. لقد كان فى وسعك أن تطلعى
من منذ أسابيع — على أمرك مع جين . امى أحبب الله لا ذلك
سوقم تار الأتاول عى وعك .. أما أنت أيها العرم ،
مستنقى هاتما فى تهادتك بحرف منك إلى ملوع القمر ، حتى
إذا تعدر عليك ملوغة ، فلن نحد السلىوى فى الإحرام
الأرصيه ! » .. وبهذا ختمت بولس مباحاتها ، وقد أقر
تفرها عن اسماسية شاردة . فقد أمثارت بولس بأن روح المرح
تتألق عليها فى وحدتها ، كما تتألق أمام الناس . وقد يكون ذلك
على حسابها ، كما يكون على حساب غيرها ؟

أما حين . فقد سارت فى الردهة السرى ، حتى بلغت
بحرنها ، وولحتها فى مطم ويسكون . أن حارث لم يسم
بده ليتلقى بها ، ولقد مطمئت جيدا إلى ما فعله لذلك ،

كان ليرتضى — بعد اليوم — أن يصاحبا فى صداقة .. وهى
إذا حرمت من اللطمة التى معنى الامتلاك الثام ، عاتبا تحريم
نفسها من عرى الزمالة البسيطة . لقد كان « جارت » لليلة
كلانهر الملكى الذى تدوق طعام الدم ، ملا يمود يرمى عنه
بديلا .. وبدأ لها التسبه غربيا ، وهى تقفله فى ملابس السهرة
الشديدة ، امودجا للأناقة ، والرشامة ، دون أن يشوبه أدنى
عيب .. ولحقها تبيت فيه لأول مرة — وهما معا فى الشرفة —
كل العناصر البدائية التى يحمل منه رجلا . رجلا قويا ،
شديد العزم ، مسيطرا .. العناصر التى يصنع الملوك ! ..
ولدت فيه أحداث أعمال المصهور الأولى . معها رمحه
الاسد ، وشراسة الثمر ، وعزيرة النبك التى يصيح : « انها
لى أحررها ، واستنفيها ، وأحارب من أحلها ، واسممع بها ..
لنوف أدع كل من يقرب منها ! » . لقد شعرت بذلك ،
عاستوعبه روحها القوية الحريئة ، واستحاتت إليه غير وحلة
.. وكانت على استعداد لال مسظن ، لو .. فقط ! آه ،
لو .. غير أن عحلة الرمس لا يستطيع أن يدور إلى الجراء ،
وإذا عكرب فى أن تجميع نحرها فلا بد من أن يقيم ميهسا وسبه
تضامنا لاذمة راسخة .. فلن يرد فى الرجل الذى استند
رأسه إلى صدرها دون أن يمس — شئ من تلك الاقتراعات
العاطفية ، التى تهدف إلى الانقاء على علاقتها كمعصر يصل
من الأخب والصديق ! .. لقد أدركت حين كل ذلك . أما هو
منذ احتضن بكراسته ، وبذلك زمام انصائه ، بعد أن صدته
عنها .. غير أنها كانت تعلم أنه بذلك ..
فيها انقلسها ، وهو ما يزال يعتبرها ملكة ! ..

الحازم بالمستفسر ، هو الذى وهبه الصبر الرقيق فى العترة
الراهنه . ولكنه مع ذلك أبى أن يتناول يدىها فى مصافحة
الصديق ، وهى بعد لم تفضى إليها بجوابها !

وأوصدت حينئذ بابها بإغلاق ، إذ رأت لزاما عليها أن تواجه
معضلة المستقبل معزول عن العالم بأسره . . ألايتها تستطيع
أن تنسى العالم كله ، منقصر تفكيرها على « حارث » وعلى
حبه . فقد كانا أحمل وأعتر بنحدر طرحتا تب قديهما .
ولها أن تلتطمحها متوسلها بين دراعيهما الخائفتين ، حيث
تقيهما إلى الأبد . وحلا لها أن ترحح ذلك برتبه ، كان من
حبها أن يهنا بهذا الإدراك ساعة . . ثم يجب أن تواجه
المشكلة : إمكانياتها ، وحدودها ، ونفسها ، وعلاقتها بأسرت
فى المستقبل ، وأثر رواجها منه عليه . . أما ما يعود عليها من
من هذا الرواج . فلم يكن يحظر سألها ، أو يهمل فى حسابها .
شدد أوتس « جين » شعورا داب عاريا ، كذلك الشعور الذاتى
الذى يكبر فى جميع المومس التى هطرت على الحفظ ، ولكنها
لم تكن محبة لذاتها .

وكانت قد ترك حزنها فى الظلام . . فى بدى الأسر -
متحسست باريها إلى استنار وأراحتها ، ثم رصعت الحاجر
الخشبى . وتلت بقعدا إلى البامدة ، حيث طست بلمقه
ساعديها على جافتها ، معتدة نقتها فى راحيها ، وراحت
تطل على الشرفة التى كانت ما رال تسمع فى نور القمر . .
وكانت نامتها تقع فى مواجهة المكان الذى تبادلته عنه الحديث
مع « حارث » . ورات الأسد الحجرى وأصعسا ملينا رهور

« الحرايم » القرمية ، ثم استقر بصرها على عين النعسة
التي كانت تجلس مياها حينها . . . وهذا تفتت ذاكرتها فى
رحفة . واستسلمت حين . . إذ داك - لا عجب ثخرة عقلية
مرت بها فى حياتها . . لقد كانت امرأة ذات هدف وعزيمة ، وقد
قالت لنفسها أن لها الحق فى أن تها باستعراض ما حصرى
ساعة ، وقد سمعت بهذه الساعة كإله . لقد التقت - فى
نفسها - بغيرها وانطلقت معه دور خوف أو وجل ، فلم يسأل
عما إذا كانت تحبه أم لا ، ولم تكن هى فى حاجة إلى أن توجه
لنفسها هذا السؤال . ومن ثم أسلمت فبادها وحريتها
الأمية فى حقن ، وبواضع ، وشوق . . ووعدت - بجماع ما
فى مطرنها من قوة - أن تحبه وتكره وتطيعه . ولقد تفتلت
الاعجاب الذى ماضت به عيناها الجلفان ، دون أن تهتر فيها
حارحه . . لقد حسنت حسابها معدا عن مكرها ، وتخلت
إلى روحها . . وكانت روحها كإله الحال . . أصلح ما تكون
له !

وهنا انراحت عنها ذكريات سفين الوحدة ، غادا الحياة
أمامها غنة وعامرة بالأمال . فهو فى حاجة دائمة إليها ، وهى
باقنة دائما رهن اشارته ، وفى وسعها دائما أن تسد حاجته . .
وراحب تسأله - فى خيالها الحيل هذا - « هل أنت راض
يا حبيبى ! » . . وألقت السؤال تكاررا ، مكان صوت « حارث »
المرح الذى يمحس شسا وفتوة ، يجيبها « أتم الرضى ! » . .
متسست حين الليل ، وانثقت فى أعماق عينيها الفادس نور
معرفة كانت حتى هذه اللحظة لا تدري س . . بوسع أميها سها

الرقبة أحسنت برعشة حلوة لا سبيل إلى وضعها ، وقد
أشركت أسرار أصدق ما بداخل المرأة من ألوان السعادة ..
توسعت لنفسها ، « أمه لي وأنا له .. » وان حبسني لمي أمان ..
« سي .. » وأمه لم يعد راضي ، لأنني له .. » وهكذا أسلمت
نفسها ساهيا لرحلتها ، وقد صيبت « حارث » تحت حماحي
حيها ، وأمثلا قلدها الكريم معطيه هذه المنحة . ثم استأنطت
فيها طليعه لأم .. « عرفت مقدار الحب الأموي الذي تقدمي
في فئس حب المرأة الصادقة ، عندما يدرك مدى طبعها طبعه
الطفل على الرجل المحب ، وكيف أن شدة حبه إلهما يهبط
النفس الموي .. » التي أصبحت « هي » لأمه له .. إلى درجة
غير عادوية بن الضعيف !

وهنا صعد صدرها بیدها ، وهي تهين : « جارت ،
حارث .. » هم الآن ' لقد كان شيا - عليك - يا سي
المحبوب .. » « عرفت عني إزداد .. » ولكنك ظفرت في تلك
الخطايا التي .. » بكل ما أردت ، وليس هناك
ما يسلك هذا الأمر الواقع .. لقد جعلني لك ، قلن بصم
صدرى وحدا آخر ، مهمل فصل المستقبل لك أو لي .. » أن
صدرى لك ، وأنا لك ، أمانة .. » إلى الأبد .. » ثم السقف
جسنا بحامة الدامة .. » سقط دموع القمر لخصي على حلالاب
شعرها الداكن العريض . وتصوع عنق المانوليا حولها . وتردد
- في غابة قريية - تغريد كيوان ساهو .. » وانحابت عن
« حين » سنين الوحدة المصعبة ، ولحظت الحيرة الحاضرة ،
والمستقبل المبهم .. » وراحبت بمر مع « حارث » - في الخيال -

صاحب محيط دعني - بعيدا عن شواطيء الزمن .. لأن الحب
أرضي .. ومولد انحب ببحر الروح من كل حدود الصدد !

ودقت ساعة بعيدة - في اقريه - مدام انتصاب الليل ..
سربت الدقائق الاثنا عشرة عبر الحديقة إلى أبارها القمر -
إلى مامه حين .. ها قد عاد الزمن ثابته - وعادت روحهم
المتحررة إلى جبل أثقال الجسد .. » وبدأ يوم جديد .. اليوم
انقضى وعذب جارت عنه بردها .. فمعتد تدق الساعة النسيه
عشره - مرة أخرى - ستكون واقعة بجواره في العتبه ولاند
من أن يكون ردها مبدأ .. وعند ذلك ارتد عن الباعده دون
أن يعلمها ، بل اكتفت بل استدلت عليها الستار ، ثم أضاعت
المور الكهربائي فوق منضده الكتابة . وحلقت ثوب اللسهر
معلقته في مشجحة - داخل حبراه الملائس - وأرادت ثوب
أخضر مصفاضا ، أتباعه حديثا شين مدس لأن أحدا لم يشأ
أن يشربه .. » وأجيب رجليها أمام ممدسة الكتابة .
وأخرجت معزتها لوميه ممضت عنها علامها ، وبدأت تقرأ
.. » وقلبت صفحاتها في تودة ، متوقفة للحظات هنا وهناك .
حتى عثر على ما كانت تنشد ، فأطرقت مفكرة ورأسها
مسد فوق يديها ، مقد حوت الصفحة حديثها مع جارت في
يوم حفلة (أوغردين) .. وبدأت تلاوة ما كان يدور بها
- حرما محرف - مكانت السطور إلى عنيت بها ، تتضمن :
« لقد تبدل منظر وجهه ، فأشرق حياد [بسماع من الطبل .. »
والإلهام ، حتى شابه وجه ملاك .. » فلم
تد غيرة بيتها

ذلك . لأن جمال روحه قد مالق على سطح جسده مكساة
سقاء . ومع أنني كنت صبيا - إذ ذاك - منذ أمكنني أن امرق
بين الدمامة وتجرد القسيمات من الحمال . . ومن ذلك الحين
أصبحت أقرن وجهه بحمال روحه العجيب . . وعندها جلس
بعد انتهاء موعظته ، لم أعد أرى منه شيئا بالشجباري .
وأما مذكرت ما كان لا يتناسه من سنى سلاوى . وما كان
وجهه باللوحة الذى يود المرء أن يعيش معه أو أن يلماه يوما
بعد يوم على المائدة - في الواقع - وليسكن المرء لم يكن
مسطرا إلى أن يقبل وضعا كيدا . يمكن أن يسمى - في رأيي
استشهادا . . وقد اضطبت ذكره في مخطتي من ذلك الوقت
كمرسال مصحح على لحيته الواقعية . . على أن الطيبة لا يمكن
أن تكون ديامة أبدا . وأن السب العلوى والإلهام السلاوى إذا
انفلقا من أسط القسيمات وأكثرها مجردا من الحمال ، تحولا
مؤقتا إلى حمال ، ودائما إلى شيء يحيا الإسلام أن يذكره ! .

قرأت حين الصعقة كلها - في البدايه - ثم ترتز نظرها
وعقلها على جملة واحدة هي : « وما كان وجهه باللوحة الذى
يود المرء أن يعيش معه أو أن يلقيه يوما بعد يوم على المائدة .
في الواقع . . يمكن أن يسمى - في رأيي - استشهادا ! . .
وما لبثت أن نهضت - أخيرا - فاصبغت جميع مصابيح
منصدة الرتبة ، والمصابيح الباهرين القلائيين على جانبي
المرآة - بوجه خاص - ثم جلست أمام المرآة . وأخذت
تنحس وجهها بكل نزاهة وصدق !

وعندما دقت ساعة القرية معلسه الواحد صبا ،
وقف « حارث دالمين » في ناميته ليلقى نظرة أخيرة على الليل
الذى كان له أكبر الأثر عليه . وذكر - والانسامة تعلو
شمعته - ما حدث وهو جالس في الشرفة ، وكيف أنه استعان
لهذه نصه بالتمكيز في جورسه الآخرين واحصاء النوامد
الواقعة بين نافذته ونافذة حين . . كانت حسن نوافذ . وقد
تعرف على نمطها بشجرة المانوليا ، وبالمقعد المشت تحتها .
والذى تصادف أن جلس فيه دون أن يعطن إلى وقوعه تحت
نافذتها . . وعند ذلك مال بجسده خارج النافذة ليشهد
نافذتها ، مرأى الستار مسدلة ، ولكن نصفا من النور كان
ينفذ إليه من بين شقيها . . وفيما هو يحلق . انطلق النور !
وعاد نظره إلى الشرفة ، فرأى الأسد الحمرى وحوض
« الحيرانم » القرمزى ، واستطاع أن يحدد المقعة التى كانت
حين تجلس فيها عندما . . .

وإذ ذاك جثا على ركبتيه بحوار النامد . ونظلع إلى السماء
المرصعة بالنجوم . . لقد عاشت أم حارث من العمر ما يمكنها
من أن تلقته السر المقدس . . سر صبرها الحبل وقوة
أحتمالها . ففي لحظات الحشان العاطفى ، كانت كلمات من
« التوراة » - التى ورثها عن أمه - تتبادر على لسانه ، أسرع
من المبررات التى تعبر عن أمكاره . لبد راح يردد - في
حقوت وحشوع - وهو يتطلع إلى السماء - « كل عطية صالحة

وكل منحة نامة ، هي من موق نازلة ، من عند أبي الأنوار الذي لا يتمير ، ولا يعقوره ظل من قلب « . ثم اصاف مبتهلا : « يا آنا ، اجمطبا في الدور .. هي وانا ! ولكن مثلك ، لا نتمير ، ولا يعقورنا ظل من قلبه ! » .

وعند مراعه من هذا الابتهاال ، نهض على قدميه ، مالمقى نظرة نابية على الأسد الحمرى ، وعلى السياح العريض .. وعردت روحه في اعماقه ، وعقد دراعيه موق صدره وهو يهتف : « يا زوجتى .. يا زوجتى ! » .

.....

اما حين ، مكامت قد اهدت إلى قرارها ، عندها دقت ساعة القرية مؤدنة بالواحدة ، ونهضت في تراح فاطفات جميع الأنوار ، وتلمست طريقها إلى مرآشها ، ثم جثت على ركبتيها بجوار السرير واجهشت ، باكية في ياس عميق صابت !

الفصل الحادى عشر

كانت كنيسة القرية المحاطة بالحضرة تسبح في صسوء الشمس ، عندما بررت حين من طلال الحديقه الرطبية .. وكامت الساعة قد أعلنت الحاديه عشرة والصف ، فلم تر ما يستدعى العجلة ، لعلها بأن موعوتها لم تكن يرتقه قسلا الثانية عشرة . وكانت نوامد الكنيسة مفتوحة وكسدا أبوابها اللوطية الثقيله .. ووقفت حين تحت مظلة المدخل المعطاه باعسان اللباب ، ترهف السمع ، متباهت نغمات الأرغن إلى سمعها ، وكأنها بمنعة من مسافة بعيدة ، ولكنها — مع ذلك — توحى بالقرب .. كانت الانعام تنعذ متسلطة خلال اليدين واقدمين ، وبدأ الأرغن كأنه شمس ، وان اماسه كانت موسيقى ! .. وما لبثت جين أن دمت الباب الثقيل ليزداد امقراحه .. وجال بدهنها — إذ ذاك — أن العلام الصعير — ذا الشعر الأحمر المجد — وحارث ، تقامته المارة ، قد مرقا بسهولة خلال فرجة أبت أن تتسع لجسمها الكبير ، فدفعت البابا مرة أخرى ، ودخلت .

وبقلملت في روحها سكبنة شامله ، في الحال . وكشرا ما يساور الإنسان شعور « غرب » عند دخوله بمسردا إلى كنيسة خالية ، فيخال أن في المكان أشخاصا غير منطورين .. وكان الأثر الذى تركته السنون على الجدران العتيقة والمقاعد الخشبية — من بقايا أفكار المصلين عظمى — الأمل — قد أسكت الحيرة الملحاحة التى استولب عظم جين ، فغفست

— لبضع لحظات — المهمة التي أقبلت من أجلها ، وأحست رأسها في حشوع ، بمسبقاته للعناده التي عمرت بها الكنيسة أجيالا . وكان « جارت » يمزق ترنيمة : « هلي أيتها الروح الخالقة » ، مسعا لحسن « أتودد » بنقطة . فلها سات حين يخطئ صامته نحو الهيكل ، شرع يترنم بكلمات المظم الثاني .. وكان يترنم بصوت خامت ، ولكن سراته المتلنسة المتسقة ، حبلت كل حرب :

« اللهم امح بنورك الدائم الأمل أعنام بصائرنا العمياء ،

« وامسح بالريرت وجوها الملوثة ، وأبرها بفضص محدك ..

« وأبعد عنا أعداءنا ، هب السلام لأوطاننا ..

« فحيث تكون مرشدنا ، لن ينالنا سوء ؟ » .

ثم انطلق الأرض بكل قوته ، بدوا بانعام الست الآخر . دون كلماته ، فأخذت الكلمات التي أنشدتها « جارت » تتردد في ذهن حين مرارا : « فحيث تكون مرشدنا ، لن ينالنا سوء ؟ » .. أفلم تدع الله طالبة الهداية ؟ .. إذن فلا بد أن تسير كل الأمور على خير حال ! .. ووقعت عند عتبة الهيكل . وكان « جارت » قد عاد إلى المقطع الثاني ، وأحد ببشده على انعام ناي عال : « اللهم امح بنورك الدائم .. » .

وحلست حسن على أحد المتاعد الحسمة ، وتلمنت حولها .. كانت أشعة الشمس تمتد من الخارج ، خلال زجاج النوافذ غير النظيف ، ثم تتحول إلى خيوط ذهبية كهربائية تتخللها

أسهم قرمرية .. إلا ما أجل التعسر . « نورك لدائم » .. وأخذت كل حملة تشق السكون — بينما كان « حارث » ينشدها — وكانها أشعة الشمس الصافية .. وإذ قال « اعنام .. » ، لحث « حين » قبه شعر رأسه الأسود ، من فوق ستار الأرغن المسرف الوشي .. وأوجبت من اللحظة التي يرفع فيها رأسه ، فتقع عيناه الوضاعتار عليها .. « بصائرنا العمياء » .. نرى كيف يتلقى ما سوف تصارحه به .. وهل ستجد القوة التي تمكنها من اجتياز هذا الموقف الطويل القاسي ؟ وهل سيحتطم قلبه بشكل مؤلم ؟ .. « وامسح بالريرت وجوها الملوثة » .. وهل سيحاججها ، ويصر ، ويتقلب على قرارها ؟ .. « وأبرها بفضص محدك » .. وهل تستطيع أن تقاوم قوته الصارمة إذا أثر أن يهرسها ؟ وهل سيتمكن كل منهما من اجتياز فترة عصيبة كهذه ، دون أن يصب الآخر بحرح مالح ؟ .. « وأبعد عنا أعداءنا ، هب السلام لأوطاننا » .. « أواه ، ماذا تملك أن تقول ، وما الذي سيقله ؟ كيف تراه سيحيب ؟ .. وإي سبب تعمل به رمصها النهائي ويقله « جارت » ؟ .. « فحيث تكون مرشدنا ، لمن ينالنا سوء » .. وبعد أن عرف « حارث » بعض مقلقات بمثابة ، انتقل إلى لحن آخر .

منذ ذلك كثر قلب جن من الوحيد ، ملقد بدأ حارث يعرف « المسحة » . ومع أنه لم ينشدها . إلا أن قوة الانعام المنسعة من أنابيب الأرغن ، لاحت ككلمات أشد ، تهامها له ، ردها أي صوت ، وبدأ كان لآلىء الفكرى — في سببها — توارها الباهر الثمين

— كانت تحصى واحدة واحدة ، خلال نغمات الناي الحرسه ، إلى أن أعلنت انقمام ناي الأرغن المثور على الصليب ، مسكت كلها في قلب جين معان حديدية .. ثم أخذت نجبل النظر حولها في حيرة بالغة وارنالك طاهر ، وكأنها تتلمس سبيلا للهروب من الغم المذهب الحزين الذي تردد في أرجاء الكنيسة الصغيرة ..

* * *

ولجأة توقفت الأرض ، ونهس « حارث » واستدار .. وراها ، وإذا بوجهه يشرق بنور فرح عظيم ، وقال مخاطبها الغلام ناصح الأرغن : « حسنا يا جيسى ، حسنا هذا في الصباح ، وهناك قطعة فضية لأنك أبدت نشاطا في نفخ الأرغن .. انه شلون . لا بأس ، حده فهو منى لك اليوم ، لأن اليوم يوم مجيد ، لم يمر بحياتى يوم على شكلته يا جيسى ، وأريد منك أن تكون مرحا مثلى .. هيا أركض .. اسرع وأعلق باب الكنيسة خلك يا بنى ! » .. يا لصوته ، وبألونة الابتهاج التى تطفئ فيه ، والنوى هزت روحها .. أما الغلام ذو الشعر الأحمر المحدث والوجه المنور بالشمس ، فقد نهلك سرورا ، وخرج من خلف الأرغن ، فافلتت من يده القطعة المضيئة . واحد في الحديث عنها حتى مثر عليها ، ثم خرج أخيرا ، وأعلق خله الباب الثقيل ، بصوت شديد مدو .

وبقى حارث واقفا بجانب الأرغن دون حراك ، ودون أن يرفع نظره نحو جين .. فلقد اجتاحتها — إذ أصبحنا وحيدين في الكنيسة — رهبة الموقت . وتمهل بشع لحظات لأحت لجين

وكنتها أيام ، بل اسامع ، بل اعوام ، بل دهر ، ثم خرج من وراء الأرض إلى وسط الهيكل ، ووقف مرموع لرأس وعشاء يومان ببريق حاطف ، وبدأ وكأنه فاتح واثق من النصر ! .. ثم مشى إلى الحاجر دى النقوش العجبية ، المصنوع من خشب البلوط لمعبره ثم وقف على الدرجات المؤدية إلى الهيكل ، وأشار إلى « جين » لتتقدم وتقف بجانبه ، وهو يقول لها : « هنا يا عزيزتى .. ليكن هنا ! » ..

وتقدمت جين نحوه ومقيا معا لحظات محدثان بالهيكل فقد كان أشد عتية من باقى الكنيسة ، إذ لم تكن نصيبه سوى ثلاث نوافذ ضيقة ذات زجاج ملون ومرر كس ، يمثل صورا ووقائع دينية معروفة .. وكانت البامدة الوسطى تقع تماما فوق « مائدة المناولة » ، وقد رسمت عليها صورة المسيح مصلوبا .. فنظر كلاهما إلى الصورة في صمت وخشوع ، ثم التفت حارث إلى جين وقال : « يا حبيبتى .. اننا هنا في حصرة قديمة ، وكان مقدس ولكن قدسسه المكار لن تقف حائلا دون الامضاء ما لدب من حديث . وار الروح القدسة التى يؤس بها كلاتنا ، لقادرة على أن تحل في وسطنا في هذا المكان ، لتشارك حديثنا ونصايق عليه .. إتنى في انتظار ردى ! » ..

وإذ ذاك جاهدت جين لتجلو حجبها ، ووضعت يديها المرتعشتين في حبوب سترة رداؤها ، ثم قالت : « دال ، ان ردى يتنهل في سؤال .. ما عبرك ؟ » .. واحسبت بعنف الدهشة التى ألتت به .. وإذا مساء برحاء البهيج الذى كان

يكسو وجهه قد خبا .. غير أنه أجاب بعد تردد قصير : «لننك
تعلمين أينها العزيزة .. أن عمري سبع وعشرون سنة » .
مقابلت له حين بكل نهمل وتفكير : « حسنا أن عمري ثلاثون
سنة ، ويلوح على أنني في الخامسة والثلاثين ، بل أنني أشعر
في نفسي بأثني في الأربعين .. وأنت في السابعة والعشرين
يا دال ، ويظهر عليك أنك في التاسعة عشرة ، وكثيرا ما تشعر
بانك في التاسعة . لقد مكثت في الأمر كثيرا وأنت تعلم ..
ليس بوسعي أن أتزوج مجرد .. غلام ! » .
وسادها صمت شامل ...

وفي فزع شديد ، رفعت « جين » عينيها ونظرت إليه ،
فاذا بالشحوب قد سرى في وجهه حتى شفتيه ، وتوترت
عضلاته وقد دهمه سكون جامد .. سكون حجري عجيب ،
ولم يعد فيه شيء من سمات الشباب .. ولاح كأنها كانت
أرحاء الكنيسة كلها تولول مرددة في عذاب وحسرة :
« واسمح بالزيت وجوهنا الملوثة ! »

وأخيرا تكلم جارث في طء نام : « ما مكثت قط في نفسي
.. ولست أدري كيف أسمر ذلك ، ولكنني لم أمكر قط في
نفسى منذ امتلأ عظمى بك ، لذلك لم أعطن إلى ضالك ما مى
من ميزات تستحق رضاك . لقد اعتقدت بانك شعرت به مثل
ما شعرت أنا به ، وأن كلا منا أصبح للآخر ! » .. ثم سطا
يده لحظة ، وكأنه يهم بأن يلمسها ، ولكن يده لم تلتصق أن هوت
إلى جانبه . ثم قال : « أنت محقة فيما تقولين ، وليس بوسعي
أن أتزوجى شخصا تعبيرينه مجرد .. غلام ! » . وأشاح

عنها مواحه الهبكل ، ونظر إلى الزائده القائمه بسوق « مائه
أناولة » المقدسة ، حيث كانت صورة المسيح مصلوبا .
وجهد في صمت بالغ لمدة دقيقة ، ثم أحنى رأسه قائلا :
« غلاظيل الصليب » ! .. وسار في هدوء في ردهة الكنيسة ،
ثم فتح بابها وأغلقه بعنف .

وبضت جين وحيدة .. وما لبثت أن تعثرت في سيرها إلى
المعهد الذي كانت تجلس فيه من قبل ، وسقطت على ركبتيها
هائبة : « آواه ! .. يا إلهي أعده ثانية إلى .. آواه ، أعده
إلى ! آه ، يا حارث ! .. إنما أنا المحردة من الحبال ، الطو
من الحاذية ، العاطل من كل ما يشتهى ، فليست اليق بك ..
آواه ، ما جارث ! .. أرجع إلى ! أرجع إلى ! أرجع إلى ! ..
أنتى أركن لك ، ولن يساورنى الخوف .. آواه ما عريزى ..
أرجع إلى ! » .

وأصاحت السمع مرهفه أذنيها .. وانتظرت حتى أرهق
الانتظار كل عصب في جسمها . وراحت تفسق في ذهبيها
ما تقول من الكلمات حينما يفتح الباب الثقيل ثانية ، ويلوح
جارث واقفا ق ضوء الشمس .. وحاولت أن تذكر مرنيه :
« هلمى أنتها الروح الخالقة » ، ولكن الصوت الأخوف الذي
أحدثه إغلاق الباب كان قد أمسكت كل شيء ، حتى أصداء
الموسيقى الهائبة .. وانتظرت صابئة ، والمكون يزداد وطأة
كلما طال الانتظار ، حتى لاح كانه يوشك أن يحتويها من
جدران منيعة ، قاسية ، لا تفرح إلا بآلامها ..
سنوات الوحدة المرتفعة في المستقبل .. والبرق الأخيرة ..

الصمت وهي تصرخ : « آواه ، يا حبيبي ، أرحس إلى ! ..
نسوف أجارت ! » .. غير أنها لم تسمع وقع خطوات ،
مركمت وقد دمنت وجهها في راحتيها ، وقد أدركت مجاة أن
« حارث دالمين » قد تقبل حوائها كقرار نهائي ، لا يقص مبه ،
ولا رجوع عنه !

ولم تدر كم مضى عليها وهي حائبة على ركبتيها ، بعد أن
تحققت من مصرها . ولكن السكنة لم تلبث أن تسربت
إلى نفسها ، مشعرت بأنها قد أحسنت صنعا ، وأن ساعات
من الألم - في الحاضر - خير من سنوات متوالة من الخيبة
والقنوط ، في المستقبل .. أن حيانها قد أصبح خواء محزنا ،
ولقد كندها فقدان هذا المرح - الذي اكتشفته حديثا -
أكثر مما كانت تتظن ، ولكنها أقيمت - عن صدق - بأنها
قد أحسنت فيها فعلت من أجل « حارث » .. مما قبيحة
آلامها الشخصية ^{١٤} .. وذلك أسردت حين هدوء نفسها ،
فنهضت وغادرت الكنيسة وسكونها ، إلى الشمس المشرقة
والنسيم العليل .. وما أن بلغت أبواب الحدائق ، حتى وحده
بعض الصبية يلهون في مرح مطائرة من الورق - وكان « حبيبي »
هو بطل الساعة ، ومحط أنظار الجميع ، إذ كان صاحب
هذه المطائرة الحديدية .. لقد كان حبيبي سعيدا ، إذ تسعين
أن « اليوم سعيد » حقا ، كما قال له « حارث » .. ما غرورقت



فركبت وقد دملت وجهها في راحتيها ، بعد مراكمة

عينا جين بالدموع عندما ذكرت كلماته لحبي ، واللهجه
لثى خاطئه بها . ثم قالت في حيرة وهى ترى الطائرة يرتفع
فوق رؤوس الصبية : « هذا اثر ثلث متاى العزيز ، ولكن ..
اين لفتاى نفسه بالفرح ، واحسرتاه ! » ..

وفىما كانت تجتاز الطريق المضمومة بالأشجار ، مرقت
خادم وحقية ملابس ، حتى إذا حاذتها المركبة ، رفع سمعته
تحية لها ، دور أن ينظر إليها .. وان هى إلا لحظة حتى
أخفى عن بصرها ، فلو أنها أرادت أن تستوقمه لما استطاعت
.. ولكنها لم تعكر فى ذلك ، إذ استولى عليها ارتياح مام ، لأنها
فعلت ما راته صوابا ، ولأنها معلته وهى تدرك أن غرمها
سيفوق غرمه بكثير . فان حارث لن يلبث أن يجد - وربما
قتل مضى وقت طويل ، أنثى غيرها تكون له بكل كياتها ، بل
وبأكثر مما كان يعتقد أن « حين » ستكون له . أما هى ، فقد
كان الألم المضر الذى أحسنت به فى صدرها ، يذكرها بالكلمات
التي خربحت من فمها - فى الللة الماضية - وهى فى حشرتها
تناجيه على غير مسمع منه : « مها يكن فى المستقبل من
أحداث لك أولى ، على يحضن صدرى وحها غير وجهك ! »
.. وفى هذه الساعة الأولى من سنى الوحدة المقللة عليها .
أدركت « جين » أن هذا كان صوابا !

وعندما بلغت البهو ، التقت بيولين ليستر التى بادرتها
بقولها : « اهذه أثبت يا آنسة شامبيون ؟ .. هيل سمعت
ما حدث مع السيد دالمين ؟ لقد اضطر إلى التجهيل بالسفر إلى
لندن ، فى قطار الساعة الواحدة والرعب .. كما أن عمتى
مضطرة إلى المغادرة بالسفر هى الأخرى ، إذ سقط طاقم
اسننا الصناعية ، ولا بد لها من زيارة طبيب الأسنان ، ومن
ثم سيسافر بقطار الساعة الثانية والتصف .. ان العالم
ملئ بالمفاجآت والتقلبات ! .. لكم ترتبك خطط المراء ، إذ
كانت تتصل بأسنان صناعية لاي شخص آخر ! .. على أنسى
أفضل أن أحطم أسنانا صناعيه ، على أن أحطم قلوبا صادقه ،
لأنى الإمكان إصلاح الأولى ، ولكنى لا أحسب احدا يستطيع
إصلاح الثامنة ! .. والآن ، سنتناول طعام الغداء بسرعة فى
حجرتنا ، فاستودعك الله يا آنسة شامبيون » .

الفصل الثاني عشر

وقلت القبيلة « جين شاسميون » موق قمة الهرم الأكبر ، واجالت النظر مبها حولها . . كان الأعراب الأربعة منهوكي القوى ، بعد أن استطاعوا بجهودهم - مقربة نشاطها هي - أن يرغموها إلى حيث كانت ، ثم بهالسكوا حالمين تلك الجلسة الطريفة التي لا يجيدها سوى الأعراب !

.. لقد استطاعوا أن يرغموا القبيلة جين - وهي تزن نحو خمسة وسبعين كيلو جراما - من أسفل الهرم إلى قمته في أقصر مدة ممكنة ، ومن ثم اضلجعوا حولها غخورين ما قاموا به ، ملهتين إلى جزائهم . فلقد تم كل شيء في نظام دقيق .

إذ أخذ اثنان منهم - في لون خشب الموجنى ، وقد اوتيسا قلمتين مشوقتين ، في ملائتين بيضاوين بسيطتين - يشان وثب الغزلان فوق الأحجار العالية ، ثم بسطان أيديهما ليمسكا يدي القبيلة « جين » - المدودتين اليهما - بينما يقى رجل ثالث خلفها ليساعد في رفعها . وهنا كان دورها حين للقيام بما بدا لها مهمة شاقة ، فكانت ترمع نعلها إلى حافة الحجر الكبير الذى يعلوها بأربع أقدام ، فكانها تحطو إلى ما فوق حافة المدفاة في قاعة الاستقبال ! .. وكان لما بثوه فيها من حماس - بصباحهم المتوالى « أيوه ! أيوه ! » - فضل في تمكثها من القيام بهذه المهمة القاسية . . وما أن كان أحدهم يصيح من خلفها قائلا : « طيب ! » ، حتى يحيه الآخران من أعلى قائلين : « كثيرا ! » ، فاذا القبضتان اللتان شدتا على يديها تزدادان

تشبثا ، بينما يرمعها الأعرابى - الذى فى الخلف - فتصعد بسهولة أذهلتها - والواقع أنه كان من المستحيل - فى تلك الظروف - ألا تتمكن من السعود ! .. أما الأعرابى الرابع فكان يحيل الماء ، يقدم منه لرملائه فى فترات ، حتى إذا ما ماتت « جين » طالبة مصع دقائق تستريح مبها وتسترد أنماسها ، انهر العرصه رئيسهم ، واسمه « شحاته » - وهو أجلبهم شكلا - لئلوا عليها مصعة أنبات زعم أنها من شعر شكسبير الإنجليزي .

« جاك وحيل ، صعدا إلى أعلى التل ، لينتيا بدلوا الماء . . مسقط حاك ، وشق حبيه ، وهوت جيل خلفه متحبطه !

ولقد ضحكت جين ، مشجع « شحاته » ما أحرزه من نجاح فى تثقيمها وسلقيتها ، وراح يردد أنباتا من أناشيد الأطفال ، كاشارات للتحفير على توحيد الجهود ، أثناء تسلق الأحجار الباقية . . وهكذا صعدت جين حجرا واحدا عند ذكر سقوط جاك ، وتسلفت الحجر التالى عند ذكر الصر الذى أصابه . وعند الحجر الثالث مال ، « شحاته » ليسر إليها : « وهوت جيل خلفه متخبطه » ، بينما كان « على » يرمعها من الوراء . . وانخذت الكلمات المألوفة معانى جديدة ، فى ظروف كهده ، مراحت « جين » تمكر مبها إذا كان سقوط جاك خليقا بأن يؤدى حتما إلى أن تمقد « جيل » توارنهى تباها ، فتوهى . . أما كان فى وسعها إظهار ومائها بشكل اكمل ، فتأتى بالدلو إلى أسفل التل - « آمن - وتعض بحروح

رميلها ؟ .. لقد رأت « حين » في حياتها حوادث سقوط كثيرين من أمثال جاك ، معيت هي بجباههم الجريحه ، لأن « حيل » كانت تطل - في كل الحالات - فوق قمة التل . معارل « هورنر » ، ذلك الشخص المحوط بالمشهات ، والذي كان يعمل في هدوء ، ويرسم الخطط في هدوء ، على العكس من « جاك » الذي كان يؤثر الخط المستقيم في حططه . ومع ذلك فقد استطاع « هورنر » بحرصه وهدوئه ، أن يبال اعراضه ، وأن يهتف : « يالى من فتى ! » . فقد كان العاس بتدروئه يمدى اعتداده بعبه .. ولقد اعتادت « حين » أن تنحه بكل عظمها - في مثل هذه الظروف - نحو العاشق الموزوم .. وكمن من « حاك » نهض بعد سقوطه ، واستعاد بركره ، وواجه الحياة ، لأن يدها الحانية قد أمدت إليه وأعانتته حيث كان مستلقيا في ذلة وهوان ، ولأن عطفها - المشوب بالفهم والادراك - كان علاحا للجبهة الحريجة ! (١) ثم أحد « شحاته » - مردد تشيدا من أناشيد الأطلال : « ديكري ، ديكري ، دوك .. حرى موسى فوق الساعة .. مدتت الساعة دقة واحدة ! » .. دقت الساعة دقة واحدة ! .. أواه ، لقد مضت سنوات ثلاث على تلك الليلة التي دقت

(١) الواقف هنا أن « حين » تمثلت في « جاك » أي عاشق شريف سريح ، و « جيل » أمة فتاة معدة بجاهلها ، تدرك أنها هدف المجوس ، و « هورنر » أي شاب خبيث ، واثق من براعته في اجتذاب الحبيبة بدهائه ، سبوا بترك غريمه يفتنى في بالاحتفاء ثم يرتد خائبا ، كسر القلب ، بينما يفتنى هو في مهابة الطريق ، لينتجلبا ويحظى بها دون عناء !

الساعة فيها الواحدة - في (شستون) - فإذا جين تصل إلى قراوها الذي طوح بجاك - في أنشوده حبها - من فوق التل المستقل (٢) .. ولكن لا .. أنه لم يستسلم من شدة الصدمة ، بل أنه تلقاها برجولة ، وسار منتصب القامة .. وكاب خطواته الضخيمة أكثر تنابا من المعتاد ، حين يركبها وعبر الكنيسة في هدوء واتزان ، بعد أن أبلغته قراوها ! .. أما كانت هي - حين - التي سقطت مغرورة فوق الدلو ، عندما انفردت بنفسها .

وشمرت - رغم الزمن الذي أنقضى - بقشعريرة من الماء الذي سأل عليها من الدلو مثل عليها . أواه ، يرى من كان يحدث لو أن « حارث » عاد مسجعا لداذه وحالها في تلك اللحظات الأولى من الوحدة والأودح التي لا يطاق ! ولكن حارث لم يكن من الرجال الذين يسهو على الأسباب .. إذا أوصد باب في وجوههم - مفرقين أن يدعوا ثائبة لها صدمته ، وأنس أمه حادة ، مروح من حدها ، مبرحا ، .. وكان يهابت لأن يستقل القطار . عندما يلعب هي قصر شستون . ومنذ ذلك اليوم لم يبقا .. وكان من الطي

(٢) « جاك » الذي في أنشوده حبها جين ، هو « حارث دامس » وهنا وفي السطور التالية ، أثرت المؤلفة ، سحر « حين » وهي تفسر بنفسها تلميذ ، وأحداث الأعوام الثلاثة التي أمضت على مدى كلمت الانتشودة به ، ولذا نجد الحديث

ان حارث قد اعبر فعادى لبقاء مهمة يتحصن هو مسئوليتها ،
 فلم يخفق قط في أدائها . ولقد ذهبت — مرة أو مرتين —
 لزيارة بعض الاصدقاء ، وهي تعلم بوجوده هناك ، مكان — في
 كبر مده — سارج الدار صالحة ، يد كمن مقدرا ان تصل هي
 طيرا ، نو بعد الظهر إذا مايت ستصل في موعد الشاي ، وله
 سطلية مرة و حساب الواعيد بحيث يلصق في محطه السكة
 الحديثة ، فندلم كل منها ، ويبر تصاحبه عيسا ، او ينادله
 تحية متكلمة ، مما يوظف له جوار الناحية ، ويبيع للسكاس
 بخلاف الظنون . وذكره حير ، والحجل يملؤها — ان هذه
 هي المساء الكريمة الرقيقة لمن مرقت من " حارث ديس " .

وذكر الرجل الذي ارادتها في مسكنه ، في إباء كرم — مراره
 على عهدها صالحة ، في نداء : من هذا القطار صالما —
 ظن انه مهائم ، فخرص على سبده عن طريقها وما قرر
 لجين قط ان تفرك عمق الجرح الذي الحقته به !

ولقد سارت أمورهم على حد اعتياد ، وان ان يشاور إلى
 من أخذ وهو عاده ما من رحيله ووصولها ، فقد كانت
 شبه أسباب طبيعية وخفية تفسر سر اضطرها إلى الرحيل ،
 مكان القوم دائها يدور أسهم ، ويحدثون عنه في غير حرج ،
 وبذلك قدر لحيين ان يسمع أحدث القصص " دال " ، وان
 تجد نفسها محاطة بجو طبيعته المنكرة المحبة للحبال . وكانت
 ثمة مائة في كل قصة . . وهي — دائها — أجمل مائة في المجمع ،
 مكان القوم يتسرون لحيين يحوها — حليته — وبهمسور بأنها
 كانت صاحبه الخطوة — بالتاكيد — لو ان إقامة " حارث " .

في المكان ، تمتدت أربعة عشر — — — — —
 لمصوده بالمستحقين سادس منه — — — — —
 فلا سعادى شعيرة اعلمه ، — — — — —
 بوطنت منها ويبر — — — — —
 في الفن والالوان ، ووجه مسوده — — — — —
 منها أوتيت من حسن وعينه ومقدرة — — — — —
 سى ان " حارث " لم يكر مطلب — — — — —
 لناد لقي أحبه أى نام أو حيا — — — — —
 غدا راحة . مما يكن " حارث دال " — — — — —
 يفترضون أعقاب امرأة مترددة !

كذلك لم يسم " ملك " مسوده حيا — — — — —
 الصورة التي رسمها بالان — — — — —
 زيارة " شيسور " ، حيا ، — — — — —
 الوقت . فلهذا — — — — —
 " نيس " ، وقتا وغدا على حدة ، فم من أسبوعه السابق
 معتقه باحدى يديها على — — — — —
 دله من الورود الأصفر — — — — —
 عند أسفل السهم ، وكبر — — — — —
 نافذة برجع عيدها إلى — — — — —
 راحها أسلحه ، وخوذة ، وشعار الأسرة العريقة التي يمتلك
 الدار ، فندت مائة بالأكبر — — — — —
 ولقد صور — — — — —
 في مرج المساء الحديثة ، وصراحه — — — — —

سماه المنكر بعضهم " إلى طرف حدثنا البحرى . . وكان
تداهيه على أظفارها في محيط تسود جوه خير تقاليد البيوت
إيطيرية العريقة في القدم ، وزججه - في غير خوف - العالم
بخدمه السورال المشبه ومحمده هذه لحواره المعلقة - التي
بمجيئى إلى يوم الحيد وسط طر حبل يتكلم من العالم
أفاده هذه الملة في يوم المصطاع . . كل هذه كات
لعناصر التي كونت اللوحة . ولقد انتم العلى ، قائلين إلى
المصور عد هذه اللوحة جديان يمدى تحقيقه - عما قرب
الواقع . ولا يراد به العلى والماء صاحبه السور
مداور - إنما - بمصافه الجواه ، وكان المثل صاحب
شبهه الذي رسمه الك السام وثالث البامده - هو الذي لم
يلت أن أغرى الآتية ليستقر بأن تبقى معه في هذا الوسط
الذي لا يلبس إلا له ما الراسه ، التي نطقت بها اللوحة "

ولقد سمعت « جين » قصة أخرى — عن اللوحة — دار
سولها لحدث « أ. » أكثر من مرة ، في أوساط كل من
« زال » و « جين » من نجومها ، فعندما جلست الانسبة
« ب. » أمام سفلى « البيرة الأولى » كاتب يحيط عنقها بعددها
الولائي الأخير يحدث رسم اللآلئ ، « ب. » « ب. » وعصى
ساعة طولها في كل لؤلؤ . حتى أظهرها في أكمل صوره
« ب. » وعندها « أفضل في » « أ. » « أ. » « أ. »
تكتسبها من للوحة ، وحلف إلى « بولين ليمبر » « ب. » يصنع بذله
غداً من القماش « أ. » « أ. » « أ. » « أ. » « أ. »
بذلة للوحة « أ. » « أ. » « أ. » « أ. » « أ. »

اللوحة حين تساهنتها في معرض " الأكاديمية " ، فما أمدع ما
بدت البواقيت الحمراء على عبق بولين الناصع الرقيق . . غير
أن كثيرين ممن رأوا الصورة — قبل مشط العبد اللؤلؤي —
اكتدوا بأن الكشط قد أغد عملا رائعا ، كان خليقا بأن يشغل
الناس به ، علما بعد عرضه . . أما بولين ليستمر ، فقد قبيل
أنها هرت كتعبها الجبهيلتين — بعد هذا التمديل — وقالت :
" إن مسقي الألوان أمر عبي . ولشبهه تحت أمالهم من اللوحة ،
و . . حبها ما أعيا وهو يرسد العبد . . دمه صميم بلده وهو
سائل الصورة . . وكما أكون شاكرة لو تحبب زائرو الرسم
لصمة بالاحل . أسماء رسم مؤزم . . لعله . . أو أن يستمر
الرسم إلى كشط بواقيت الحمراء عينا . . عينا . . عينا
من الزمرد . . كما أنني على استعداد لأن أقدم جائرة لمن
يدلم على هذا الرسم . . إن أحب . . إن أحب . . إن أحب . .
تسقي الألوان في لوحتي ! . .

ولقد سمعت حين القصة في حديث جرى أثناء تناول
 مشاي في محبة المدي مراد - الله رب العالمين - في دار
 شارع وسبور - ومن القصة الموصلة لمراد
 عمتها الدوقة ، والتي سمعها فيها « جاث » وهي تسمى
 المسححة - قد سمعنا في دار هادي كماله .
 نقص على فراقها حوالي العام ، وكانت هذه أول مناسبة
 عرضها فيها ذكره سوء المذكر .
 ماثرة أو غير ماثرة وله مديها .
 تصم به الزائر ، هو « المسححة » :
 www.dvdarab.com

ذلك - وحدث راحة في أن تعودى مذكرك إلى تلك الكتلة
 الصلبة الحراء من الماء المدمق على المساقط ، وإلى هديرها
 الصاخب ، وإلى الرشاش المتصاعد منها ، وإلى اندماجها
 الراحف الذي لا ينفطع .. سيحلو لك أن تذكرى كل ذلك ،
 وأنت تعين بسك الماء في أقذاح الشاي ومهما ، عنقولين
 لنفسك : « أن نياحرا ما تزال تدمق ! » .. أقمى في فندق
 حوار المساقط، لتسمى خيرها الحار يهدر - ليلا ونهارا -
 كنه رمر للقوة وللتقدم - واقضى ساعات طويلة محسولة
 حولها ، واستطلى معالمها من كل جانب ، وادهمى إلى كهف
 لرياح) - عبر الجسور المتهرة - حيث يصيح بكم الدليل
 قائلا : « استوفقوا من خواتمكم وأقرا ملكن وثئوها جيدا ! » ،
 وأعرقى - أثناء مرورك بصخرة الدهور - المعرى الحقيقي
 بوخودها .. استوعى ساحرا في حياتك وروحك كما لو كانت
 ملكا لك ، وأحمدي الله لبخودها .. ثم روري المعالم الهامة
 الأخرى في إمبريكا .. جرمى المسائل الروحانية والإنسانية ..
 لحب والحياة .. أبعثي عن السبب « يا لينجتون بوث !
 العطية - التي يدمونها « الأم الصغيرة » لجيمس مسجونى
 إمبريكا !. اى اعرفها جيد المعرفة ، وأفخر بذلك ، وبوسمى
 أن أعطيك خطاب توصية لها .. سلمها أن تصحبك لرياره
 سجن (سنج سنج) ، أو سجن (كولومبوس) ، وأن تمكثك
 من الاسماع إليها وهى تخطب في البين من المدس ، حاملة
 اليهم رسالة الأمل والحب .. عقبلتها اللهمة التي رعى
 ليكتاتيات جديدة حتى لن تقلمت بهم .. بل الأمل ثم



فلورنس داركني

مصر - القاهرة

أذهبى إلى مدينة نيويورك ، وانطرقى إلى ما معلول حسن
يريد إنسان إقامة مبنى كبير ، وهو لا يملك سوى رقعة صغرة
من الأرض ، فيستعمل هذه الرقعة الصغرة - إلى أقصى حد -
بأن يرمع بالمبنى إلى عنان السسباء .. فتعللى أن يحدى
حذوهم . وبعد أن يوقفك فيك شعب أمريكا - صاحب النعوس
الكثيرة والمغول الجسرة السريعة الانكار - كامن الحراسة
والحبهة ، أذهبى إلى اليابان لتشاهدى شعبا صغرا - يبدل
قصارى جهده - فى عزمه نسلة - ليصبح عطييا ، ثم أذهبى
إلى فلسطين ، واقضى أشهرا مقبعة آثار أعظم شخصيه
بشرية عاشت منذ الخلقه . ثم أعرحى على مصر فى طريق
عودتك ، لتذكرى بمسك مائه ما برال - فى عصرنا الحديث -
بعض أشياء أثرية عتيقة تستحق المشاهدة (١) . ومنها رحل
خشى محفوظ معنائه ، وله عيان من الصوان التسمات
توسط كل منهما ثورة صخرية . مئانه اسنان العين ..
وقد بقيت هاتان العينان البراقتان ، تطلان على العالم من تحت
جمونها البرونزيين منذ عهد النبى إبراهيم .. لمسوف تجديد
ذلك فى متحف القاهرة ، ثم انتطلى حمارا لترورى الموسكى -
إذا كانت بك رغبة فى رياضة بدنية حقة .. أما إذا شعرت
شئى من الخمول ، فتسلقى الهرم لأكبر . سلى عن أعراى

(١) من الواضح أن القصة كتبت فى زمن كان الغرب يحرص فيه على
أن تنصر سمعة مصر على أكابر الماضى ، وكأنها قدر جليها أن يميد فى القدم ،
ولا يكون لها مستقبل ! فلقد نشرت القصة - للمرة الأولى - فى سنة ١٩٠٩

سسمى « شحانه » ، وألغفيه رعيتك فى تسلى الهرم فى مسده
تفتص دقيقة عن أسرع سيدة سلطته قبلك ! .. وعسودى -
بعد ذلك - إلى وطنك با نيتى العزيزة ، واتصلى بى تليمونا
لنلتقى على موعد للمقابلة ، أو عامرى ودعى « سنودارت »
معاونى فى العمادة ، يذلك - خلسة من المرضى - إلى حجرة
الكشف .. وارمعى لى تقريريا عما مغلته بك الوصيفة .
وأصدقك القول أننى لم أعط أحدا حبرا منها من قبل . ولن
تكون بك حاجة لأن تدمعى لى انعماء - لانى لا انقضى انعماء من
الأصدقاء الحبيين ! » .

عصحتك جين وأمسكت بيده ، وهى تقول - « آه يا صديقى
.. اعتقد أنك مصب فيها تراه ، ملقد تركرت معلوماتى عن
الحياة فى مصرى ، وى أرباى وحسائرى الشخصية . سأعمل
كل ما أشرت على به ، ولباركك الله حراء أن غلتها لى ..
ها هى دى ملاور ماديه » .. وأقلت روحه الطيب فى ثوب
خميم ، أعد لمناسه ساول الشئى ، فأمساعات المصابع
الكهربائية أثناء مرورها . وصاحب بها حين : « الى يقدر
لعقنا هذا أن يكبر يا ملاور ؟ .. انه يصح حادا لامرأة ثقيلة
الوزن ، ومتوسطة العمر ، بأن تسلق الهرم الأكبر كعلاج
للانقباض ، على أن يحسب الرقم القناسى فى سرعة التسلق ! » .
محلست روجه الطيب فوق دراع مقعد زوجها ومالت .
« ومن هى المرأة الثقيلة الوزن ، المقصده المزاج ، المتوسطه
العمر ، يا حبيبى .. إذا كنت تقصد السيدة يا كبر بانجس مئى
ليست فى أوسط العمر ، لأنها أمريكية .. ومن أمريكية

بقربانها في أوسط العمر . . أما انقاسها مبرج إلى أن حارث
دالين لم يتقدم طالب الرواح من أنتة أحبا الحساء ، حتى
بعد أن رسم صورتها ! ولا حدوى من نصحتها أن تتلقى الهرم
الاكبر - مع أنها سمنصى هذا الشياء في محر - إذ أسي
سمعتها بالأمس ندى استنكارا لذلك قاتلة أنها لن تمكر في
الصعود إلى قمة الهرم مثل أن يؤمى أثناء إسرائيل - أو أن
يكون الشعب الذى يقيم في تلك الاصقاع - إدراكا يجعلهم
يقيمون مصعدا في جوف الهرم ذاته ! »

فانمجرت جين والطيب ضاحكين ، سيما سوت * ملاور *
من اضطجاعها لتبكن ذراع روجها من الالتفات حسولها ، ثم
استأنمت حديثها قاتلة : « حين ، لقد سمعت من لحظات معيات
السيانو وأنت تعزمين قطعة « المسححة » ، وهى أغنية أحبه
كل الحب ، وقد بضت شهو لم أسمعها خلالها . فهل لك أن
نعيها يا عسريتى ؟ » . فالتفت عسا حين بعينى الطيب .
وابتمت بطمنه له ، ثم استدارت على مقعد السيانو - دون
تردد - مليية رغبة ملاور ، إذ كانت وصفه الطيب قد بدأت
تؤتى أثرها !

وعند نهاية اللحن ، وسنبا كانت « جين » تعنى كلمات
المقطع الأخير ، قالت « ملاور » على روجها ، وطبعت فمها
حملة رشفة عند عوده ، حيث بدأ المشيب يحط شمره
الأسود الغريب مخبوظ مصبه . ولكن ذهن الطيب كان متحيا
إلى جين ، فتأكد - قبل أن تأتى على بهانه المعسرومة - من
صحة تشخيصه لحالها . وقال لنفسه : « بل يجب أن تسائر

إلى الخارج ، حتى نحول تمكيزها عن نفسها قطعيا ، ونسحب
نبا نظرة واسعة إلى جميع الأمور العامة ، ونطرح أكثر انزاما
للأمور الخاصة . . أما ذلك الشاب فلن يتغير ، وإذا تغير
مسيئته هذا أن رأى حين ميه كس صحيحا ، ويكون هذا بدعاه
لراحة نفسها ! . . ولكن إذا كان هذا حال حين ، مما حاله هو
يا إلهي ! . . لقد كنت في عجب من تساؤل حسوبه شسبه
بعض . . أن تقدير « حين » والاهتمام بها دراسته وعلم .
يا جعلها تهتم شباب مثله ، فأمر لا أمبه ! . . ومقدانها -
بعد ذلك - أمر أراني أشد عجزا عن فهمه . . لا بد أن له
أعصابا من مولاذ أمكنه بها أن يواجه الحياة بعد ذلك . .
بما هذا الصليب الذى يعطيان كيف يقبلانه ، وهما ممسكان
به منها بيدهما . . لعل شلالات ساحرا تقوى على غسل كل
ذلك ، فتبرق إليه حين من هناك ! »

ونناول الطيب - إذ ذاك - يد زوجته المحبوبة - وكانت
يلتصق على كتفه . ملتبها لثما جميعا ، في حين طلب حس سوليه
أياها طهرها . . لقد حبر الطيب الصليب والمسيحية والماسي ،
فأصبحت حيات المسححة النؤلويه عطية القيمة لديه !

وهكذا أنصبت حين وصمة الطيب ، وانقصت سسبان
وهى ماصيه في الملاح . . وهما هى دى موق مية الهرم الاكبر ،
وقد ضربت رقما قياسيا في سرعة تسلقه . وأخذت تضحك
وهى تستعرض في فكرها التقرير الذى « سوت » . دى سوت من
كل هذه الواقعة ! . . وكان الأعراب يستلعبون حيلهم و...

دب الحرارة في أجسادهم ، وبمعد عرقهم ، ولكنهم كانوا
بمعتلين ، إذ اطمأنوا إلى « بمشيش » كثير ، مراحوا ينظلمون
إلى « جين » بأعسين يلعب عيها السرور والاعتداد ،
وكان لهم قد تم كله مجودهم معط ، وغاب عن فطيمهم الدور
لكبير الذي عامت به قواها الرباطسة الدبيعة التكوين ،
وأطر بها المربة ، مما ساعد على سرعة السلق . وهكذا وقعت
حين سلبية العزيمة والأطراف ، وقد تملكها ذلك التسعور
الطروب لدى يكون دائها عونا للعقل ، والذي ينبعث اثر عمل
بدنى خارق !

وبالوقت في احدى مظهر بمعتلها الصوت و « جونيل » من
لمويد النجم اللون المبركتش ينطق حمراء وبرقالية ، بها كثير
من الحبوب الحويلة باطارات اسوية من الجسد ، كما كتب
لها ازرار حلبة ونسة عروسة من الخلد في لذل . وكان في
وسمى أى خسر ل تذكر - بموره - الشركة الوحيدة التي لا
يسكن لميرها أن ينتج هذا الزى ، وأسم صامع الشعاع الذي
سمع لها قديمها « المردنية » الخضراء ، التي كانت تلائمها
تسم الملامة ، ولكن « شحاته » لم يكن خسرا في الأراء ، وإن
كل دا عطلة ونمهم لأساليب وقواعد اللياقة ، ما حصل رانه
سبب مقوله : « أنها أنش - سيدة مهنية راقية ، تمنح
« بمشيش » بوجه بشوش ، ولا تفعد في منتصف الصرع .
وترقص الصعود إلى قمة الهرم . . أنها حقاً سيدة مبدية
راقية ، تمنح « البفشيش » بوجه سمح ، ولا تكذب الدليل
الأعراى يسكن عاء الحرى - في خدمتها - إلى أسوان ! .

وكانت شمس الشرق قد لوحث بشرة « حين » لون فمحر
الكن حمل سرت هي به ملم تحد بنفسها حاجه إلى نقاب
و مظلة . . وكانت عباها القومئان مصدون للقاء لصحر
بدهية دون حاجه إلى عويان ماته . لايب سمعت حارت
بعول - مره - بأنه يشعر بمعتين لمطر طور براه يرتدى قباعا
عبادة السبرات ، وقد أقرت « حين » رانه صاحكه ، إذ أن
لاقعة تبدو لها دائها كشيء يكلف مصطعب . وكانت حصالات
شعرها التي العريرة لا تظهر قط وتنتشر في حصالات ، وإيها
بقى دائها حيث تكون قد شفتها بدماسيس الشعر التي يحكم
وضعها في كل صباح .

ولم تبد « حين » - في أي وقت - حسن حالها بدب في
هذا اليوم من أيام شهر مارس ، وهي تقف على قمة الهرم
الأكبر ، قوية - سمراء - بديعة التكوين ، ذات عقل سليم في
حسب سليم ، وقد طاعت امارات لامسة ، والانبهاج على
انتمار وجهها إلى الحال . وكانت اسمائها لمرجحة المرحبة ،
عد تكلمت عن أسنان بوساء باسفة . كل هذه كانت سيود
على سلامة صحتها وتكوينها ، ظاهرا وباطنا !

وعنهم شحاته من جديد قائلا : « أنها أنش وسيدة مبدية .
راقية ، لطيفة » . . ولو أن حين سمعت - قبله لما سمعت ،
مع أن إنطيرينه المشمة أدت حديثه بصعده المذكر . . ذلك
أنه وإن كانت تعتقد أن المرأة المسرحلة أقل شناعة من لرحر
المخنت درجة ، إلا أنها كانت خليفة بين يدي - - - من
الذي وصفها به شحاته على أنه ثمة في الدنيا .

ررته و استقلال وتمكيز واضح ، متى إذا شرع في المضي إلى
مكار ما ، سمعت إلى بلوغة في أقصر وقت ، دون تبرم ، أو
تمهل ، أو هياج .. ما هذه الخلال السبوة الثلاث كانت
دائها موسم أرءاء من جين ، التي كانت تعرف في معسب
أبوثة عميقة ، يمكنها اعتمادها بها من أن تتحد في الأمور النامية
اتجاهها صريحا يتناقض مع طبيعة النساء ؟

وكانت وصمة الطبيب قد أثرت بدرجة مدهشة ، ما
مظهر الهالك و لشجوحه السابقة للأوان ، والإبهار الذهبي
والبدني الثام .. هذا المظهر الذي أحرز الطبيب وأفرعه -
يوم رآها تجلس إلى السائق - قد تلاشى نهائيا ، ما أصبحت
بدو كأنه الثلاثين عاما ، ذات النفس الراسية المتشرجة .
وأصبحت على أهبة أن تسير على أسعد حال ، عابها بعد عام .
حتى تلعب الأرضين .. بل إنها لم تعد تحبى ملوغ الحبسين .
بدأ امتد بها العمر لهذه النس .. كانت عيناها الصافيتان
مطلان على الدنيا في صراجه ، وعمقتها السليم تمتع أراء سليمة .
وينطق بأحكام صحيحة ، ينجلي فيها رحيه قلب كبير كريم !

وراحت ينجلي المنظر الذي امتد أمامها بأعجاب بالغ ، وقد
متنها ما كان فيه من تناقض : متى ناحيه منه ، كانت «الذئبة»
الخصبة ، بما فيها من أحرش التحيل الممايل ، وأشجار
البريقال والزيتون التي تنمو في سخاء على صمغ النيل المنساب
كثيرة عريضة من اللحين اللامع .. وفي الناحية الأخرى
كانت بصرها بأعماق المناهي البعد . وقد امتدت - في نبوحات
من الزمال الذهبية .. فلا شجرة ، ولا غصن ، ولا عود

حضر . وإنما انطلاق وحرية بلا حدود .. محيط من النهار
الذهبي الجاهد ، إذ كانت الشمس تدبج للعبث ، والسحب
مصطفة بلون الذهب .

وقالت حين يحدث نفسها : « هذا هو مقترب الطرق .
ومكان الإحصار .. وما أصعب الاهتداء إلى مرار في الإحصار
من الحرمة والأثر .. وحدير المراء ، أن يستشير أنا الهوس
في ذلك . حارس الأجيال الكهل الحكيم ، والأمين الصامت
لم اسرار الرمن ، المطلع إلى مستقبل كما عباد أن يتطلع
دنيا ، سيما يصبح المستقبل حاصرا ، وينزلق الحاصر إلى
الماضي .. هيا يا شحاته ، فلتهبط .. آه ، أجل ،
سجلت مقبلا على البحر الذي جلس عليه الملك عندما ج.
عد وهو ولي للعهد .. أشكرك إذ نكرتني بذلك ، مسيكون
ما طلبه للحدوث في أول مرة أحضى منها بشرف المنول بين
بدي حلالته لمصع دقائق ، مما يغدس من التاعثم سمفارات
سخرجه عن الخمس .. هنا وقدني إلى أبي الهول ما شحاته .
مضى سؤال أريد أن أوجهه إليه . في اللحظة التي نزلوا مسب
الشمس وراء الأفق ! »

الفصل الثالث عشر

القهر ينشر صياحه على الصبحاء ! .. وطلبت جين
— بعد أن تناولت عشاءها — أن تقدم لها القوة في شرقة
نصف ، حتى لا تعد إلا أقل ما يمكن ، حين هذا اليوم
العجيب .. ولاحت الأهرام — بحب الوضوح لاصبع الضاحك —
أكثر حياءً وأشد روعةً بما هي ، كما جمع أبو لهول حور
بمنه مرنداً من الميوس ! ، ومنت حين نفسها حولته عن
القدمين ، على ضوء القبر ، و صطحف — ريثما نحن ابوقف
للحولة — في مقعد من القش مبطن مروء بوسائد وثيرة ،
وراحت نرومها نهوبها ، وقد أسلمت نفسها إلى تلك الهدوء
الحامه ، التي تعبت الجهد الشاق ، لدى أصحاب الأحلام
السليمة القوية ، وغشيت ذهبا — في هذه الليلة — أنوار
رفقه عذبة ، دأب حور « حارث » ، ولعل بسور القبر
الذي أوجر بها ، مراحم حسن مرند

« والقبر يضيء باهرا ، في ليلة كهذه .

« وانبهوا ، السليل بلثم الأشجار لطيف .. ملا سم الاثحار
ضجة ! »

أه ! لقد كان شاسع الكم على سبه بما للموئل التي تمس
الجواس مقشر الذكريه ، من أثر على لقلب ، ولقد استسلمت
عن الذكريات التي معها ضوء القمر ، فحبيل إليها — في بادي
الأمر — أن صوت « حارث » ينبعث حولها من كل مكان ،
مردداً :

« انظروا ح حورك لديم لاريس عنام بصبر ، لعمرك »

ثم خيل إليها أن عيني « حارث » الحبيبتين الواليتين ،
مرسيتي من عيني لسعا لصدر الذي مدح بورقة الذهب ،
سيفته ، فتمت خير تعديس عينيها فب صبح بالعتس
لأمرس وتسمو من بظر ميا ، وظهر له ، حبات
من البصر البير الذي ملأ عليها ، نور لم تسمع للسهب
دمعه إلى حد بظلمة وبخود سنيها من عنبه اللحن بمسحه
حما .. ولم يكن يمتدحها في ظل من لوم أو لعنت ، أو ..
أبراه قد أهدت إليه حسن ، بحدث لمخاوف ، بساورها
بحد المستعس ، .. انها لمخس للسه — في عناق قديم ،
عنه ليله مده ، و .. بها .. من سبه انه لو ..
الليلة ، لخرجا معا ليسبحا في بحر هذا القمر الراهي ،
ولعلبت على إحدى الأسم الاثر ، لساتره ، وركبه بخو
بموء وبخض بيو .. بعبه ، بظفر ، لمخاحه ، كما مثا
بكمه بظوله .. سم بشعر اللغه في مصباح من سد و مقور
من عنبه الحبيب ، اللحن سليلي في السمر ، بل امها
بمعيت ان مده فالكه « كل شيء اك وا حارث » ، بظفر
بها شيب ، وبشفي .. إذا مده أمي أو كان « جسي خيلا ،
بمخلك مده .. ولكن ، باذا احده إذا كنت برة ، ومعى هوت
ما حبيبي ؟! »

ما الذي أحدث كل هذا التغير في تفكيرها ؟ .. ميل معلت
وصفة الدكتور دريك بمقولها كلاماً لا وهل ..
واصوب من ذلك الرأي الذي وجدت ..

والذي دمعها - خلال أيام الحرمان - إلى تحد الفرار الذي عرق بينها وبين « جارت » . وهل يجدر بها أن تستقتر ساحره لى كان محورا أن يمارح الإسكندرية في اليوم لألم - مدلا من أن تستكمل رحلتها إلى أعلى النيل - ثم إلى ساموس واثنا - لتصل إلى لندن بعد أسبوع ، ثم تستدس حارث ويعنى إليه بكل سريرتها ، وتطرح بين يديه مستقبلها ؟

أما أنه ظل مقبلا على حبها ، فامر لم يخارها فيه أقل رب - بل لقد لاح لها - مخرد التفكير في استدعائه والاعب - إليه بالجمعية - أنه قريب من « وأنها تشعر بذراعه مصائب - درسه مستندا فوق ملها . . وعنده - النسيان المحوشت لبراقتان . . أواد يا جارت ، يا جارت ! . . وهنا قالت جين صاحب " هناك أمر واحد يبدو لى - البله - واضحا حلما ، ربك هو أننى لن أستطيع أن أبقى بعيدة عنه بعد الآن - لماد كان ما يزال في حاجة إلى . . إذ كان ما يزال راعب في - يحب أن أذهب إليه " - ومحت عسها - وبطرب إلى - الهول . . وأدا سلسلة الجحج والآراء التى حالت بخاطرى في « شيسنون) ، بومص في ذهب ، ومضة سريعة لم يسعرو سوى مشرين ثافية ، ثم أغضضت عينيها من جديد ، وعقدت يديها فوق صدرها ، وقالت : « لسوف أجازف ! » . وإد داك ، استيقظ في قلبها فرح عميق !

وفيها كانت جالسمة ، أفضل على الشرفة - من - الطعام - جماعة من الإنجليز كانوا قد وصلوا في تلك الليلة .

يسألوا عشاءهم متأخرين فلم نفس لحين أن تراهم . . ثمو سيدة حسناء ، وأمتها ، وشاس ، ورحلا كبير السن ، د' مذهب عسكرى . وما كانت حين لتحمل منهم ، لولا أنهم قطعوا عليها تأملاتها . إذ جلسوا إلى مائدة قريبة منها ، وأدبوا حديثهم بصوت مرتفع - كما هى طبعه الإنجليز - وكانت له - فى المكان سواهم . . وبهس أحنى أو أثنان - كائا يمكن في هدوء وهما يرشسان النجوم وينحسان - مانتقلا إلى مقعدس و بفعه ساكنه ، تحت أشجار الفخيل . . وأرادت « جين » أن تحدد جدوها ، لولا أنها شعرت براحة في مقعدها ، وحشيت ر سقد لدة شعورها بقرم « حارث منها » ، مضقت في مكانها . .

وكان الرجل الممن يمسك في يده خطانا ونسخة من مطبعة « الموربع بوست » تلقاهما لتوه من إنجلترا ، وكانت الحياكة سادل الحديث حول ثما تصبه الحطاب ، ومقرة كال الرجل مرؤها في الصحبة بصوب عال . وقالت السيدة الحسنة : « يا للشباب المسكس ! له من حادث جد محزن ! » . فصاحب الصفة « اعتقد أن كان من الأفضل له - في رأيي - أن يموت مور ساعبه . . أجل هذا ما كنت أتناه ! » . . مهنت أحد الشاس وهو يميل نحوها : « كلا ، فإن الحياة حلوة . . مهما يكن الظروف » . . وصاحت الفتاة ، وهى ترنعد : « أجل . . ونكى . . أعمى ؟ . . أعمى طوال حياته . . يا للفظاعة ! » . . سادت السيدة : « هل كانت بندقته ؟ . . وكيف تقسام حفلات حسد في شهر مارس ؟ » .

وحملت جين في القبر ، وهى تبت في يوط عين . .

المشهور لحدود البدو - وأمر رها لئلا يترك جده . ولو
كتب لأبيه خبره - كان عمده تثبت به ، بقدر ما كان
« رث » مشيت حمالة لحمال - لثقت لم يكن - سوى لو تو
مثل هذه الجوانث في حفلات الصيد ، ماذا ما قدر للماعين
سوى أن يصروا هم بادي « وإذا ما عبر للوقت إلى هاهنا
أرواح حية بسببه أن يقو الموت من ذلك عرس لحيات جرا
وفالقا ، ومن ثم « من ثم تكس ما تفسد ، أو متظاهر بالأسف .
وهذا بسبب في « ما حتى سمعت البنا ، وقالوا لبعضها .
« لم تقبض على من « اللون من سحر مرقم بطلان نحو
المرء من « الأرباب أمثاله ، التي مدفع نحو حجورفا
المرء من « الأرباب أمثاله ، التي مدفع من أن يرتفع ثانية لنحول
دار ح . ثم كومة من « التي تحلق ماكم لاخصر
« أمواس ، « حشرة لحيث الوعر « الفيل ، وهو يهرع بسبب سلا
ليلحق مرغائه في الوادي ! » .

وفي هذه الأثناء « من « الرجل العنكري المظهر قد وصم
مظله على « وشه « المصعب لكاتب بحروف « .
تحت أضواء النور ، ثم قال بعد برهة : « كلا . . فإن
حملاب الصيد قد أصيب ، وليس عدال « سلطان في لمرء
ال . . ولكن بعض الفتية كنوا ، صناديق الأرباب المنقصة
في أعقاب الوسم « ، ما تفسدت ألتاء . وهل كان يطلق
مصدقهم معهم ؟ « . وأجابها الرجس : « كلا . وهذا ما صعب
سواء الخد ، إذ أن المسكين كان قد امتنع عن الصيد منذ سنة
أو سنيين ، بل أنه لم يخر بهوا - في الواقع - لما طوع عليه

من حب شديد للجمال الحناء ومن كراهة لموت تكل أبو عم . .
ولكنه كن في در يديعه - يهلك في السهل - حيث أنصرف
في الرسم - ويصدق أن رأى . أثناء سيره - بعض العنية
صناديق الأرباب - ولحق أرباب حريحا يسا ما أعمره قسوة ،
بعضى عوق باب كبير ، وبلى لينشيل لحيوان المسكين
ويغده من العذاب . وعند ذلك وضع الحدث - بالطاهر -
ليرع استولى على أحد أبنيه ليؤمده . « طلق « اسمه وأصاب
الطلقه شجرة على بعد يردت منه ، ثم انصرف . فلم يبق
منه مقتلا ، وإنما ناثر الرض في وجهه ، ولم يمس المخدو
« . على أن رثس أخرقا شعكى العبير ، وصاح الصر .
دون ما أهل في عودته ! » .

وهنا الشاب : « يا له من حظ سييء بشع ! » . فقال
الشاب الآخر ، الذي لم يكن قد تكلم من قبل : « لسبب أدري
كيف لا يولع إنسان بالصيد ! » . « هذا الرجل المسكين قاتلا
« لو أنك عرفت به قلب ذلك . « . « من ثم « من ثم
الحياة والموت ، حتى ن « . « من ثم « من ثم
أو على أي اتصال بالموت ! . ثم ن حب للجمال كان اتسبه
بدين وعادة . ليس في مقدوري أن أشرح ذلك . ولكنه أوتى
موهبة تمكنه من أن يملك نرى الحال في أشياء لم تكن تحفل
بها من قبل . « أما الآن ، فإن المسكين لم يعد يرى شيئا ! »

وسأله السيدة : « هل له أم ؟ » . فأجاب : « كلا ، ما من
أحد له مطلقا . فهو وحيد تماما .
الإصدقاء ، فقد كان من أحب الرجس . « . « من ثم « من ثم

أن ينزل في أية دار في المملكة بأسرها ، إذا أرسل مطابقة ليملي
بقدميه . ولكنه لو لم يؤت أي اقارب ، واعتقد أنه لم يفكر
لفتة في الزواج . يا للشباب المسكين ! لكم سمى الآن لو
م يكن مسعيا ، عنقد كاتب الصمود المختاره من أحسن العساف
رهن إشارته في معظم المواسم ، ولكنه كان يكتفى بالصدقة
لحمله ، ويسمع بالرواح من منه مغلط . وما هو ذا - كتب
بكرت اللدى ابلحلى في خطابها - يرقد في الظلام . وحيدا .
لا حول له ولا قوة ! » .

وهنا صاحبت الفتاة : « آواه ! لنحدث في شيء آخر ! » .
ثم دمعت بقعدها إلى الوراء وبهتت قائلة : « أريد سببا
هذه المراجعة ، مهي مروعة . . تصوروا كيف يستقطط المرء
ملا يعرف أي نهار هو أم في ليل ، أو أن يسطر إلى أن يستلقى
في ظلمة دامية . وبمكر . . آواه ، هيا بنا ولنحدث في أمور
بمجة ! » . وبهتسوا جميعا ، مبادئ أكبر الشياطين دراغ
لعتاة ، وقد سره أن إنتاج له امعاليها هذه العزيمة . وقال بها
بصوت حميص . « اسى الامر يا عزيزى ، وبعالى شهدا
الهلول تحت صموء القبر ! » وعبارا الشرمة ، متمهيب
لناقون ولكن الرجل المس . . سحب الصحيفة - تريث ليلعز
صحيفته على المائدة ويشعل سيجارا . وإذ ذاك بهتف « حين »
عن بقعدها ، وسارت إليه قائلة في افسساب : « أسسبح من
الذى يطرد على صحيفتك ؟ » . فخالها الرجل في أدب جم
« بكل تأكيد ! » . ثم حلق فيهما عن كذب وقال : « آه ،
طبعنا آسة شامبون . كيف حالك ؟ ما كنت أعلم أنك عما
في هذه البقاع ! » .

- آه ، جنرال لورين ! . . لقد خيل إلى - لأول وهلة -
أن وجهك مالوب لدى ، ومع ذلك مانى لم أعرك ! شكرا . .
سأسفح صحيفتك قليلا إذا سمحت ، ولا تدعى اعوقك عن
الحق . بأصدقائك ، مسوف نتقابل هنا ، بين وقت وآخر .
وانظرت حين حبس عساوا جميعا عنها ، وثلاثت محذاهوم
وصومهم ثم عادت إلى مقعدها . . المقعد الذى كانت تشعير
منه بقرمها من « حارث » ، وألقت نظره احيرة على امر الهول
وعلى الهرم الأكبر وهما معرمان في صموء القمر ، ثم امسكت
بالصحيفة وبدأت تلاوتها . .

« امح فنورك الدائم الأزلى أعظام بسانرنا العبياء » !

بعم . . كان حارث دالمين - حسيها حارث . صاحب العيين
المرامس الوالهمس - هو الذى يرقد في داره في الشمال ،
أعنى . . وحيدا ، لا حول له ولا قوة !

الفصل الرابع عشر

بانت قمم (هوفر) البيضاء تدريجيا ، وأخذت تتجسم
للمر راسحة واضحة ، حتى مرزب احرا صاعده من البحر
كحدار ابصر قوى ... وقالت حين انتهت ، وهي تدرك
سطح الناحرة : « الساض ، والقوة » . وهما قلبيها إلى
مسقط رأسها بعد غياب امتد سنتين . ثم اخذت بصراع
ملفه (دوفر) ، وقد بدت حيلة في السور اللؤلؤ الذي
اتسم به هذا الاصيل من أصائل الربيع . وظهر قسها عطلة
ثم اردت متهاككا إذ طعمته الذكرة بسرعة ، فاعصت الفتاة
عينها !

حسب كل المشاهد الجيلة التي تطمن قلبها بهذه القسوة .
مد أن قرأت تلك العثرة بالصحة الإنجليزية ، وهي حالته
و سرعة متفق (مينا هاوس) . ولم يمض ساعات على ملاء
الحبر ، حتى كادت مطلقا في ذلك الطريق اللؤلؤ المضي إلى
الغرفة ، بسرعة مائقة . وفي اليوم التالي ، صعدت
إلى الناحرة بالإسكندرية ، ثم بارحها في برديري .
ماتسقلت القطار . وقصت تلك الليلة والنهار التالي في سمر
مستمر ، حتى قدر لها - أخيرا - أن تشهد شاطئ إنجلترا
. وإن هي إلا دقائق حتى تطأ قدمها أرض الوطن ولا يبقى
ألمها غير مرحطين لنبلغ مقصدها . ذلك لأن حين لم تتردد
- منذ الدقيقة الأولى التي سارعت - إلى
وجهتها ومقصدها . . لسوف تفسد



ونفص بصره حيرة على أبي لهور وعبي لهرم الأكبر ، وهما مغرقان في
صوء القمر . ثم أمكنت بالصحيفة وبدأت تلاوتها .

على الطبيبته . ويبدو ان كل ما كان يحشى من مصاعب
في الحج مد رال . على انه تعرض - خلال الاسباب القليلة الأخيرة
لرود قمل خطير من جراء الصدمة ، دعا إلى ضرورة استئجار
السير " دريك براند " - احصائي الأعصاب الدائم الصت
سبائل الرأي والمشورة - مع احصائي العيون والطبيب المحلى
الموكل بالعلاج . وقد عم الأسى والحسرة كل الأوساط البنية
والاحتشاشه التي كل السيد دالمس معروها منها ، وبسببها
- عن جدارة - مكانة عالية لدى اهله .

* * *

شكرا لك يا سدي . . نطق الحمال الكفء بوده ابعاد .
عندما تحقق - بطرقة سريعة إلى ما في يده - من ان حش
مخنه شلطين ونصف ، بدلا من شش واحد . . إذ كان قد
برث في مرله روحه شابه مرمصة ، اتسار عليها المعالجون
سطام حاص للتمدية . وكان - عندما تدامع الحمالون إلى
السفينة - قد وجه دعاء بسيط إلى الأب الذي في السماء :
" الذي معرف حندا ما أت في حاجة إليه " . سائلا إياه ان
يلفت إليه نظر مباهر سخي . . ومن ثم احس بأن السمياء
هي التي قادته عملا إلى هذه السيدة ذات الوجه الاسمر الحام
من الحمال . والكتمين العريضين . مما راده يمينا من ذلك .
انه عندما استجاب لاشارتها عن بعد ، كان قد أوشك ان
يرنط بدعوة سيد صعيقة ، ثرثار ، ذات صاع صقوي في العدد
مقاع السيدة الأخرى : من حقائب ، وإل
وغير ذلك . . وقد رأى تلك السيدة - على رجليه .

إلى الحجره التي كان الألم والطملم والقنوط شيران ميهما
- ولا بد - حربا شعواء ضد الروح المعنوية وسلامة العقل
والشسث العريزي بالحياه . . في الرجل الذي كانت تحبه ! . .
كانت حين تعلم أنها داهنه إليه ، غير أنها احست بمعحر مطلق
عن تدمير الأسلوب والطريقة اللذين يمكنهما من ذلك . فقد
سبها إدراكها السلام منها إراء معضلة معقدة ، بالرغم من ان
تراجيحها الملهومتين ، وصدرها الناص بالآلم : كانت مصر -
قائله : « يا إلهي ، اليس الأمر بسيطا ؟ . انه أعمى ووحيد :
. . آواه ، يا جارث ! » .

بيد انها عرمت أين تجد رأيا مبرها عن الشوائب ، وأحذر
من راسها بان يركن إليه . . وأيقظ أن أصح طريق لها ، إب
يبدأ في حجرة الاستشارة بمعاودة الدكتور " دريك براند " .
ولذلك أبرقت إليه من باريس . . وها هي دي لا ننشد سوى
شوارع (ويمبول) . .

وعند بلوغها (دومر) ، ابتاعت إحدى الصحف ومادرت
إلى تقليب صفحاتها في عجلة ، وهي تسير على رصيف المياه
حلف الحمال الفوى الذي يسلم امتعتها . وفي عامود الأخبار
لشخصية ، عثرت على المقرة التي كانت تشدها ، فقرات .
" يؤسفنا ان نذكر أن السيد حارث دالمس ما يزال طريح
مراشه ، في حالة أشد ما تكون بعدا عن الاستقرار ، مداره .
في (ديسايد) - بمقاطعة (إيردينشايير) - عقب الحادث
الذي وقع له من أسوعين . . ولقد صاع صره تماما ولا أمل
في شفاؤه ، ولكن مواطن الإصابات الأخرى في تحسن يبعث

منه . . . فطعم محسنة من عيلة مرسية ، وسمع زميله يهده
ماتلا : « ما أطبل أن نسفه مسلات - مهده العلة - آخر كبير
من حبل هذا المضع . » ومن ثم أحسن جمال متمسه حين
سرور بدويج سرور ، الإيهار الذي يدعم ، وسري ، بالذع
الذي استجيب بسخاء !

وفي تلك الأثناء ، أقبل على الرصيف الذي استقر عنده
القطار ، غلام راح ينادى : « النيلة جين شامبيون » . .
وأحد مردد النساء عدة مرات ، حذر سمعته حين مر
درياها من لسانه ، وهي تقول : « هنا ما ننى . . أمهالي » .
وعصفت برقبة ، عاباها من العيب ، مرحبا بك في تونس .
عبد ، لأن من مكلمتها ، سياتحرك ، يحطه شمس دروس .
وأعطى كى الهاتف الذي تظلمن - تناولتي تهوتك في دهر .
دريك » .

وسك ، حين سمر دموع ، شكر الله ، وأربابها ، بعد ما كان
ممل في وحدة قادمة . . ثم أطلت من نامدة القطار ، وناث
صالبة فندح ، من القهوه . . وكانت القهوه آخر ما تشتهي .
ولكنها ما كانت تستر في أن بعض بصيحة الطبيب . ولو كان
بعد عنها . . وكان الحال ما يزال عند باب مقصورتها .
لم يكذ مسمع نداءها حتى اندفع إلى مقصف المحطة وفي
اللحظة التي بدأ القطار يتحرك فيها ، أسلمها خلال النامدة
قدحا من القهوه الساخنة وطبقا من خير وريد . فقالت له :
« شكرا أيها الرجل الطيب ! » . . ثم وصفت قدح القهوه
والطبق على المقعد ، ودست يدها في حبيها فأخرجت قطعة

بقية كبيرة ، وهي بقوى . . هاك ، فأنت قد بالغت في العناية
بي . . كلا ، احتفظ بالباقي ، فإن احضار الميوه في لحظة
تصيرة يستحق أجرا مضاعفا . . استودعك الله ! » .

وبحرك الأضفار وأعيا الحول فحلق بها . وبغروقتنا
سدوع . . لقد قبل لمسه عسديا نامي عطاها الأمل .
« حسنا ، هدا مشيري اللين والنعير لطراح » .
عنا بلقي العطاء الثاني ، أتيان حجاب الشمس العتس
من لطم لعدابي الذي أوصى به الطبيب لزوجه ، فقال
« وعدا للدماء والحلاتين ! » . . وأشرح مساره دهال
قائلا : « إن أباك الذي في السماء ، يعرف ما أنت في حاجة
إليه ! » .

أما جين ، فقد جلست في ركن مريح من المقصورة ،
وسحب دموع لشكر ولا تهاج لى كادب بسدل من عسها .
ثم شرب قدح لقهوة فندعرت بانغماس ماى ما كانت بوقع
كادب غير الأخرى . كروحه الدمال - بحاجة إلى أسماء
كثير . . لم تكن صححه إلى نقود ، إذ كان لديها منها الكثير ،
ولكن ما كانت ميسر بها الحجة إليه قبل سواء - في هذه
الأوتة - هو صديق عاقل ، وقادر ، وحواد بعموه . وها هو
را « دريك » قد حفر إلى مساعدتها . . وهنا أعادت تلاوة
لبرقة ، وانقسمت وهي تلج أن طامعه قد تحل . وبقته ،
إذ أنه عني بتوصيتها بتناول القهوه . . وهم كان . . منه
أن يعترزم استقبالها بنفسه في المحطة . . .

واضطلعت على الوسائد . كانت قد قصت يوماً وليلة في
عجلة عاصمة مجومة ، وها هي دى قد حطت نفسها - حراً
في تناول يد « ديك » وبصت أضرامه المموج . بهذا اضطراب
عسيها ، وعشمتها بكينه هادئة ، فاستسلمت إلى نوم عسى
اجل « ان أباك الذي في السقاء » يعرف ما انت في حاجة
إليه ! » .

• • • • •

اغتسلت جين وأصلحت من هذاهبا وزينتها ، وهي تشعر
بانبعاث كامل ، ثم أظف من نامذه مقصوريا ، بينما كان
لمطار سباب إلى محطة « شيرنج كروس » . وكان الدكتور
ديك واقفا على الرصيف ، أمام النقعة التي استمرت عنده
مقصوريا تماماً ، عند وقوف القطار . . . وكان ذلك محسود
بسادته ، ومع ذلك مائه بدأ - لعبس حين - شبا بسبى
وبسجا السيب ، مكانها كان من الدمة بحيث حدد بوقمه
من الرصيف الطويل ، حيث كان بمعنى تاما . . . ولعد مائت
سنة يوماً - إحدى الرياضات المتحمسات له ، مهتمة بإيرار
لمعنى لدى كاتب تقصده ، دون احتفال بقواعد اللعبة . « انه
دائماً ، كما تعلمين . . . هناك تماماً ! » . كانت تعنى أنه يوجد
في المكان والزمان اللذين همس الحاجة إليه مبها . وقد ساعدت
عده الخصلة - التي اثار بها - على جعله عوناً كبيراً للكثيرين
في الضائقات !

كان واقفاً بين الدمالين ، مسرعاً ما كانت يده على مقص
سباب « جين » . . . وكانت هي مظه من ماددها ، ساهل وحيه

التجمل الصايف ، الذي أشرق ترحيباً بها . وقرأت في ميني
صديق حساها شعوراً دافقاً من العطف والادراك الكامل .
- رأت خلقه خادم عبيها الخاص ، ومسيبتها التي كانت
قد إلحقها مؤقناً بخدمة الدوقة . . . ولم تبض لحظة ، حتى
سب حسن على الرصيف ، وسده في يد الدكتور ديك ، وهو
مول لها « هذا يدع يا عريس . . ان صحتك جيدة جداً كما
بدى في . . . والآن هب معانج حضانك . وما أطبك من
حسب شفاء ممنوعه . ولقد انصرفت بالذوقه لترسل بعض
منها ليقولوا ابر اممك » ولكي لا يتوقع وصيولك قسبل
من نساء ، لأك سمبولين الشاي معاً . اتواقين على
بك ؟ . بمصلى من هنا ! اجتري هذا الحاحر ! يا للعوصي !
ش سحس برود بخالته القوامين والبطم . وكل واحد برسد
من ينون في المذمة بمحطيا الأحرس . . . الواقع ان مسر
رحال المسك الددبة وطباعهم جذيرة بأن تكون مدوه
للشعر ! »

كان الدكتور ديك طيلة الوقت ، وهو يمود حسن بين رحام
الحاهير ، ثم فتح باب مركبه كهربائية اثيقه ، وساعدها في
لصعود ، ثم اتخذ مجلساً محانها . وسارت بهم المركبة
مسرعه إلى شارع (ستراند) ، ثم عرحت إلى ميدان
(ترافالجار) .

وقال الدكتور ديك ، « والآن ، ألم تكن ناهراً شينا رائعا ؟

انني حين أسمع بعض الناس يقولون :
« ثل في ناهراً ؟ . . لقد شعرنا نحن بذلك »
www.chap4ar.com

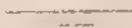
أتمنى - اللحظة قاتلة - أن تنشق الأرض مستعصم . أن
 ليس الذين يشعرون بحياة أمل في (نباح) ويتحدثون
 عن ذلك لا يحق لهم أن يدبو على وجه السطحة .. وما رأيك
 في « الأم الصغرى » ؟ . أليس حذيرة من تعريض المرء ؟
 'رجو أن تكون قد بعثت لي بحجة معك . وهناك ميوه ؟
 هل رأيت شيئاً يماثلها حين تكون الناحية مغطاة بظلها ؟
 عند غروب الشمس ؟ »

وارسلت : « حسن » معاً وعمره مائة . « أليس الله رافد
 حاف دمعها ، وفالك » . « أما هناك من ليس ، ذلك ؟ » .
 موضع الدكتور دد غور بها ، « آجاب » . « لم يوف بعش
 كل حينه أعمى يا عزيزتي . عي أن في المعاد بعدة ثمرة
 غير العشر ، فلا يخجل ، والآن كذلك ؟ عول ' لا امر ' . »

وعادت تسأله : « وهل سمعش ؟ » . « صيف » . « ليس من
 سبب يمنعه من أن يعيش ، ولكن إلى من ستكون لحياته حياة
 لديه .. هذا يتوقف ، على ما هي من عطف لذلك المكن .
 في بضعه لأشهر المعاد » . « أنه ينظر سبباً أكثر معه حسب ما » .

مخلعت حين قمارها و بنده لانيه عد ؟ ثم تسددت على
 ركبة الدكتور قائلة : « ذلك » . « ليس » . « آجبه » . « مصيب
 الدكتور مرهه - وكأنه يقلب هذا الاعتقاد الجسيم على
 كل وحوه - ثم رفع اليد بقوة اللطيفه التي كانت ممدودة
 ركبته ، وقبلها في احترام جميل .. وهي حركة تمت عن
 إحلال الرجل لما أبسته المرأة من مسرة جري ، ثم « ل لم » .

« أن المستقبل يذخر كثيراً من الخير لجارك والذين - في هذه
 بحاله - حتى أظن به - يستطع الاستعاضة عن مقد
 نصره .. وحتى حين ذلك الوقت ، ما أعلم أن لديك الكثير
 مما ترعين الاهتمام به إلى ، كما أنه من حقك ولا ريب أن
 تسميهم مع كل تعقيلات حالته وما يبكس شرحه لك ..
 ، هذا بصف ، شارع ، وسول) متعالي معي إلى حشره
 لاستشاره .. وبعد أصدرت أوامر مسيووارب بضمهم
 ازعاجنا منها تكن الأسباب ؟ » .



الفصل الخامس عشر

كانت حجرة الدكتور هادئة جدا .. واضطجعت حين و
لمعد الكبر المكسوم بالحد الأخضر .. واستندت فتيبت سر
مسند الأقدام ، بينما تشبثت قبضتها بذراعى المقعد ..
وحلس الدكتور إلى مكتبه فى مقعده المنحوت 'المستدير' الذى
يستعمله دائما .. وهو مقعد كان يهكبه بر 'أر سيدر محب'
مواجهة المريض ، بسرعة أو يستقيم فى هدوء لينحنى على
مكتبه . ولكنه لم يكن ينظر إلى حسن - إذ ذاك - من كان
يأتى إليها بوصف معضل ليربته لمصر 'الجلسنى' الذى
'ممرجه' إلا فى الليلة المصصة .. لقد قضى خمس ساعات
مع جارث .. ولاح للطبيب أن من الأرجح أن يحدد لحسن كـ
سوء ، وعساه محدثان 'أماه' ، لأنه كان وانفا من أن دموعه
ستسبيل - ولا بد - على وجنتيها ، فرغب فى أن تظن أنه لم
يعطن إليها !

ومضى فى كلامه قائلا : « أنك تعلمين ما عربرنى أن الخروج
'الأصلية' تسير سيرا حسنا . والعرب حقا أنه بالرغم من أن
شبكة كل من العينين قد خرقت ، وذهب الإبصار إلى عمير
عودة ، من الإحراء المحطه بالعنبن لم نصب ناصر ، يذكر .
كما أن المخ سليم ، لم يلحقه أى أذى . أما الخطر - فى الوقت
الراهن - فينبعث عن صدمة للجهاز العصبي ، وعن الآلم
النفسى الهائل الناشئ عن تئين فقد الإبصار ' .. ولقد كانت
'الآلام' الصدية مظلمة - بلا ريب - فى السالى والألم الأولى .

يا للبسكين ، أنه يلوح وكان الحادث هديه ، وليسكن بنيتيه
رائحه ، وقد كانت حياته مظلمة ، وصحية ، ومعتدلة ، فكانت
لديه كل مرصة لابلال طيب ، لولا أن عذابيه النفسى كان
ظمئا حين حمت آلامه الصدية ، وبدأ عماه يصمغ حقيقة
مرداد شعورا بها يوما بعد يوم ، وساعة بعد ساعة . فقد كان
للإبصار عنده قيمة لا يوصف .. كان وسيلة لبين حصال
المكوس ، وجمال الألوان .. كانت طبيعة العنان فيه تسود
كل كيانه ، وقد قيل لى أنه - بعد المصاب - لم ينسكلم إلا
لأما ، فهو رجل شجاع وقوى .. ولكن درجه حرارته أخذت
تتدرب بشكل مخيف ، وطهرت عليه أعراض اضطراب عقلى ،
لا داعى لأن أشرح تفصيلاتها الفنية لك . وبدأ أنه أكثر
أحبائها إلى احسانى الأعصاب منه إلى طبيب العيون ..
ومن ثم فهو الآن تحت عنايتى ! » .

وصفت الدكتور ، وأحد يسوى معص كتب كانت ملقاة
موق مكتبه ، ثم قرب إليه إباء صغيرا به معص رهور المنسج ،
وراح يعم النظر منها بعينه لحظطات ، ثم أعدها إلى حيث
كانت .. روحه قد وصفتها ، واستأنف حديثه قائلا
« وموجه عام مأنا راض الآن عن الحالة . لقد كان فى حاجة
إلى صوت صديق يهوى حب الظلام .. كان بحاجة إلى
مد تشد على يده 'أدراك' مخلص .. لم يكن راعيا فى أى
اشمات ، مكن الذين يتحدثون عن خسارته المادية دور مهم
لحالته أو قدرته على أدراك استفعالها ، موشكور ، ان يدمعوا
به إلى الجنون' كان فى حاجة إلى صديق يقول له : « إنها مراهقة
معركة شديدة ، مستبشرة .. ولكنك .. »

وأرشف الطبيب قائلا ، « وكان صوته اشد ما سمعت تأثيرا في النفس » . ثم سمعت إذ رأي جس قد أجمعت وجهها في يديها ، وأجهشت بكاء جار ، وأمسكتها حلجات عصبية كانت تهر حسيها هرا عندما .. مليا عدات ثأريها ، عاود الطبيب حديثه قائلا :

.. ومذلك أهدتني إلى الأساس السليم الذي اسير عليه . مضى ، بدأهم الإنسان ماحمه مروعة كهده ، لا يبقى لديه من سعد او ملجأ سوى الدين .. ويقدر ما يكون عليه الشخص من ممو .. في الناحية الروحية . تكون مقدرة الحسدية على الخاوبة والصمود .. ولذي دالمين من الايمان الحقيقي اكثر مما يظن جميع من يمرمونه معرفة سطحية . وما لنا ان يحدث .. بعد ذلك .. حديثا تركز في حدود معينة ، مانعته بالوافته على إجرأ او اثنين . مانت تعلمين انه ملا اقارب يمكن لكون اليهم ، اللب ، إلا بعض أسماء العسوبة السدين لم يكونوا على وده في أي وقت من الاوقات .. وها هو ذا وحيد سايما ، فبالرغم من انه اوتي عشر أمت من أصدقاء ، إلا انه يحتر بقره بسحر ألا يحفه به فيها غير الأصدقاء الحميمين جدا ، ومع انه يبدو كالفني الساد - الذي سهل التلغلل إلى أعماقه ، إلا أنني بدات أرتاب في أن أي مرد ما قد عرف « حيارث » على حقيقته ، فإن روح هذا الرجل أعنى وأعمد ما تكون عن مظهره السطحي !!

ورمعت حين رأسها ، وقالت في بساطة * « بل أنفي عزمه تمام المعرفة » . مقال الطبيب * « آه مدخن .. انه وحيد

وننصر .. قد يكون الجوهر أسير - ولكن الجود بعباد الحسرة والعشال ، مخصص أو محسب لنقص .. انه يا يقوم كل طاعة مشربة ، ولكن .. بمعية الله .. وأجر .. مخصص .. كل هذه الكلمات ، وكثير غيرها ، قلتها له يا جانيت . وقد حدث بعد ذلك شيء غام في العروسة وسمال . وبوجه أن حرك به ، وأن أجبر به « بالروح » طليعا ، ولكن من أسد دة لاي مخلوق غيرك .. لقد كانت المعصية .. يحصل منه على أن تجاوب أو رد ، ولكنه لم يبد قاترا عني أو بيه خواسته إلى درجة تمكنه من ملاحظته ما يري .. سوله .. على أنه إذا كان كلمتي « بمعونة الله » قد طليعا في بعده ، ووحيا صدي سريعا في عقله الباطن مسسبمه يرددها برة أو مرتين ، ثم اخذ تعديلا إذ قال « يميز من جسدك في اليأس » .. ثم اذار رأسه على الوسادة ، في مص ، وقد .. وقال .. « أنني اذكرها الآن ، وهذه هي بيوت .. » واخذت أصداعه فتحرك على اعطلة وبسبب لمس أوتارا موسيقية ، ثم أخذ يردد في صود بدعس جدا ولكنه واضح ، المقررة الثانية من ترتيبه * « تعالى انتبها الروح الخالقة » .. وكنت أعرعها ، لأني كنت أشدها مع مسرة الرمنين في كنيسة أبي ، في بلدنا .. أتفكرين ؟

« اللهم امح ثورك الدائم ألا لي اهتمام بصلواتنا انعماء ، وأمسح دالريب وجوهنا ببلونه .. وابلاها بشارا ، بعض من مجدك

« وأبعد عنا اعداءنا واجنح أوطاننا السلام

« وحيث تكون أنت مرشدنا فلن يكون ثمة سوء »

غير مريضه إلى رجل كعبه ولكن موسعا الآن أن تستغنى عن هذا المرض ، فقد أصرت على أن أبعث إليه ممرضه احتسارها به بمعنى ، لا لمجرد أن تقوم مواحيات التمريض — مان خادمه خاص يستطيع أن يقوم بهذه المهمة ، وقد ظهر أنه كعبه قدير — وأما سينحصر عملها في أن تحالسه ، وتقرأ له ، وتغولي مرده .. مان هناك أكدامنا من الرسائل لم نفرض بعد ، ويجب أن نطلى عليه .. أى أن مهنتنا — في الواقع — هي أن نساعد من استغاث الحياة من جديد ، بعد فقدانهم الإصرار ، وهي به تفتاح إلى كثير من المرات ، وتطلب لمائة وحسن تصرف . بعد عثرت — بعد ظهر اليوم — على خير من تصلح لهذه مهمة . فهي امرأة سامية الخصال ، راقية الأصل ، وقد ولت التمريض تحت إشراف قبل الآن كما أنها على دراية تامة بالمسائل النفسية التي تتطلبها حال المريض .. ثم أنها رشيقة ، مريضة ، من ذلك النوع من الثقات ، الذي كان دال المسكين يجب أن يكون محواره دائما ، قبل أن يعقد بصره .. وقد كان حارث — كما نعلم — من يصعب إرضائهم بالمظاهر ، كما به كان حيرا بالحس ! .. ولقد كتبت إلى الدكتور ماكبرى وصفا تفصيليا لها ، حتى يهيئ مريضه قبل وصولها . من علمها أن تذهب بعد ماكر . ولقد كان من حسن الحظ أن غثرتنا عليها ، لأنها خير من كنا نفق ، وقد أنهت أخيرا من تمريض حالة سل طال بها العهد ، فأصبحت مسر نحو الشمس ، ورؤى أن يسافر إلى الخارج للشفاء . ومذلك قريب يا جانيبت الأمور تسير إلى الاستقرار .. ^{١٩١٣} ما سسى لمريض . أن لذلك قصة خاصة ترغبن أن تدلر ما إلى ، أما الذي

لا يسمح للأصدقاء المائدين بالاعتسار به منه . كما قلت . لقد ذهبت لندى أنجلي بأسلوبها المفسور اللطيف ، دون أن يسى أحدا باعتزامها الحضور ، وقطعت الرحلة من استستون إلى داره ، دون أن تصطحب معها خادمة أو متاعا . اللهم إلا حقيبة يد .. وأدمنت مهولة محو باب الدار ، ملقبها « روبرت ما كبرى » — وهو الطبيب المقيم الذي يتولى علاجه ، وقد عرف ممرضه عن النساء — محشى لدى رؤياها أن تكون روجه لدال ، لم يدر أحد مرواجه منها . إذ حمل له أن السيدات للآلى لا يعلن من حضورهن ، ويصلن في عرصات مسافحة . لا بد أن يكن زوجات لا يرغب أزواجهن ميه .. وعلمت بأن شجارا مضحكا جرى بينها . ولكن الليدى أنجلي اختالت بأساليبها على « روسى » المسكين ، وأوشكت أن تطلب له . ومنذا الذي يقوى على مقابلة سحرها ؟! على أن أحدا لم يحرؤ على السماح لها بدخول حجرة « دال » — بطبيعة الحال — واقترصت مواساتها على أنها سمحت للمحور التي تدر شهور مسكين « دال » ، بأن ترقى على كتفها الحبيطة وتسدرم الدموع مدرارا ، وتحشش بالمكاء .. ولقد كانت مهلة بتحلى لسماع الذي يعرف هؤلاء الأصدقاء جميعا ، أكثر من معرفتهم لأنفسهم . ولكن ، لنعد إلى الاتصالات الواقعة به .. أن ثمة مريضا مخرما خير تدريب ، يعنى مدال مع خادمه الخاص . بعد أن رفض رفضا ثلثا قول أية ممرضه من مستشمانا في لندن ، كان في وسعها أن تشفع في حجرة المرض شيئا من لزميه اللطيف والعفافة النسوى . وقال أنه لا يقوى على احتمال أن تلبسه أية امرأة ، فانتهى الأمر عند ذلك . وعهد

لك .. على أنني سأطلبه الشاي - قتل ذلك - وسنباوله
بما هتا .. واسمعي لى بضع دقائق أسمع مدحا إلى «فلان»
أرجى إليها بضع كلمات !



مدا من الطبيب فيه أن تسكب الشاي للطبيب ، ثم تراقبه
وهو يضيف كنسرا من الملح فوق الحيز والبرد ، يطبق
السطح بالدقة والعناية اللتين انضم بها كل عمل من أعماله ،
بما يكن مسيطرا . ولم يكن قد تغير - في جوهره - تعسرا
يذكر ، عما كان عليه في العشرين من عمره ، حين كان يقضي
عطلاته المدرسية في الإبروشية ، وحين اعتاد أن يسبح للفتاة
- التي كانت تعيش وحيدة في الضيعة - سرورا عظيما متأثر
الشاي معها في حجره دراستها . فمدا قدر لها التخلص من
مقة مربية الفتاة ، والبقاء بها وحيدتين ، بما كل أبعدها من
أوبقات مقصدها حالسين على سباط المداة ، بشومان ثمار
الكسنة ، ويناقشان في الموضوعات العديدة التي كانا مهتما
بها معا ! . ولقد ظلت ، حين تذكر تلك المنة المرححة بالاله
التي كانت تلقاها عند تغليب الكسنة المساحبة بأصابعها على
الموقد ، حتى لا تعرض أصابعه هو للاحتراق ! .. معد أعادت
أن تعصف دائما - في سريرتها - بيديها ، وبالأصابع السم
الفضيلة التي كانت رغم رقة ملمسها مليئة بقوة رقيقة .
وكانت تحب أن تراقب هذه الأصابع وهي تبرى لها أظفارها ،
أو ترسم ليه انكسلا هندسة ضيقة ، في كراسيتها . وكان
محلو لها أن تصور كيف أن حياة الناس ستتوقف على ما لهذه

الأصابع من مهاره وحقق ، تنفيا بقدر للمنى - في السموات
المعته - أن يقوم بإجراء عمليات جراحية هناك . وكان في تلك
السين الماضية ، يبدو كبر مقها سفا . ثم حين انتهت الذي
طورت فيه سرعة ونهت ، وأصبحت أبراء نسابة ، عيناها
في مستوى عيبه . وإذ ذاك بدا أنها بتعادلا و السن .
ثم مدات حين تشعر - مع انقضاء السنين - وخاها مكره
سفا ، وأخافت أن تدعوها - «الفتى» ، تأبى لهذا الشعور . .
ثم حدث بعد ذلك «فلان» ، وأردياك المسئوليات ، مرات
جبر وجهه يزداد تحولا ، وقد علته أمارات الإرهاق ، وشباب
شمر موديه . . وأثبتت حين عليه - إذ ذاك - ولكنها لم
تجزي على أن توليه العطف . وما لبثت أمور الطبيب أن تجسفت
وبدا أن الحظ آثره مخزاته ، سواء في مهنته ، أو في مكانه
بمن الناس ، أو - فوق كل شيء - في حياته العائلية . التي
كانت «فلان» تحويها بين يديها اللطيفتين . وأرتاح قلبه ،
حين - وإن شعرت بمرد من الوحدة - بعد أن أصبح هذا
رميق . على أن سيدافنها ظلك وثيقة . وقد دسها لحوب
«فلان» طرفا ثالثا . . طرفا ودودا ، بداد العزلة . على
والشوق إلى أن يعلم - من المرأة التي كانت صدايقها في وجهه
ركبا هاما في حياته - كيف تنجح معها كأنه تسد مشلت هي
عنه من قبل . وظل قلب حين الأمين كريما وما لهاها معا .
وإن كان شعوره بالوحشة قد أخذ يستمحل وهي تشهد
سعادتها الشبيهة .

أما الآن - في ساعة الضيق والحناء -
سوى «دريك» وحده . وقد أدرك

الأمور على سوء هذه الحقيقة ، إذ شعر بأن العرصة قد واثته ليرد لها ما أولفه إياه من وعاء طوال عمره . وكان حليق بالحديث الذي دار بينهما - في أصيل ذلك اليوم - أن يكون بهكما دبقا لصداقتهما .. ومن ثم فقد أبر الطبيب - بما أملت عليه حمرة الإحصائي بتقدير التأثير النفساني لأفعاله المظاهر الخارجية - ببعض الفطائر ، وبغلاية ماء ، وطلب إلى « حين » أن تمد الشاي . وما أن مار الماء في المرحل ، حتى كان قد استعانا فكري عهد الصبا وشعراء أبي دردة الكسثناء . وصحبا كثيرا لما كانت تدميه رمية جين من جهسد لتردهيب إلى اشاع النظام ، ولما كانا يبدلانه لمحاولة الهرب من رقابهما ورجعت بهما الذكرى سنوات عديدة ، حتى أحسبت جين بأنها في دارها مع رفيق صباها .

ومع ذلك ، فقد ذهبتا لحظه وحوم ، عديما أراح الطبيب مائدة الشاي ، وحسبك كل منهما في وجه الآخر ، وهما في مقعديهما المريحين حول المدفأة . ولاحظ كل منهما كيف كان صاحبه يسلك مسلكه المألوف معه .. بعد جلست جين بمقده في مقعدها ، وثمتت قدميهما بقوة فوق مساط المدفأة ، وذراعاها مستندان إلى ركبتيها ، يداها معقودتان أمامها .. بينما اصطليح الطبيب في مقعده ، وعقد ساقيه - إحداهما فوق الأخرى - واستند برمقه إلى ذراعيه المتعدي ، والتفت أصابعه بضمها بعض ، وقد سكن جسمه نهالاً ، بينما اشتد بقطلة ذهنه .

وكان الصمت الذي ساد بينهما ، أشبه بركة ماء عميقة . ساكنة - ثم كانت حين السباته إلى الموصى في هذه البركة . إذ قالت « سأحمرلك بكل شيء ، يا دريك .. سأحدثك عن قلبي ، وعن عقلي ، وعن مشاعري كمسا لو أنها كانت عظام وعصلات ورنات .. وأحب منك أن تجمع بين مهني الطبيب والقس الذي يتلقى الاعتراف ! » .

وكان الطبيب وقتئذ يتأمل أطراف أصابعه ، مما أن سمع قولها ، حتى التفت إليها بسرعة وأوفاً برأسه ، ثم حول نظره إلى نار الموقد ، معادت تقول « لقد كانت حياتي مشوشة بوحده ، موحشة - إلى حد ما - يا دريك . مما كنت بومه عميراً لأرى لحياة شخص آخر ، كما أن أحدا لم يصل إلى الاسم الحقيقي لمسي .. وكنت أعلم بوجود هذه الأعماق - ولكني كنت أدرك أن أحدا لم يقو على استقصائها وسر غوارها ! » .

معر الطبيب به وكأنه بهم بالكلام ثم أطلق شفته أشد من ذي قبل ، واكتمى بأن عر رأسه صامتاً ، واستطردب حين فائقة « لم ألق قط من أحد ذلك الحب الذي يحصل للمرء الأولويه المطلقة لدى شخص آخر ، لا ولا أنا أحسبت أحد هذا الحب . كنت أحمل كثيراً وأهتم .. ولكني الانحنسر والاهتمام ليساً حياً ! .. أواه يا فتاي ، انني أدرك عهد الآن ! » . وبذا الجانب المواجه لها به . حة الباس .

بينما من ذي قبل ، بالنسبة للخضرة | أعتة له | لم يكن غداً .

تم استأنفت حديثها قائلة : « أهل ، أننى أعتقد - وإن لم أكن قد أكدت من ذلك ، من قبل - أننى وجدت حملته العائق حلالا ! .. وكنا إذاً فى ظروف مماثلة ، بكل ما محروء من والديه ، وكلاهما على جانب كبير من الثراء وغير مسئولين عن تصرفاتنا أمام أحد ما ، ولما كثير من الأصدقاء المشتركين ، وعالمنا ما يكون صيغين فى مكان واحد ! .. واسقنا إلى الفه يستعديه ، فكان هو الوحيد من أصدقائى الذى أشعرنى بأنه رجل واح » .. وكنا نناقش أمور المساء بالعشرات ، لأسبب وللك اللاتى كن موضع اعجابه تناعا ، مستعرض أثر حبالهن عليه ، وكبت أقرب الموقف باهتمام - لأرى من مهن التى سيقصر عليها هواه المقلب الهائم ، فى آخر الأمر .. ولكن هذا كله يبدل فى نصف ساعة ، فى أحد الأيام الحائلة - إذ كنا نقيم مع آخرين فى (أومردين) ، وأقمنا بالدار حملة كبيرة كانت العبه « حورحينا » قد أعدت حملة موسيقية دعت بحسورها نصف حيرتها . وفى آخر لحظة ، تدخلت السيدة « فيلها » عن الحضور ، واشتدت الخمر والاريساك بالعماء حيناً ، حتى أنها أخذت تستلهم بقاءها ' الراى ' . وابت تعلم كيف تفعل ذلك ، ففى تقول دائماً إنها إنما تردد كلمات الطائر لعزيز .. يجب أن يعمل شيء وكان لابد من طرح ، منظوم لأن أهل محل « فيلها » وقمت بالقضاء فى الحلقة » .

فتشبه الطبيب دهشة . ولكنها واصلت الحديث مائلة « وعيت قطعة » . « حة » ، وهى الأعنة التى طلبتها من « فلور » فى .. كنت هنا . هل تذكر ؟ » . فغمر الطبيب رأسه : « نعم أنكر » ، بينما استطرحت هى

يقول . « وبعد ذلك تعبر كل شيء بين جارث وبينى .. ولم أدرك كم هذا التعبير فى مديته . كنت أعلم أن الموسيقى قد حركت عواطفه إلى أعبق حد ، ما لحسان النعم عليه ذات لائر الذى لجمال الألوان .. غير أننى طفت بأن هذا المارص بد بيقصى باستقصاء اللل . ولكن الأمام مرت وهذا التبدل بمرتب ، المستعذب ، الذى طرأ عليه ، باق على حله . وما كان لأحد عيرنا أن يلاحظ ذلك . أما أنا ، فقد أحسست محاء - بأننى فى حياتى كلها أصبحت لازمة لشخص ما ، ول مره فى عمرى بأسره . علم أن أدخل حجره إلا وأما واثقه به بحس موجودى ، وما كنت أمارح مكاناً دون أن أومن من أنه يحسن مورا بالمعراع ويتألم لغيابى .. وكانت الحال الأولى نملا حوامع كلنا ، فى حين أن الحال الثانية كانت تحلب مراغا لا سئل إلى التخلص منه .. عرمت ذلك ولكنى - مع - فى لائر من غربة لا تصدق - لم أجدس قط أن هذا هو .. الحب ، .. سميت أنها رابطة وتقارب قوبان عبر عاديين ، قواهما العطف والمهم المتبادل الذى كان بمعته الرئيسى استعداد كل من موسيقى الآخر ، فأصبحنا بقضى الساعات فى قاعة الموسيقى . هكذا رأت الأمر ، ولكنه كان كلياً بظرو إلى ، وكان عيسه لبيسانى لمسات رقيقة ، وعجيبة حد .. كل هذا . ولم أنكر مطلقاً فى الحب ' ذلك لأننى ظلو من الجمال ، وقد أشرف على أوسط العمر ، فى حين أنه شاب يتألق جمالا وشباب .. كان أشبه بنسب من أكله الشمس ، مكب أحسن دفناً وجبونه فى بره ، وكان دائماً قريباً منى .. هذه الحقيقة ، هذا ما عشت به طوال الأيام التى تلت الحملة الموسيقية .. لم هو بر

تأخيه متد أخيرنى يا ديريك - عينا معد - بأن سماعه أعبه
 « المسحة » كان إليهما مباحثا .. إليهما لم يمتق من
 الموسيقى ، وأنها متى أنا .. وقال أنه لم يفكر فى - مرة - إلا
 كصاحب طب ، ثم كأميا كان شبه قدسعا أريج ، مرانو .
 وعرمى ، وأحس بى .. كأمراه .. والأمر يبدو لك عريسا
 - ولا ريب - كما بدا لى .. ولكنه قال ان المرأة التى وحدها
 فى شخصى - فى تلك الليلة - كانت مثله الأعلى للمرأة ، وأنه
 منذ تلك اللحظة رغب فى أن أكون له وحده ، كما لم يرغب فى
 أى إنسان من قبل ! »
 وصمتت حين وعيها ما يحدث فى البار اللئيم ، فاستدار
 الطبيب بكل طم ، ونظر إليها .. لقد أحس - هو الآخر -
 فى المضى بشده حادثها كأمراه . وكان ذلك الشعور شتد
 ويملأ كلما بان وانصح ، لأنه لم يكن طاهرا سطحيا .. ولقد
 ليس قوة الحبان الأموى الهاجج فى أعياها ، وبرف أر ذراعها
 تادرا من أن مصحبا ملاذ تمنا ، وصدرها وسادة ناعمة ،
 وحسها عراء صامتا .. ولقد كان الطبيب - فى أيام وحشته
 ووحشته - يرى لزما عليه أن يبرح من هذه الصنات فى حين
 .. فقد كانت نعمة شينة يسول الاستسلام عليها - لأن حين
 كانت شديده الجهل بها - ولكنه كان معه لى له فى سنها
 أى حق . وبذا نسنى للطبيب أن يفهم تباها مدى سلطان تلك
 النعمة على رجل قدر له أن يكشفها ، وكانت له التجربة فى أن
 يطعم بها لنفسه !

حان كل هذا بدهن الطب ، ولكنه اكفى بأن قال :
 ان هذا لا يبدو لى عريسا يا عزيزتى ! » . وكانت حين تمد
 - بى - ود الطبيب - فتبعت إليه - وتحولت عن الحديث
 من خوف نار الدعاة المتاحجة ، وقالت « مسعدنى ألا تراه
 غريبا ، لها أنا فقد بدا لى غريبا .. حسنا ، لقد مارحنا
 ومردس فى داب أسود ، معذب أنا لربا ربكنا ، وذهب هو
 لى رشمه موى : .. كمن ذلك فى يوم الثلاثاء ، وفى يوم الصبح
 « رب إلى (شستون) حدثت نلاسننا ثانية .. وبدا ان
 « قد تلك المرة العصرة ، قد أدكى ذلك الشعور العريب
 لى مان يدفعنا إلى أن نكون معا ، وزاده سمقا ولذة . وكان
 من الصوف اسرلين فى قصر (شستون) ، تلك الامريكه
 « لمدف » « بولس لمدتر » . وقد كان جبارث مشغوقا بحبالها
 مد ما ان مرسوما ، فابتغى كل امرئ من أنه لن يلبث أن يطلب
 « ها . وبعد طلب ذلك . أنا إليما - يا ديريك ، بل انى
 بصحته بذلك ، فى الواقع - وكنت مسرورة ومهتبه بالأمر ،
 ساله من أن عساه كانا تلهسا لى لى انظر انهما ، ومن أنى
 تمت أدرك ان اليوم لم يكن سدى - فى نظره - إلا حد بلقى ،
 ولم يكن شيه إلا عندما تبادل الحبة قبل النوم .. أن هذه
 لتحية - القى - وصنعت فى المقدمة ، وحملتنى المنصه لديه -
 « حالت كل شى ، أبهى ذهبا ، واغدت على الحياة ارداهرا ،
 ومع كل هذا فقد ظلمت أراها مجرد صدامه بهجة ، عى
 عادية .. وفى مساء يوم وصولى إلى (شستون) ، طلب منى
 أن نخرج معا إلى الشرفة بعد العشم - سى - لى - لى -
 أسرارها - كما كانت - وأتى سلسبع - لى - لى - لى -

امر خاص . ططبت يا دريك أنه يسعى إلى أن يمضى إلى يسر من لأنسة لیسر . وبحت تأثير هذا الظن سرت هادئة عطفيه بحسبه ، وحلب على جدار الشرفة - تحت ضوء القمر الراهى - ولبت صامته في ارتقاب أن يبدأ حديثه . وإذ ذاك .. أواه ، يا دريك ! »

واستندت جين مرمقيها إلى ركنيتها ، وأخذت وجهها في راحتها ، ثم استأنفت حديثها قائلة : « لست أقوى على أن أسرد لك التفاصيل .. لقد كان حبه الذى يدمق على اسمه بالذهب المسهور ، مادام أصداق تحمظى ، ونحز في بلوح الآراء التى اعتنقها ، واقتلبنى من مكانى فاكتسحنى موق طومان من مار عجيبة .. ولم أعد أدري شيئاً في السماء أو في الأرض ، اللهم إلا أن هذا الحب كان حالمسالى ، ولى وحذى .. ثم ، أواه يا دريك ! .. لست أملك أن أوصح لك ..

بل أسي لا أدري كيف حدث ذلك . ولكن تلك الدواهي من لمواطن انسمت - آخر الأمر - على قلبي ، مقدجنا «جارت» على ركنيه ، وأحاطنى بدراعيه ، وشمت كل مالأخر وقد سادما سكوى محائى عظيم .. كنت - في تلك اللحظة - له نكل كباسى ، وكان يعلم ذلك .. وكان من الممكن أن يبقى في هذا التوسع ساعات طويلة ، لو أنه لم يتحرك ويتكلم .. ولكنه رمع وجهه وتطلع إلى ، ثم قال كلمتين لا يستطيع ترديدهما ، لأنهم ردب إلى صواى عناه ، وحطمتانى أدرك ما وراء كل هذا .. لقد كان جارت دالين ييتفتى زوجة له ! »

وصبغت «حين» في انتظار أن يبدى الطبيب أية دهشة .

ولكن دريك براند أجابها بكل هدوء : « وائى شيء آخر كان يمكن أن يمتعه ؟ » .. وومض يده فوق شففيه ، إذ شعر بهيب برعشة مفاعته .. كانت أعمر مات حين أعنف وقعا مما بومع ' .. وما لست أن قال . « حسنا يا عزيزتى - وعلى ذلك .. ؟ » . مقالات جين « إذ ذاك هيمت واقعة ، لأنه كان - طيلة مقالته جاثيا إياى - السيد المسلد على ، عسلا وحسب . وهنت بى عريوة في أعماقى ، بأن العقل يجب أن سبق أى شيء آخر في كلنى إلى قول « نعم » ، إذا شئت أن ائاد إلى حظيرة الزوجية . من التعبير الذى ورد في الكتاب المقدس هو « العقل ، والروح ، والخصد » ، وليس « الخصد ، والروح والعقل » ، كما يقال خطأ . واعتقد بأن النتيجة التى تترتب على هذا الإلهام هى اصح النتائج » .

وصدرت عن الطبيب حركة سرمعة ممت عن بالغ الاهتمام ، وهب : « يا للسماء ، يا جين أوه ، أنك بهذا قد صورت لحقيقته أدق تصوير ، وعبرت عيب التعبير الذى كثيرا ما كنت أسده دور أن أهدى إلى الكلمات الصحيحة .. أما أنت يا حانث ، مقد وحنثها ! » .. منظرت إلى عيه المتألفتين ، وانسمت في أسى ، وقالت ، « أحقا يا مناي ؟ .. ولكنهما كلمتى لنا داهنا .. فقا دفعت جيبى عنى ، وأخبرته بأننى في حاجة إلى اثنتى عشرة ساعة أمكر فيها بهدوء . وكان أئنا سام الثقة .. بى ، وبنفسه . فقبل دور ما أحتاج ، واستجلب لطلبي ففارقنى لنوء ، يترى يترى برار مسر طريقة انصرافه ، ولا لك أنت يا « بيكر » .. روتة .. القاء

في كنيسة القرية - في اليوم التالي - لأطلعه على جوابي ، فقد كان يعتزم اختيار الأرغن الجديد في الساعة الحادية عشرة ، وكنا نسدرك أننا سنكون وحيدين . فلما ذهبت صرف فاتخ الأرغن ، ودعاني إلى عتبة الهيكل . . كان الوضع بديعا ، فأخذت روح الفنان فيه ، تغنى قرحا ، وهي ترفسرف انفعالا . . ونجلى في عينيه بريق اليقين التام ، وإن ظل مسيطرا على نفسه ، فتحاشى أن يلمسني وهو يسألني من جوابي . . وعند ذاك أجبته بالرغرض الصريح ، ببديهة سببا لا يدع له سبيلا إلى الجدل ! » .

وفي الحال أدار ظهره ، وخرج من الكنيسة ، فلم أكلمه منذ تلك اللحظة ، حتى الآن !

وساد حجرة الطبيب مهت طويل ، إذ استطاع تلب الرجل أن يصل إلى أعماق الألم رجل آخر ، ولكنه - مع ذلك - ظل يحاول كتمان استنكاره ، إلى أن يعرف الحقيقة كاملة . . وأخذت روح « جين » ترزح تحت وطأة الانفعال الذي جثم عليها في تلك الساعة القاسية . . ساعة أن أزعجت جوابها لجارث . ورائت - مرة أخرى - أنها كانت على صواب . . وأخيرا تكلم الطبيب ، وقد وجه إليها نظرة فاحصة ، وكأنه كان يغوص - خلال عينيها - إلى أعماقتها . وبدأ صوته صارما برغم ترفقه : « ولماذا رفضت يا جين ؟ » .

فمدت جين له يديها مستعطفة ، وقالت : « آه ، يا غناي ؟ هل لا بد من أن أزيدك أيضا ؟ . . أي شيء آخر كنت

أملك أن أفعل ، بالرغم من أنني كنت - بذلك - أرفض اسمي حياة يمكن أن تتاح لي . . إنك لتعرف جارث تمام المعرفة يا دريك ، وتترك مدى تعلقه بالجمال ، فلا بد أن يبقى بخلطا به على الدوام . . وقبل أن تهبط علينا هذه الحاجة العجيبة المتبادلة وكان قد حدثني في صراحة متناهية عن هذا الأمر ، قبل أن يشعر كل منا بهذا الاحتياج الغريب إلى الآخر ، إذ روى لي قصة رجل عاды المنظر ، وهبه الله خصالا ومواهب كانت موضع إعجاب شديد من جارث ، جعله يرى وجه الرجل على ضوء هذا الإعجاب . ثم أردف قائلا : « على أنه ليس بالوجه الذي يؤد المرء أن يعيش معه أو أن يلقاه يوميا على المائدة . . ثم إن المرء غير مضطر إلى أن يخضع لوضع كهذا ، يعتبر - بالنسبة إلى - استسهادا . . أو اه يا دريك ! . . أكان في وسعي أن أربط جارث إلى وجهي العاды ، المجرى من الجبال . . أكان بوسعي أن أسمح لنفسى بأن أكون نظائما بفروضا - في كل يوم ، وكل ساعة - على تلك النفس المتألقة ، العاشقة للجبال ؟ . . أنني أعلم أنهم يقولون أن « الحب أعمى » ، ولكن هذا يصح قبل أن يتربع « الحب » على عرشه . . فالحب التواقي ، المشتهى ، لا يرى في محبوبه سوى الشيء الذي أيقظ اشتهاه . أما الحب القنوع ، فإنه لا يلبث أن يسترد كل بصره ، ولا تلبث قواه الإبصارية هذه أن تتضاعف - على مر الزمن - وتصبح مع الاستعمال اليومي ذات قدرة على تكبير الرغبات وتقريبها . . إن حب الزواج ليس بالأعمى ، وفي وسع أي شخص يتقن مع زوجين أن يسمع ما يراه الحب - من كل من الطرفين - ماذا يؤم الحب الأعمى

ينبدد إلى الأبد .. وأنا أعلم أن « جارت » كان أعمى خلال الأيام الذهبية ، فلم ير انتقالى النام إلى الجبال ، لأنه كان يريدنى برغبة قوية . ولو أنه قدر له أن يبالنى ، وأن يشبع نفسه من كل ما أملك أن أمنحه من جمال الروح والعقل .. لو حدث ذلك ، وبدأت الحياة اليومية تتخذ المجرى الرتيب الذى لابد لكل زوجين من أن يرتقياه .. فتصور ما يكون إذا ما جلسنا لتناول الفطور ، ورائته ينظر إلى ثم يشبع بوجهه .. أو إذا فطنت إلى نفسى وقد جلست إلى أناء القهوة ، وأنا فى أبسط مظهر عادى لى ، وتبينت أن زوجى قد بدأ يحتفل منظرى كثنء مفروض عليه .. فهل كنت احتمل ذلك ؟ .. انها كنت ازداد تبها على تبج - تحت شقوة الشعور يوما بعد يوم ، باننى لم أعد أروق له .. لغير ما ذنب منى - إلى أن يقدر للحسرة ، وخيبة الأمل - وربما الغيرة - أن تعمل مجتمعة على جعلى دمية بالفعل ؟ .. اننى أسالك يا دريك ، أترانى كنت احتمل ذلك ؟ »

وكان الطبيب ينظر إلى جين باهتمام دقيق ، وكأنه يفحصها على ضوء علمه ، ثم قال : « كم كنت مصيبا إلى أقصى حد عندما قدرت حالتك ، ونصحت لك بالسفر إلى الخارج - ومع كل الدلوات الصغيرة .. » . فقاطعته جين صائحة فى صجر بالغ : « آواه يا فئافئ ! .. لا تحدثنى كما لو كنت مريضة ، بل علمنى كاتسان على الأقل ، وصارحنى - كما يصارح الرجل رجلا مثله - هل كان يوسمى أن أربط حياة جارت

دالين إلى وجهى البسيط ؟ .. انك تعلم أن وجهى مجرد من الجمال الصارخ ! » .

بوضك الطبيب وقد سره أن يستفز جين وقال : « لو كنا نتكلم كما يتكلم رجل إلى رجل ، يا فتاتى العزيزة ، لوجدت بنفسى بعض أمور تاسية أود أن أقولها .. ولكننا نتكلم رجل إلى امرأة .. رجل ظل - زمنا طويلا جدا - يخدم تلك المرأة العزيزة النبيلة ، ويكرمها ، ويعجب بها ! .. سأجيبك بصراحة عن سؤالك : « انك لست جبيلة بالمعنى العادى المألوف .

وما من رجل يحبك حقا - يجيبك بفسر ذلك . لأنه ما من شخص بمرمك وبحبك ، يفكر فى أن يكذب عليك . ومع ذلك ، فلنسلم جدلا - إذا شئت - بانك مجردة من الجمال ، وإن كنت أعرف أن ثمة شبانا كانوا خليقتين بأن يهيموا بأن يركلونى إلى عرض الطريق - لو أنهم كانوا هنا - لجرد هذا القول ، ما لم أبادر - دفاعا عن نفسى - إلى القول بأن سمعهم قد خاتهم ، وبأنك « جين ، فحسب ! » ، وهذا كل ما يهيم فى الأمر . وما دمت أنت جين ، فإن أصدقائك يكونون راضين .

وفى الوقت ذاته ، أحب أن أضيف - بمناسبة الحديث عن هذا الوجه العزيز المحبوب - أن يوسمى أن أتذكر فترات فى الماضى ، كنت أشعر فيها باننى على استعداد لأن أسير راضيا عشرين ميلا ، لألقى نظرة عليه .. وقد اعتدت دائما أن أتوق - فى غالية - إلى حضوره ، وفى حضوره إلى الأبدية ! »

— ولكنك لم تكن مضطرا إلى أن تراه دائما أمامك على المائدة ، في كل وجبة !

— « هذا لسوء الحظ .. ولكنني كنت أزداد استغناء للبقاء ، في المناسبات السعيدة التي كنت أراه فيها ألبس !

— ثم أنك يا دريك ، لم تكن مضطرا إلى تقبيل هذا الوجه !
عطوح الطبيب رأسه إلى الوراء ، وانفجر بمقتتها بصوت مرتفع ، حتى أن زوجته « ملأور » دهشت إذ سمعته — وهي تمر بالحجرة ، ضاعدة إلى الطابق الثاني — غسست عبا يكون قد اتجه إليه حديثها . ولكن حين ظلت جادة ، إذ لم تجد في الأمر ما يستوجب الضحك .. ومنعها تلك الطبيب نفسه ، قال : « كلا يا عزيزتي .. فليسجل في عداد فضائلتي — التي لا نهاية لها — أنني لم أقبل هذا الوجه مرة واحدة ، في كل السنوات التي عرفت فيها ! » . فصاحت جين : « لا تغفلني يا ديكى ! .. آواه يا فتاى ، ان هذه هي أهم مسألة في حياتي بأسرها ، فإذا لم تحضني النصيح الآن — عن حكمة وإيمان تفكير ، فلن تكون لهذا الاعتراف القاسى أية جدوى ! » .

والآن .. نرى بماذا ينصح الطبيب « جين » ؟ ..
همل تكفر عن قسوتها في رفض الرجل الذي أحبها ، بأن

تسهر إلى جوار حراشه .. وهل يقول منها ذلك ، أو يرى فيه إثفاقا — وليس حيسا — تأباه رجولته ؟ ..
أفصح وحى « أبى الهول » وإلهام (الدلتسا) ، أم يقدر لجين أن تعيش في عذاب ، ولجارت أن يعيش في ظلامين .. ظلام البصر ، وظلام القلب !

هذا ما ستطالعه في الجزء الثاني والآخر
من هذه القصة المتممة .

٢٣٧٩

رقم الإصدار

٩٧٧ - ١٦٣ - ٠٨٠ - ٦

المطبعة العربية الحديثة

١٠ شارع ١٧ المنطقة الصناعية - القاهرة

٢٨٢٢٧٢٢ - ٢٨٢٠٥٩٤

Looloo
www.dvd4urab.com



مطبوعات كتابي إصدار جديد

عزيزى القارئ :

كان أول ما لفت نظري إلى هذه الرواية
الصبغة المحلية التي اقترنت ببدايتها . إذ يبدأ
الفصل الأول منها وبطلتها «جين شامبيون»
جالسة تحتسى قدحاً من الشاي في شرفة فندق
(ميناء هاوس) القديم المطل على أهرام الجيزة .
وهي تطالع العدد الأخير من جريدة (الأحد) التي
تصدر في لندن .. وفوجئت بخبر منشور في تلك
الصحيفة يفيد أن الشاب الذي تعتزم الزواج منه
- وهو الفنان «جارت دالين» - قد فقد بصره
نهائياً . فتسرع عائدة إلى لندن كي تقف إلى جواره
في محنته .. وكان «جارت» يصغرها سناً . وكان
باهر الجمال . ذائع الصيت . واسع الثراء . تنهافت
عليه أجمل حسان المجتمع الراقى . ويسعى دائماً
إلى أن يحيط نفسه بكل جميل . فتدرك أن
زواجهما لن يكتب له التوفيق . لأن طول المعاشرة
لن يلبث أن يفتح عيني «جارت» على دماستها .
لذلك ترفض يده . ولا تجد علة تبديها له سوى
صغر سنه . وأنه في نظرها (مجرد غلام) .
وتشتد بها الحسرة وتباريح الحب فلا تلبث أن تقوم
برحلة حول العالم . وفي مصر تقرأ نبأ فقدانه
البصر . فتسرع عائدة إليه كي تواسيه وتخفف
عنه مأساته .. والآن . تعال نقرأ معاً هذه الرواية
المشوقة !